الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر -باتنة

كلية العلوم الاجتماعية

والعلوم الإسلامية

قسم: أصول الدين

نيابة العمادة لما بعد التدرج

والبحث العلمي والعـــــلاقات

الخارجية

الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الدعوة الإسلامية

إعداد الطالبة:

شهرة شفري

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد زرمان

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د. أحمد عيساوي	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	رئيساً
أ. د محمد زرمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مقرراً
د. رحيمة عيساني	أستاذة محاضرة	جامعة باتنة	عضواً
د. مفيدة بلهامل	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضواً

السنة الجامعية:

1429-1430هـ/ 2008 - 2009م.

بسم الله الرحمان الرحـــــــــــــيم

شـــــــكر وامتـــــــنان

أتقدم بجزيل الشكر إلى المشرف الأستاذ الدكتور **محمد زرمان** الذي تابع العمل من بدايته إلى نهايته رغم طول مدة إنجازه، والذي أحاطني بتوجيهاته العلمية، وزودني ببعض الكتب والمقالات التي تخص موضوع البحث. كما ساعدني على تخطي عقبات البحث بقوله الدائم:"سيري قدماً إلى الأمام، ولا تلتفت إلى الوراء".

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذة الدكتورة **رحيمة عيساني**، التي استفدت من توجيهاتها المنهجية والعلمية، وزوجها الأستاذ **عبد الدايم قطوش**.

دون أن أنسى السيد عميد الكلية الأستاذ الدكتور سعيد فكرة، وأساتذة المعهد كلهم خاصة منهم أساتذة قسم الدراسات ما بعد التدرج: **أحمد عيساوي**، **حسين شرفة**، **لخضر شايب**، **مصطفى حميداتو**، **مولود سعادة**، **عبد الحليم بوزيد**.

وكذا، أتقدم بخالص امتناني وشكري إلى زملاء بالقسم: **الهاشمي قروف**، **كمال رويبي**، **عمار دحماني**، **ميلود رحالي**، **عاشور بن بوزيان**، **بوبكر محمد مسعي**، **الشيخة ورغي**،**فيروز صوالحي**، والسيدة **زليخة لوصيف**.

شهـــــــرة

إهـــــــــــــــــداء

أهدي هذا العمل العلمي المتواضع إلى والدي الكريمين:

فرحات، وربيعة.

وإلى كل أفراد عائلتي صغيراً وكبيراً: **حميدة** وأولادها، **هشام**، **صالح** وزوجته **وردة** وأبناءه: شيماء، شروق، لوى.

إلى أختي المرحومة "**مفيدة**"، والتي أسأل الله أن يطيب ثراها، ويتغمدها برحمته الواسعة.

إلى زوجي الفاضل "**عزالدّين كريطة**" وعائلته المحترمة.

إلى جميع عمال مكتبة كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، المكتبة المركزية بجامعة الحاج لخضر، والمكتبات الخارجية بمدينة باتنة، ومكتبة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة.

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

أهدي هذا العمل

شهـــــــرة

 

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم إنَّا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، نرجو رحمتك، وبك منك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ونصلي ونسلم على عبدك البشير النذير، والسراج المنير، وداعي الخلق أجمعين إلى صراطك المستقيم.

أما بعد: جعل الله الأمة الإسلامية الأمة الوحيدة الوارثة لرسالة الدعوة. أسند لها مهمة إرشاد الخلق إلى طريق الهداية، وحثهم على الإتيان بالمعروف والانتهاء عن المنكر وفق منهج إلهي قويم تصلح به الحياة والنفس البشرية. أثنى عليها بالأفضلية على سائر الأمم السابقة، ووصفها بالخيرية حيث قال: [**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**][**آل عمران/ 110**].

هاتان الصفتان؛ الأفضلية والخيرية اتصف بهما الجيل الأول من الصحابة؛ صفوة هذه الأمة على الإطلاق، والنموذج الأمثل دون منازع. هذه النخبة المؤمنة التي سلمت نفسها لله وحده وآمنت به إيماناً صادقا، وأقامت الإسلام في صدرها وسلوكها، وأحبت رسوله صلى الله عليه وسلم أكثر من نفسها، وعايشته عن قرب وأحاطت به، ولازمته زمن الشدة واتبعته ونصرته؛ فنصرها الله ومكَّن لها في الأرض وحققت الشهود الحضاري[**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**] [**النور/ 55**].

إلاَّ أن انحرافاً كبيراً أصاب الأمة الإسلامية ردحاً من الزمن أدّى إلى ضعف العقيدة في النفوس، وأبعدها عن دينها، وأوردها مورد الجهل الذي أورثها التخلف والتدهور في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية. هذا الانحسار والتراجع الحضاري، سمح للغرب بكل ملله ونحله وتنظيماته واتجاهاته أن ينشر أفكاره التي بعضها يُنكر وجود الله، والبعض الآخر يؤمن بالحياة المادية ويشكك في الحقائق الغيبية وينشر

الانحلال والتفسخ، والآخر يرفض الدِّين ويعتبره أفيون الشعوب. ناهيك عن الفكر العلماني الداعي إلى فصل الدين عن الدولة والتنكر لتعاليم الدين الإسلامي، والداعي إلى الذوبان في حضارة وثقافة وفكر العالم الغربي.

واستطاعت هذه الفلسفات أن تجعل الإنسانية:"ترتع في الدنيا مثلما ترتع الأنعام في الربيع"[1]، وأن تعلي القيم الحيوانية على حساب القيم الإنسانية، وأضحى صنم المادة بمثابة مصمم نظام وقانون الحياة الإنسانية فحالنا كحال الأسد الذي دبَّ في جسده الوهن والضعف بعد القوة.

وعليه، فالأمة بحاجةٍ إلى من يردها إلى شريعة الإسلام؛ منهج الحياة الوحيد الذي يحررها من عبودية البشر، ويعرفها بالله كما عرَّف نفسه لعباده في القرآن الكريم، ويقيل عثارها، ويبعثها من مرقدها الحضاري، ويعيد إليها الاعتزاز بدينها. والدعاة إلى الله الطائفة القائمة على الحق بدليل الحديث النبوي الشريف:"لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله عزّ وجلّ"[2]، هم أولى الناس بهذه المهمة الربانية باعتبارهم عقل الأمة والموجه والمرشد لها، وامتلاكهم القدرة على النهوض والتغيير والإصلاح.

وقد لا نغالي إذا قلنا: إن الجزائر فترة الاحتلال الفرنسي كادت تندثر معالمها لولا ظهور نخبة من المصلحين وعلى رأسهم الإمام **عبد الحميد بن باديس** ونائبه الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي**، وقيامهم بعملية شاقة وعسيرة تمثلت في: إعادة بناء الفرد الجزائري وتشكيله ثقافياً وبعثه من جديد وهي مهمة الرسل صلوات الله عليهم وسلامه؛ مستلهمة قيم الكتاب والسنة في التعامل معه وتحديد مواطن الخلل فيه، وذلك في إطار عمل جماعي مؤسساتي متكامل.

وفي هذا البحث محاولة لدراسة الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء وعلى التحديد عند الإمام ابن باديس والشيخ الإبراهيمي اللذان جاهدا لأجل إصلاح المجتمع الجزائري

---

[1]- محمد الغزالي: مع الله، (الجزائر: دار الهدى، د. ط، د.ت)، ص(17).

[2] - رواه أحمد، كتاب: باقي مسند الأنصار، باب: حديث ثوبان، رقم الحديث: 21369.

بكل شرائحه وتحويله من سيئ إلى أحسن؛ وذلك بالعودة الصحيحة والصادقة إلى الإسلام الأول الصافي من الزوائد والإضافات وتحقيقه في عالم الواقع.

وقد تهيكلت الدراسة في: مقدمة وخمسة فصول. تناول الأول: إشكالية الدراسة وتساؤلاتها ومنهجها، وتحديد مفاهيمها، والدراسات السابقة وقراءة نقدية تقييمية لها. **وتناول الثاني:** أهم المحطات التاريخية التي مرت بها جمعية العلماء، وكذا عرض وجيز لحياة الإمام ابن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي. **وتطرق الثالث** للحديث عن مضامين الخطاب الدعوي عند ابن باديس والبشير الإبراهيمي. **وناقش الرابع** خصائص الخطاب الدعوي لديهما. **وخُصص الخامس والأخير** للكلام عن وسائل الخطاب الدعوي عند الشيخان. وكل ذلك من خلال عرض نصوص لابن باديس ومقارنتها مع نصوص للإبراهيمي مع إظهار أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بينهما إن وجدت. وقد ذيّلت البحث بخاتمة؛ أجبت فيها باختصار عن الأسئلة التي وردت في الإشكالية.

وأتبعت الرسالة بمجموعة من الفهارس تشمل: الآيات القرآنية، الأحاديث النبوية، المصادر والمراجع، مراعية فيها الترتيب الألفبائي، وفهرس المواضيع والمحتويات.

وبهذا أكون قد استكملت ذكر تقسيمات الرسالة، راجية أن أكون قد وُفِقتُ في إعطاء صورة واضحة عن خطاب الشيخان الدعوي.

والله نسأل التوفيق والسداد.

الفصل الأول: إشكالية الدراسة ومنهجها

أولاً: إشكالية الدراسة وتحديد بعض مفاهيمها

(أ): إشكالية الدراسة وتساؤلاتها وأهدافها

(ب): تحديد بعض المفاهيم الواردة في الدراسة

ثانياً: الدراسات السابقة والمشابهة

(أ): الدراسات الخاصة بالخطاب الدعوي

(ب): الدراسات الخاصة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

(ج): الدراسات التي جمعت بين الخطاب الدعوي وجمعية العلماء

(د): قراءة تقييمية للدراسات السابقة

أولاً: إشكالية الدراسة وتحديد بعض مفاهيمها:

(أ) - إشكالية الدراسة وتساؤلاتها وأهدافها: يعد الخطاب الدعوي أحد الركائز الأساسية لنجاح المشروع الحضاري التغييري؛ من حيث دوره في توجيه الإنسان إلى الحلول للمشكلات تكون وفق خطط مدروسة من طرف أناس متخصصين ومؤهلين في ضوء القيم الإسلامية، تستوعب موجات التحدي بشكليه الداخلي والخارجي -المعلن والخفي-، وتتماشى وتطلعاته الشخصية، وتوافق متطلبات عصره. وهو قابل للتطوير والتبديل والتغيير بحسب الحال والزمان والمكان، وموجه إلى كل الفئات الاجتماعية: فئة الرجال، فئة النساء، وفئة الأطفال،...، كل بحسب مستواه التعليمي والثقافي، وبحسب موقعه ومهنته وظروفه الخاصة. كما يعد أحد الروافد الضرورية للنهوض بالواقع، ورصد متغيراته، ودراسة مداخل الإصلاح فيه؛ فالتفاعل معه، ومن ثم قيادته.

كيف لا، وقد تبلور بكل مكوناته على يد سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم المسدد بالوحي. مارسه طيلة مسيرته الدعوية التي استغرقت ثلاثة وعشرين عاما؛ بدأ بأهله وعشيرته الأقربين، ثم في مرحلة تالية جمع أهله وعشيرته ومواطنين من أهل مكة، وفي مرحلة ثالثة انتقل خارج مكة ليخاطب ويكاتب غير العرب من الملوك؛ النجاشي ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر، وكسرى ملك فارس، وقيصر ملك الروم.

استطاع خلال هذه الحقبة الزمنية احتواء هموم أهل مكة والمدينة بكل أصنافها، والإحاطة بهم والتعرف على أحوالهم وطرق عيشهم حتى يسهل التأثير فيهم؛ وذلك ببيان الأحكام وأمور الدِّين الإسلامي، ومخاطبتهم بلغاتهم ولهجاتهم متحيناً المناسبات والأوقات، ومقدراً الحالات والاستطاعات، وحرص على التيسير وابتعاده عن التشديد؛ لإخراجهم من ظلام الشرك والجهل وإدخالهم في دين الله الحنيف، مستخدماً وسائل تعليمية إيضاحية كضرب الأمثال. ولعل الحركات الإصلاحية النهضوية التغييرية في العالم العربي الإسلامي، حاولت أن تستفيد من خطاب النبي صلى الله عليه وسلم الدعوي في العودة بالمسلمين إلى شريعة الإسلام.

وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إحدى هذه الحركات الإصلاحية التي أولت الخطاب الدعوي أهمية بالغة حيث لم تستخدمه كلفظ ولكن استخدمت مضمونه؛ مما مكّنها من النهوض بالمجتمع الجزائري ورفع الجهل والتخلف عنه وتخليصه من الخرافات والبدع، والسير به قدما نحو العلم والتحرر وبالتالي الاستقلال.

وقد واجه خطابها الدعوي تحديات كبيرة تمثلت في: الاستدمار الغاشم الذي مكث أكثر من مائة وثلاثين سنة سعى خلالها إلى فرنسة الجزائر فرنسة أبدية، وأتى على خيرات وثروات البلاد. وفي الطرق الصوفية المنحرفة الموالية للإدارة الاستدمارية، التي عملت على نشر أفكار منافية للإسلام.

ومن هنا تتجلى المكانة الرفيعة التي يحتلها خطاب جمعية العلماء الدعوي في المجتمع الجزائري المسلم، ومدى مساهمته الفعالة في بسط سلطان شريعة الإسلام واللغة العربية في الوسط الاجتماعي، لأنه بنشره اللغة العربية يسهل فهم القرآن النازل بلسانها[**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً**][**يوسف/ 2**] وبالتالي ينتشر الدين الإسلامي، ويبقي على التاريخ الجزائري المجيد. لذا جعلت شعارها"**الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا**" وهو الذي يلخص **مقومات الشخصية الجزائرية.**

تم تحقيق هذه المنجزات وفق خطة منهجية مرسومة مازلنا نحن اليوم في حاجة إلى الكشف عنها والاستفادة منها؛ كي نواصل مسيرة الدعوة. هذا ما دفعني لدراسة هذا الموضوع الموسوم: **الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي.**

ونظرا للدور الطلائعي الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من إثراءها للحياة الفكرية، والاجتماعية بمفاهيم ومناهج؛ مكّنها من تغيير الأوضاع السائدة آنذاك، والارتقاء بالفرد الجزائري نحو المعالي. ارتأيت من خلال هذه المذكرة أن أطرح موضوع الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء، والذي أراه جديرًا بالبحث، مبدية جملة من التساؤلات تكون في مجملها محاور رئيسة للبحث، والتي نصيغها على النحو التالي:

*ما هو مفهوم الخطاب الدعوي؟

*ما هي خصائص هذا الخطاب عند عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي؟

*ما هي مضامينه؟

*ما هي أهم الوسائل الدعوية التي استخدمها الشيخان في توعية الشعب الجزائري وإعداده للفاتح من نوفمبر 1954م؟

***أهداف الدراسة:** تهدف هذه الدراسة إلى:

- محاولة معرفة وضع الشعب الجزائري قبل وبعد ظهور دعوة كل من ابن باديس والإبراهيمي، ومدى التأثير الذي خلفته في الوسط الشعبي والنخبوي.

-كشف أهم أوجه الاتفاق والاختلاف الموجودة بين الشخصيتين في الحقل الدعوي، خاصة وأنهما ينضويان تحت جمعية واحدة لها مبادئ وغايات واحدة.

-المساهمة في إضافة معلومات علمية إلى المكتبة الجامعية التي تحتاج إلى مثل هذه الدراسة المستقلة وبهذا العنوان، عدا بعض الإشارات الطفيفة الموجودة بين ثنايا بعض الكتب أو الدراسات الأكاديمية.

-معرفة منهجهما في العودة بالشعب الجزائري إلى طريق الحق.

***منهج الدراسة:** اعتمدت في بحثي هذا، على عدة مناهج هي: **منهج المسح الوصفي**؛ لأنني سأقوم بعملية وصف لأعمال وجهود قام بها كل من ابن باديس والإبراهيمي مع إدراج الملابسات والأسباب والدوافع التي ساعدتهما في ذلك. و**المنهج المقارن**؛ لاستخراج أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف الموجودة في خطاب الشيخان. و**المنهج التاريخي** للاستئناس به؛ وذلك لأننا بصدد الحديث عن مسيرة الشخصيتان الذاتية والدعوية خلال فترة زمنية محددة؛ وهي فترة تصاعد مد الاحتلال الفرنسي من بداية العمل الدعوي لابن باديس سنة 1913 إلى سنة 1956م؛ السنة التي حُلت فيها الجمعية من طرف السلطات الاستعمارية الحاكمة.

(ب): تحديد بعض المفاهيم الواردة في الدراسة:

أولاً: مفهوم الخطاب:

1 - في اللغة: ورد في **لسان العرب** كلمة "الخِطَابُ" بمعنى: مراجعة الكـــلام، وقـــد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان. ومنه الخُطْبَةُ، اسم الكلام الذي يتكلم بـــه الخطيب. وهي عند العرب: الكلام المنثور المُسَجَّع، ونحوه. ومنه الخَطْبُ: الشأن أو الأمـــر، صَغُر أو عَظُم. وفي التنزيل العزيز قال: [**فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**][سورة الذاريات/ الآية31]. ومنه المُخَاطَبة، مفاعلة، من الخِطَاب والمُشاورة. ومنه أيضاً خَطَبَ المرأة يخطبها خطباً وخطبـــة: أي طلبها للزواج، "لأن ذلك مجرى حديث وكلام بين أكثر من طرف؛ لما فيه من الطلـــب والرد بصيغة الإيجاب أو الرفض"[1]. ... وجمع الخَاطِب: خُطَّاب[2].

وورد في **مجمل اللغة لابن فارس:**"والخِطَابُ: كل كلام بينك وبين الآخر، والخُطْبـــة من ذلك"[3].

كما جاء في **المعجم الوسيط:**"خَطبه مُخَاطَبَةً، وخِطَاباً: كَالَمَه وحَادثَه ووجَّـــهَ إليـــه كَلاَماً. ويقال: خَاطَبَهُ في الأمر: حَدَّثَهُ بشأْنه. ... الخِطَابُ: الكلام...والرِسالة[4].

2 - في القرآن الكريم: تكرر في القرآن الكريم لفظ خطاب ثلاث مرات:

في قوله تعالى: [**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**][ص/ 20].

وفي قوله تعالى: [**فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**][ص/23].

كما وردت هذه الصيغة في قوله عزَّ وجل: [**رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الـــرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً**][النبأ/ 37].

---

[1] - نوري سعودي أبو زيد: الخطاب الأدبي من النشأة إلى التلقي مع دراسة تحليلية نموذجية(مصر: مكتبة الآداب، ط(01)، 2005م)، ص(7).

[2] - ابن منظور: لسان العرب(بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط(1)، د.ت)، ج(1)، ص(360 - 361).

[3] - ابن فارس: مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان(لبنان: مؤسسة الرسالة، ط(2)، 1406هـ - 1986م)، مج(1)، ص(295).

[4] - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط(تركيا: دار الدعوة، 1989م)، ص(243).

قيل في تفسير كلمة "الخطاب" في الآية الكريمة الأولى: فالخطاب الكلام الـــذي يُنَبِــهُ المُخَاطَب على المقصود من غير التباس.[1]

وقيل في تفسير الآية الثانية:"في الخطاب: أي الكلام الذي له شأن من جدال وغيره"[2].

كما قيل في تفسير الآية الثالثة: "لا يملكون منه خطابا: أي لا يملكون أن يخاطبوه أو يخاطبوا غيره بكلمة فما فوقها"[3].

والناظر في هذه الآيات الثلاث، يلاحظ مدى اقتران الخطـــاب بالحكمـــة، والعـــزة، والعظمة والجلال.

يتبين في ضوء ما وقع بين أيدينا من معاجم لغوية عربية وتفاســـير قرآنيـــة، أنهمـــا يتقاطعان في دلالة لفظ الخطاب الذي يحتمل نوعين من الاتصال اللغوي أي الكـــلام أو المشافهة(حوار) في حالة المحاورة، والتي تستدعي وجود طرفين مُخَاطِب وهـــو المـــتكلم ومُخَاطَب وهو المستمع. والمكاتبة في حالة المراسلة، والتي بـــدورها تـــستلزم وجـــود مرسل(الكاتب) ومرسل إليه (القارئ).

3 - في الاصطلاح: يعد مصطلح **الخطاب** من المصطلحات التي شاع استعمالها وكثر تداولها في وقتنا الحالي. تعرض له الكثير من المتخصصين الأصوليون منهم والنقاد الأدبـــيين، واللسانيون على الخصوص والروائيون... الغربيون منهم، والعـــرب. تتقـــاطع تعـــاريفهم وتتداخل في أنه: مرادف للكلام سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً.

1 - عرَّفه **الزركشي** بقوله: "الأصل في الخطاب أن يكون لُمعَيَّنٍ وقد يخرج على غـــير مُعَين ليفيد العموم"[4].

2 - عرَّفه **معجم"مصطلحات أصول الفقه"** بأنه:"الكلام، توجيه الكلام إلى الآخـــرين للإفهام سواء أكان الإفهام في الحال أم في المستقبل. الكلام الذي يقصد به إفهام مـــن هـــو

---

[1]- الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(لبنان: دار إحيـــاء التـــراث العـــربي، د. ط، د. ت)، ج(23)، ص(177 - 178).

[2] - برهان الدِّين البقاعي: نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور(لبنان: دار الكتب العلمية، ط(1)، 1415هـ - 1995م)، ج(6)، ص(374).

[3] - برهان الدِّين البقاعي: المرجع نفسه، ج(8)، ص(305).

[4] - الزركشي: البرهان في علوم القرآن(دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، ط(03)، 1400هـ، 1980م)، مج(04)، ج(02)، ص(219).

متهيئ للفهم وهو المكلف (البالغ العاقل)"[1]. وهي من الألفاظ المتداولة في أصول الفقه وتتردد في كتب أصول الفقه مصطلحات: دليل الخطاب، وفحوى الخطاب، ومعنى الخطاب.

3 - عرَّفه **طه عبد الرحمان** بأنه:"كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً"[2].

4 - وردت هذه الكلمة في **معجم لاروس "Discours"** في معناها العام لدلالة على ظاهرة فعلية أو قولية، أو كتابية لتجديد إيديولوجيا معينة أو لتحديد حالة عقلية في ظرف مهم بالنسبة لمجال معين"[3].

5 - عرَّفه أحد علماء اللسانيات بأنه:"كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب وتفترض نية التأثير على السامع أو القارىء مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تمَّ فيها"[4].

6 - عرَّفته **رزان محمود إبراهيم** بقولها:"يشير مصطلح الخطاب إلى كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً ... وكثير من اللسانيين الذين يكتبون بالإنجليزية يرون أن الخطاب يعني الحوار... وإذا كان الخطاب هو ما تؤديه اللغة عن أفكار الكاتب ومعتقداته فإنه لا بد من القول إن الخطاب يقوم بين طرفين أحدهما مخاطِب وثانيهما مخاطَب"[5].

7 - عرَّفه الدكتور **سيف الدين عبد الفتَّاح** على أنه:"الخِطَاب هو مُجمَل ما يصلنا من أفكارٍ أو تصوُّراتٍ بكلِّ أشكال التعبير اللغويّ، مسموعًا أو مكتوبًا، وبكلِّ وسائل التوصيل التقليديًّة أو المستحدثة، سواءً كنَّا نتلقَّاها جماعةً أو فُرادَى. وهو بذلك ليس كما يتخيَّل

[1] - قطب مصطفى سانو: معجم مصطلحات أصول الفقه(بيروت: دار الفكر المعاصر، ط(01)، 2000م)، ص(197).

[2] -بلقاسم حمام: آليات التواصل في الخطاب القرآني(أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2004 - 2005م)، ص(22). نقلا عن؛ طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي(المركز الثقافي العربي، ط(01)، 1998م)، ص(15).

[3] - Le Petit Larousse, p: 329.

[4] -. Emile Benveniste: Problèmes De L linguistique, P13.

[5] -رزان محمود إبراهيم: خطاب النهضة و التقدم في الرواية العربية المعاصرة، (دار الشروق، ط(1)، 2003)، ص(17 - 19).

البعض من اقتصار معنى "الخطاب" على مجرَّد الخطابة التي نتلقَّاها في المساجد في صورة خطبةٍ، أو موعظةٍ، أو درسٍ، أو ما شابه ذلك"[1].

8 - عرَّفه **محمود شمال حسن** بأنه:"عبارة عن لغة يتم من خلالها الاتصال بالآخر. وقد يتخذ الاتصال اللغوي الصيغة التحريرية؛ كما هو الحال في الكتاب والصحيفة. أو يتخذ الصيغة الشفوية؛ كما هو الحال في الاتصال الحادث بين شخصين اثنين أو أكثر أو بين شخص واحد وجماعة أو بين الإذاعة والمستمعين أو بين المرسل التلفزيوني والمستقبل المشاهد. وقد يكون الاتصال غير لغوي أي لم تكن هناك لغة منطوقة بل هناك لغة تعتمد بالدرجة الأساسية على الصورة أو الإيماءة أو الإشارة أو الحركة... يهدف من وراءها المرسل إلى إخبار أو تبليغ المستقبل بشيء ما، أو بحدث ما، أو بخبر ما وكذلك إقناعه بوجهة نظر معينة"[2].

وهو التعريف الأنسب، و الذي أراه جامعاً مانعاً؛ لأنه تناول الأشكال الثلاثة التي يكون عليها الخطاب: الصيغة التحريرية، الصيغة الشفوية، الإشارة والإيماءة.

وعليه؛ فإن الخطاب هو عبارة عن رسالة يقوم المرسل بتوجيهها إلى المستقبل أو المتلقي بهدف تبيين أمر ما أو إقناعه بفكرة ما، سواء كانت لغتها منطوقة ويكون ذلك في حال الحوار، أو مكتوبة وتكون في حال المراسلة، أو صمَّاء والتي تعتمد على إيماءات الوجه وحركة اليدين.

ثانياً: مفهوم الدعوة:

1 - في اللغة: ورد في **لسان العرب**: الدَّعْوَةُ والدِّعْوَةُ والمَدْعَاة والمِدْعَاة: ما دَعَوْتَ إليه من طعام وشراب... وقال **ابن شميل**: الدَّعْوَةُ في الطعام والدِّعْوَةُ في النسب... وقول الله تعالى: [وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ][سورة يونس/ الآية 25] ودُعَاءُ الله خَلْقَهُ إليها كما يَدْعُو الرجل الناس إلى مَدْعَاةٍ أي إلى مَأْدُبَة يتَّخذُها وطعامٍ يَدْعُو الناسَ إليه...ودَعَاهُ إلى الأمير: ساقه. وقوله تعالى: [وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً][سورة الأحزاب/الآية 46]؛ معناه دَاعِياً إلى توحيد

[1] - www.islamonline.net/Daawa/arabic/display.asp?hquestionID=2473

[2] - محمود شمال حسن: خطاب الأزمة ومحنة الآخر(دار الآفاق العربي، ط(1)، 2006م)، ص(7).

الله وما يُقَرِّبُ منه،... والدُّعَاةُ: قوم يدعون إلى بيعة هــدى أو ضــلال، وأحــدهم داع. ورجل دَاعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين... والمُؤَذِّنُ داعي الله والــنبي صــلى الله عليه وسلم داعي الأُمَّةِ إلى توحيد الله وطاعته[1].

وورد في **المصباح المنير** دعوتُ الله (أَدْعُوهُ) (دُعَاءً) ابتهلت إليه بالسُّؤَالِ. ورغبت فيما عنده من الخير[2].

وجاء في **القاموس المحيط**: لهم الدَّعْوَةُ على غيرهم أي يُبْدَأُ بهم في الدُّعَاءِ... والدَّاعِيــةُ صريخُ الخيلِ في الحروب و دَاعِيَةُ اللبن بقيته التي تدعو سائره... ودَعَوْتُهُ زيداً ويزيد سَمَّيْتُه به[3].

ويورد **المعجم الوسيط**: الدِّعَايَةُ: الدَّعْوَةُ إلى مــذهب أو رأي بالكتابــة أو بالخطابــة ونحوهما... (دَعَا) بالشيء دَعْواً، ودَعْوَةً، ودُعَاءً، ودَعْوَى: طلب إحْضاره. ويقــال: دَعَــا بالكتاب. ودَعَا الشيء إلى كذا: احتاج إليه... ودَعَا فلاناً: صاح به وناداه. ويقال: دَعَــا الله: رجا منه الخير. ودَعَا لفلان: طلب الخير له. ودَعَا على فلان: طلب له الشر... ودَعَــا إلى الشيء: حثَّهُ على قصده. ويقال: دَعَاهُ إلى القتال: ودَعَاهُ إلى الصلاة ودَعَاه إلى الــدِّين وإلى المذهب: حثَّهُ على اعتقاده[4].

يتضح لنا من خلال ما سبق؛ أن معاني مادة(دعا) ومشتقاتها في معاجم اللغة العربية تدور في الغالب حول: الطلب، والابتهال والسؤال، والــدعاء إلى الــشيء والنــداء، والحث على أمر ما، والصياح. إذن، الدعوة هي: حث الغير على الإتيان بفعل ما، إمــا محمود أو مذموم.

2 - في الاصطلاح: وردت تعريفات كثيرة حول المصطلح(الدعوة) اختلفــت صــياغة وتنوعت؛ لتباين تصورات المعرِّفين لها واختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم الفكرية، وتقاطعت في المضمون هو: تعريف الناس بخالقهم وبما لهم من حقوق وما عليهم من واجبــات وتثبيــت

[1] - ابن منظور: لسان العرب، ج(14)، ص(257 - 262).
[2] - أحمد القيُّومي: المصباح المنير(دار الفكر، د. ط، د. ت)، ج(01)، ص(194).
[3] - الفيروز أبادي: القاموس المحيط(بيروت: دار العلم للجميع، د. ط، د. ت)، ج(04)، ص(327 - 328).
[4] - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص (286 - 287).

اسمه في صدورهم وإظهاره في سلوكهم. وهناك من قال بأن الدعوة هي الدّين؛ أي الإسلام، وهناك من قال بأنها هي البلاغ والنشر.

وهذا التصنيف عمد إليه عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والإحسان بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض **حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العَمَّار**، في رسالة أعدها لنيل درجة الدكتوراه بعنوان:**"أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة"**. ضمَّنها مجموعة من التعاريف لمصطلح **الدعوة** القديمة منها والحديثة، قسمها إلى مجموعتين.

المجموعة الأولى: الدعوة بمعنى النشر و البلاغ

1 - عرّفها **ابن تيمية** بقوله:"الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أُخبروا به، وطاعتهم فيما أُمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه"[1].

2 - وعرّفها **محمد الخضر حسين** بأنها:"إنقاذ الناس من ضلالة، أو شر واقع بهم، وتحذيرهم من أمر يُخشى عليهم الوقوع في بأسه"[2].

3 - وعرّفها **علي محفوظ** بأنها:"حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"[3].

4 -وعرّفها **البهي الخولي** بقوله:"نقل أمة من محيط إلى محيط"[4].

5 - وعرّفها **محمد السيد الوكيل** بأنها:"جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر"[5].

---

[1]-عبد الرحمان بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية(المملكة العربية السعودية: مطابع الرياض، ط(1)، 1382هـ)، م(15)، ص(157 - 158).

[2] - محمد الخضر حسين: الدعوة إلى الإصلاح(القاهرة: المطبعة السلفية، 1346هـ)، ص(17).

[3] - الشيخ علي محفوظ: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة(القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي، ط(05)، 1371هـ - 1952م)، ص(17).

[4] - البهي الخولي: تذكرة الدعاة (دمشق: دار العلم، ط(05)، 1397هـ، 1977م)، ص(35).

[5] - حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمّار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة(الرياض: مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، ط(02)، 1997م)، ص(22). نقلاً عن محمد السيد الوكيل: أسس الدعوة وآداب الدعاة(القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د. ت، د. ط)، ص(غير موجودة).

6 - وعرّفها **آدم عبد الله الألوري** بقوله:"صرف أنظار النـــاس وعقـــولهم إلى فكـــرة، أو عقيدة، وحثهم عليها"[1].

7 -عرّفها **محمد نمر الخطيب** بأنها:"الحث على فعل الخير، واجتناب الشر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل"[2].

8 -عرّفها **رؤوف شلبي** بقوله:"عملية إحياء لنظام ما، لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط"[3].

9 - وعرّفها **فتحي يكن** بأنها:"هدم وبناء، هدم جاهلية بكل صورها وأشكالها سواء كانت جاهلية أفكار، أو جاهلية أخلاق، أو جاهلية نُظم وشرائع، ومن ثمّ بناء المجتمع المسلم على قواعد الإسلام في شكله ومحتواه، في مظهره وجوهره، في نظام حكمه وأسلوب عيـــشه، في تطلعه العقدي للكون وللإنسان والحياة"[4].

10 - عرّفها **محمد أبو الفتح البيانوني** بقوله:"تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة"[5].

11 - عرّفها **توفيق الواعي** بأنها:"الدعوة إلى توحيد الله والإقرار بالشهادتين وتنفيذ منـــهج الله في الأرض قولاً وعملاً، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة - سنة رسول الله ε - ليكون الدّين كله لله"[6].

12 - عرّفها **أحمد غلوش** بقوله:"العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنيـــة المتعـــددة إلى تبليغ الناس بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"[7].

---

[1] - آدم عبد الله الألوري: تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس إلى اليوم(بيروت: مكتبة الحياة، د. ت، د. ط)، ص(17). نقلاً عن حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمّار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص(22).

[2] - محمد نمر الخطيب(بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط(01)، 1401هـ - 1981م)، ص(24). نقلاً عن حمد بن ناصر بن عبـد الرحمـان العمّار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص(22).

[3] - رؤوف شلبي: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي"مناهجها وغاياتها"(الكويت: دار القلم، ط(03)، 1402هـ، 1982م)، ص(32).

[4] - فتحي يكن: الإسلام(فكرة، حركة، انقلاب)(بيروت: مؤسسة الرسالة، ص(11)، 1411هـ، 1991م)، ص(39).

[5] - محمد أبو الفتح البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة(لبنان: مؤسسة الرسالة، ط(03)، 1995م)، ص(22).

[6] - توفيق الواعي: الدعوة إلى الله الرسالة – الوسيلة – الهدف(مصر: دار اليقين، ط(02)، 1995م)، ص(19).

[7] - أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية؛ أصولها ووسائلها(القاهرة: دار الكتاب المصري، د. ط، 1987م)، ص(10). نقلاً عن حمد بن ناصر بـن عبـد الرحمان العمّار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص(23).

13 - عرّفها **عبد الله الشاذلي** بأنها:"فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها"[1].

14 - عرّفها **محمد بن سيدي بن الحبيب** بقوله:"قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله ε والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً"[2].

15 - عرّفها **يوسف محي الدّين أبو هلالة** بأنها:"قيام المسلمين المؤهلين، دولة، وأمة، وأفراداً بتبليغ الناس كافة، وحثهم على إتباع الإسلام، إيماناً وعملاً ومنهاج حياة، بطرق مشروعة مخصوصة"[3].

16 -عرّفها **علي بن صالح المرشد** بقوله:"إبلاغ الإسلام ودعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين"[4].

وأضفت بدوري إلى هذه التعاريف تعاريف أخرى أراها مناسبة وموافقة لهذه المجموعة:

17 - عرّفها **عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني** بأنها:"هي الطلب بشدَّة وحثٍّ على الدخول في دين الإسلام اعتقاداً وقولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً"[5].

18 - عرّفها **عبد الله ناصح علوان** بقوله:"هي الدعوة إلى دينه، وإتباع هداه، وتحكيم منهجه في الأرض، وإفراده تعالى بالوحدانية والعبادة، والاستعانة والطاعة، والبراءة من كل

[1] - عبد الله الشاذلي: الدعوة والإنسان(مصر: المكتبة القومية الحديثة،ط(01)، د. ت)، ص(39). حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمّار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة،ص(23).

[2] - محمد بن سيدي بن الحبيب: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل(جدة: دار الوفاء للنشر والتوزيع، ط(01)، 1406ه - 1985م)، ص(27). نقلاً عن حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمّار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص(23).

[3] - يوسف محي الدّين أبو هلالة: الإحكام بين مراحل العمل في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم(الرياض: دار العاصمة، ط(01)، د. ت)، ص(13). نقلاً عن، حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمّار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص(23 - 24).

[4] - علي بن صالح المرشد: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر(مصر: مكتبة لينة دمنهور، 1409هـ، 1989م)، ص(21). نقلاً عن حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمّار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص(24).

[5] - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(دمشق: دار القلم، ط(01)، 1996م)، مج(02)، ج(02)، ص(16).

الطواغيت التي تطاع من دون الله، وإحقاق ما أحق الله، وإبطال ما أبطل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله"[1].

19 - عرَّفها **الطيب برغوث** بأنها:"عملية تعريف بالإسلام، وتأسيس للوعي بسنن التسخير والاستخلاف، وحركة تكييف ارتقائي منهجي مطرد للواقع الإنساني مع ذلك، على طريق الوفاء بمقتضيات الاستخلاف في المرحلة الأرضية أو الدنيوية من الدورة الوجودية للإنسان، باعتبارها المرحلة الحاسمة لتهيئة شروط الاستمتاع الأمثل في بقية مراحل هذه الدورة الوجودية بعد ذلك"[2].

20 - عرَّفها كل من **محمود محمد حمودة** و**محمد مطلق عساف** بأنها:الطلب بشدة وحث على الدخول في دين الإسلام اعتقاداً وقولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً"[3].

21 - عرَّفتها **رقية بنت نصر الله بن محمَّد نياز** بقولها:"تأتي الدعوة بمعنيين، أحدهما: فعلي وهي عملية نشر الإسلام وتبليغه إلى الناس[4] قال تعالى:[**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**][سورة النحل/ الآية **125**]. أما المعنى الثاني فيلحق بالمجموعة الثانية.

22 -وقد عرَّفها الشيخ **محمد الصوَّاف** بأنها:"رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الموصل إليه سبحانه. قال تعالى:[**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ**][سورة آل عمران/**19**]. ثم اختارها لعباده، وفرضها عليهم، ولم يرض بغيرها بديلاً عنها"[5].

المجموعة الثانية: الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة

---

[1] - عبد الله ناصح علوان: مدرسة الدعاة(مصر: دار السلام، ط(04)، 2007م)، مج(02)، ج(01)، ص(13).

[2] - الطيب برغوث: المنهج النبوي في حماية الدعوة ومنجزاتها مرحلة التأسيس العقدي والفكري للمجتمع الإسلامي بمكة(الجزائر:دار قرطبة، ط(01)، 2004م)، ص(56).

[3] - محمود محمد حمودة ومحمد مطلق عساف: فقه الدعوة وأساليبها(الأردن: مؤسسة الوراق للنشر، د. ط، 2000م)، ص(11).

[4] - رقية بنت نصر الله بن محمد نياز: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة (أنواعه - مجالاته - تأثيره)(الرياض: دار اشبيليا، ط(01)، 1420هـ - 1999م)، ص(9 - 10).

[5] - صلاح محمد زكي: الدعوة إلى الله بالحكمة(مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية،ط(01)، 1425هـ -2004م)، ص(11 -12).

1 - عرّفها **محمد الراوي** بقوله:"دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجدد على يد محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدِّين والآخرة"[1].

2 - وقيل:"هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه دون قيد ولا شرط"[2].

3 - عرَّفها **محمد سعيد البارودي** بأنها:"هي النظام العام، والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد صلى الله عليه و سلم من ربه، وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة"[3].

4 - عرَّفها **محمد الغزالي** بقوله:"إنها برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين"[4].

أضيف لهذه المجموعة تعريفين اثنين يحملان معنى الدِّين أو الرِّسالة

5 - عرَّفها **أحمد غلوش** بقوله:"هي الدِّين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها في القرآن الكريم، وبينها في السنَّة النبوية"[5].

6 - عرَّفتها **رقية بنت نصر الله بن محمَّد نياز بأنها:**" وتأتي بالمعنى الاسمي: ويراد بها الإسلام كدين[6]. قال تعالى:[لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ][سورة الرعد/ **14]**.

يتضح مما تقدم، أن الدعوة وإن تعددت مفاهيمها عند الباحثين، وتراوحت بين التخصيص والتعميم؛ فإنها تتقاطع في الهدف المتمثل في توحيد الله وعبادته وحده. والباحثة بدورها قدمت تعريفاً خاصاً للدعوة تمثل في:

---

[1] - حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمّار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص(24). نقلاً عن محمد الراوي: الدعوة الإسلامية"دعوة عالمية" (الرياض: مكتبة الرشد، ط(03)، 1411هـ - 1991م)، ص(39).

[2] - المرجع نفسه، ص(25). نقلاً عن محمد الراوي: الدعوة الإسلامية"دعوة عالمية"، ص(4).

[3] - حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمّار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص(25). نقلاً محمد سعيد البارودي: الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان(جدة: دار الوفاء للنشر والتوزيع، ط(01)، 1407هـ - 1987م)، ص(25).

[4] - محمد الغزالي: مع الله(دراسات في الدعوة والدعاة)(القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ط(05)، 1401هـ، 1981م)، ص(17).

[5] - أحمد بن عبد العزيز الخلف:منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى،(المملكة العربية السعودية: مؤسسة الجريسي، ط(01)، 1998م)،مج(02)، ج(01)، ص(42). نقلاً عن أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية(أصولها ووسائلها)، ص(10 - 13).

[6] - رقية بنت نصر الله بن محمد نياز: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة (أنواعه - مجالاته - تأثيره)، ص(09 - 10).

الدعوة هي: الأخذ بأيدي الناس سواء كانوا داخل البلاد المسلمة أو خارجها إلى طريق الحق وحثهم على الإتيان بالأعمال الصالحات واجتناب المنكرات وترغيبهم في الاهتمام بدار القرار باستخدام وسائل شرعية عصرية متاحة وأساليب مناسبة".

3 - مفهوم الخطاب الدعوي:

بعد قيام الباحثة بعملية القراءة المتأنية للمادة العلمية المتحصل عليها، والتي تناولت موضوع الخطاب الدعوي؛ وجدت أن العديد ممن كتب في الموضوع لا يتعرض لمفهوم الخطاب الدعوي أو حتى يشير إليه إشارة خفيفة إلاّ النزر القليل؛ مما يجعل القارئ في حيرة من أمره، ويفقده التركيز في الموضوع المتناول، ويبقى يتساءل مدة قراءته للنص ماذا يقصد الكاتب بهذا المصطلح؟ إضافة إلى ذلك فقد تعرضت الباحثة إلى مركبات إضافية مشابهة؛ كا**الخطاب الديني**، و**الخطاب الإسلامي**، مما اضطرها إلى شرح كل واحدا على حدا، والنظر في العلاقة بينهم.

عرّفه **فؤاد يوسف أبو سعيد** بأنه:"مخاطبة الثقلين (الإنس و الجن) ودعوتهم إلى التوحيد ودين الحق دين الإسلام، ويتنوع هذا الخطاب حسب حال المخاطبين، وزمانهم ومكانهم، وحسب حال الخطيب الداعي، فتارة يكون الخطاب بالقول وتارة يكون بالفعل، والقدوة الحسنة"[1].

وعرّفه **عمر بوقرورة***:"أن الخطاب الدعوي يجب أن يكون مشمولاً بعلاقة إيمانية تربط الداعي إلى الله بالسنن الحضارية التي تؤهله لأن يكون نموذجاً مقتدراً، بل ومسئولاً شاهداً على نفسه أمام المدعو وأمام الله يوم الحساب الأكبر حين تعرض الأعمال للجزاء"[2].

وهو بدوره لم بفرق بين الخطاب الدعوي والدعوة والخطاب الإسلامي، والدليل على ذلك

---

[1] -فؤاد يوسف أبو سعيد: الخطاب الدعوي(أهدافه ووسائله وأساليبه وميادينه) www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=47096&d=1177494100

* أستاذ محاضر بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة باتنة –الجزائر -.

[2] - عمر بوقرورة: ماهية الخطاب الدعوي بين جمعية العلماء ومتغيرات الواقع في الجزائر، المعيار، دورية علمية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية، تصدرها كلية أصول الدِّين والشريعة والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة، العدد الأول، رمضان 1422هـ/ نوفمبر 2001م)، ص (227).

عنوان المقال يحمل المركب الإضافي الخطاب الدعوي أما النص؛ فقد ورد فيه خلط بين المصطلحات دون أن يشير إلى ترادفهم أو اختلافهم.

هذا الخلط دفعني إلى تعريف كل من: الخطاب الدعوي، الخطاب الديني، الخطاب الإسلامي، على حدى والنظر في العلاقة الموجودة بينهم:

***مفهوم الخطاب الإسلامي:**

عرّفه **الطيب برغوث** بأنه: "مجمل الفعاليات الاتصالية الإسلامية -من وسائل وأساليب ومناهج ومواقف- المجندة والمستخدمة في العمليات التغييرية المخططة أو العفوية، الرسمية أو الشعبية، الفردية أو الجماعية، الهادفة إلى نصرة الإسلام كمنهج، وكتاريخ، وكحضارة، وكمستقبل.. والتمكين له في الواقع الإسلامي أولاً، والواقع الإنساني ثانياً"[1].

وعرّفه **صالح كركر**[*] بأنه: "هو كيفية فهم الإسلام وتنزيله على واقع الخلق في عصر من العصور... والخطاب الإسلامي الأمثل هو ذلك الخطاب الذي يستجيب لقضايا الخلق ويوفر لها ما تحتاجه من حلول، ومتمشياً مع متطلبات العصر"[2].

كما عرّفه **محمد بوالروايح**[*]: "هو كل فكر أو فقه أو أدب أو فن أو غير ذلك شرط أن يكون صادراً من مشكاة الإسلام ويعبر عن صبغته التشريعية والفقهية والعقدية، ومن ثم عملاً بمفهوم المخالفة كما يقول الأصوليون فإن أي خطاب لا يتحقق فيه شيء من هذه الصبغة الإسلامية لا يمثل بيقين الخطاب الإسلامي لأنه لا يساير منهجه ولا يتفق مع طبيعته"[3].

---

[1] - الطيب برغوث: الخطاب الإسلامي المعاصر وموقف المسلمين منه(قالمة: دار الامتياز، ط(1)، 1990م)، ص(11).

[*] أحد قيادي حركة النهضة التونسية ومؤسسيها، محكوم عليه بالإعدام في تونس، لاجئ سياسي بفرنسا، موجود تحت الإقامة الجبرية منذ ثلاث سنوات بالجنوب الفرنسي.

[2] -صالح كركر: المبادئ العامة لتجديد وترشيد الخطاب الإسلامي في تونس. http://www.nawaat.org/portail/author/salah-karker

[*] أستاذ محاضر بجامعة قسنطينة

[3] - محمد بوالروايح: الخطاب الإسلامي بين عدوى التقليد وضرورة التجديد www.chihab.net/modules.php?name=Stories_Archive&sa=show_month&year=2006&month=06&mont... k76

*مفهوم الخطاب الديني:

1 - عرّفه يوسف القرضاوي:"هو كل بيان باسم الإسلام يوجه للناس، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين لتعريفهم بالإسلام، وقد يأخذ هذا الخطاب أشكالاً مختلفة مباشرة كالاتصال الشخصي أو غير مباشرة كالاتصال الجماهيري المقروء والمسموع والمرئي"[1].

2 - عرّفه خالد روشه بأنه:"هو البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين وغير مسلمين لدعوتهم إلى الإسلام أو تعليمه لهم أو تربيتهم عليه عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، فكراً وسلوكاً، لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم فردياً أو اجتماعياً روحياً أو مادياً نظرية أو عملية"[2].

3 - عرّفه فهمي هويدي:"إن الخطاب الديني ليس المقصود به تقديم تاريخ المسلمين وشرح الأحاديث وتلاوة القرآن وبرامج الفتاوى..هذا جزء من الخطاب الديني..أما الخطاب الديني في صورته الشاملة فهو الذي يلتزم مقاصد الدِّين وقيمه. فيمكن أن تكون هناك دراما ليس فيها آية واحدة لكنها تلتزم بروح الإسلام وقيمه فهي أفضل من الخطاب الديني الصريح"[3].

4 - عرّفه حامد طاهر*:"إن المقصود بالخطاب الديني هو كل ما تشتمل عليه الرسالة الإعلامية من حيث المضمون والشكل في الصحافة والإذاعة والتلفزيون"[4].

وهناك من يعتبر أن الخطاب الدعوي والخطاب الديني شيء واحد مثل **عبد الله القرني** الذي لا يفرق بين الخطاب الدعوي والخطاب الديني ويرى أنه"خطاب واحد سواء كان دينياً أو دعوياً، وقد يختلف في شكل الخطاب من مسلم لمسلم أو من مسلم لغير مسلم"[5].

---

[1] - يوسف القرضاوي:بين ضغوط الخارج ومخاوف الداخل علماء ودعاة يشددون على ضرورة تجديد الخطاب الديني دون إملاءات خارجية.
http://menber-alhewar.net/forum.php?action=view&id=793&cat_id=16

[2] - خالد روشه: الخطاب الإسلامي..مقاربة منهجية. http://www.islamselect.com/article/37174

[3] - فهمي هويدي: السياسة هي التي تتدخل في الدِّين وتحدد له مساراته.
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=4783

* نائب رئيس جامعة القاهرة والعميد السابق لكلية دار العلوم.

[4] - حامد طاهر: لماذا تقف وسائل الإعلام العربية موقفاً سلبياً من الإسلام.
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=4783

[5] -عبد الله القرني: بين ضغوط الخارج ومخاوف الداخل علماء ودعاة يشددون على ضرورة تجديد الخطاب الديني دون إملاءات خارجية
http://menber-alhewar.net/forum.php?action=view&id=793&cat_id=16

محمد النجيمي[*] لا يرى ثمة فرقاً بين الخطاب الدعوي والخطاب الديني، ويقول:"هو خطاب واحد وإن اختلفت مستوياته وجمهور المخاطبين والوسيلة التي تحمل هذا الخطاب"[1].

إضافة إلى ذلك، فالدِّين يعني الإسـلام،كما في قوله تعـالى: **[إِنَّ الـدِّينَ عِنْـدَ اللَّـهِ الْإِسْلامُ]**[سورة آل عمران/**19**]. كما يعني الدعوة:**[لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَـمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]**[سورة الممتحنة/ الآية**8**].

***دراسة نقدية للتعاريف المقدمة:**

يتبين لنا من خلال ما تقدمنا به من تعاريف حول مفـاهيم الخطـاب الـدعوي، الإسلامي، والديني تتفق فيما بينها في المضمون؛ والذي هو تبليغ رسالة الإسلام للمـسلمين وغير المسلمين مراعياً ملابسات الواقع ومستخدماً وسائل مناسبة، وتختلف في الصياغة.

كما سبق أن ذكرنا في مفهوم الدعوة أن من معانيها الدِّين. فهذا إن دلّ على شـيء فإنما يدل على أن الدعوة هي الدِّين، هي الإسلام. وبالتالي، فالخطاب الدعوي هو مـرادف للخطاب الديني ومرادف للخطاب الإسلامي.

وهكذا، بعد أن تعرضت لتعريف كل من الخطاب والدعوة والخطاب الدعوي في اللغة والاصطلاح، يمكن إعطاء تعريف إجرائي للمركب الإضافي كالآتي:

الخطاب الدعوي: هو قيام الدَّاعية أو المرسل بتوجيه رسالة إلى المدعوين عـبر قنـوات الاتصال؛ الشفاهية منها كخطبة الجمعة، أو الكتابية كالمقالات والمؤلفات والصحافة، أو الرمزية أي بالإيماءة والحركة كالصلاة وأعمال الحج، أو المرئية كالبرامج التلفزيونية من خلال وسائل مشروعة كالمسجد، المدرسة، الإعلام، المؤتمرات، النوادي، الـرحلات... مستعيناً بأساليب مناسبة كأسلوب الحكمة، الموعظة الحسنة، الترغيـب والترهيـب... قصد تعريفه بدِّين الله تعالى وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له والتأسي بنبيه محمـدε والمشي على خطاه

---

[*] رئيس قسم الدراسات المدنية وأستاذ الفقه المقارن بالمعهد العالمي للقضاء عضو مجمع الفقه الإسلامي.

[1] -محمد النجيمي: بين ضغوط الخارج ومخاوف الداخل علماء ودعاة يشددون على ضـرورة تجديـد الخطـاب الـديني دون إمـلاءات خارجيـة. http://menber-alhewar.net/forum.php?action=view&id=793&cat_id=16

ثانيا: الدراسات السابقة والمشابهة:

ويمكن تقسيم هذه الدراسات والبحوث إلى قسمين:

(أ) الدراسات الخاصة بالخطاب الدعوي:

(1) **الكتب العلمية:** وفي هذا القسم نستعرض الكتب التالية:

⊇ **كتاب "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"[1]؛ هدف المؤلف من خلاله** إلى محاولة تحديد منهج الدعوة الإسلامية في ضوء الواقع الراهن أو بالمصطلح الحديث تحديث الخطاب الديني حتى يكون هذا مواكباً لظروف هذا المتغير بكل ما تتضمنه من مستجدات وما يحيط به من تحديات.

استخدم المنهج التحليلي كمنهج للمعالجة، إضافة إلى المنهج المقارن بين واقع الدعوة الإسلامية المعاصر وواقع الدعوات الأخرى للاستفادة من محاولاتها في توظيف كافة المستجدات.. والمنهج التاريخي للتعرف على واقع الدعوة الإسلامية في العصر النبوي ولتتبع جذور التحديات التي تواجه العالم الإسلامي في الوقت الراهن.

قسَّم بحثه إلى **مقدمة وثمانية فصول: تناول الفصل الأول:** الملامح الأساسية لملامح الدعوة(مفهوم الدعوة، المرتكزات الأساسية للدعوة الإسلامية، خصائص الدعوة الإسلامية، أهدافها). **وناقش الثاني:** واقع الدعوة الإسلامية المعاصر التحديات وسبل مواجهتها(التحديات السياسية، التحديات الاجتماعية، التحديات الثقافية، التحديات الاقتصادية، التحديات الدعوية، التحديات الإعلامية). **وركَّز الثالث على:** التخطيط والتنسيق للدعوة الإسلامية(من يقوم بالتخطيط الدعوي، أهمية التخطيط للدعوة الإسلامية، مراحل عملية التخطيط الدعوي، متطلبات أساسية لنجاح التخطيط الدعوي). **واهتم الرابع بالحديث عن:** منهج إعداد الدعاة في ضوء الواقع الراهن(أهمية الدعوة الفردية، وسائل الاتصال للعمل الدعوي الفردي، الداعية المؤسس المحترف، الملامح الأساسية لمنهج الداعية المحترف). **وتطرق الخامس للحديث عن:** منهج الدعوة الإسلامية في التعامل مع

---

[1] - لصاحبه محمد منير حجاب، صدر عن دار الفجر، القاهرة، ط1، 2004م.

الجمهور المعاصر. **وخصص الفصل السادس للكلام عن:** تطوير لغة الخطاب الديني ومحتواه(مفهوم الخطاب الديني، مقومات لغة الخطاب، محتوى الخطاب الديني، أهداف الخطاب الديني). **وتناول السابع:** وسائل الدعوة الإسلامية في ضوء مستجدات العصر(وسائل الاتصال الحديثة -الأنترنيت -، وسائل الاتصال الجماهيري -الوسائل المقروءة - الوسائل البصرية السمعية، الاتصال الجمعي، المسجد ووسائل الاتصال الجماهيري والتفاعلي). **وتطرق الفصل الثامن والأخير إلى:** تقويم النشاط الاتصالي الدعوي(مفهوم التقويم، واقع التقويم للخطاب الديني المعاصر، أهداف تقويم النشاط الدعوي، خصائص التقويم للأنشطة الدعوية، أنواع التقويم للأنشطة الدعوية).

خرج في النهاية إلى تأكيده على حتمية النجاح لمنهج الدعوة الإسلامية؛ لأنه المنهج الذي يؤكد قيمة العلم وحتمية الثقافة وضرورة الوعي الفردي والجماهيري، ويؤكد على أهمية الثقة بالنفس والشعور بإرادة التغير وبدور الأمة، وبحق الإنسان في الحرية والحياة، وبحقه في احترام إرادته وعقله وإعطائه الدور اللائق.

⊇كتاب**"من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق"**[1]؛ **هدف** صاحبه من خلاله إلى التفصيل في المرتكزات الأساس للخطاب الدعوي،والتأصيل لقواعد وأصول انطلاق الدعوة إلى حيث النجاح والفلاح والإصابة،على شيء من العصمة أو تقليل الزلل.

قسمه مؤلفه إلى **مقدمة وأربعة فصول: الأول عرض** للمرتكز الأول: الانفتاحية(انفتاح الخطاب الإسلامي على أهل الملل والأديان، أشكال الخطاب الإسلامي إلى أهل الكتاب وغيرهم. **عرض الثاني** لمرتكز التيسير ورفع الحرج(وجوه التيسير في العبادات، مسالك يتحقق بها مرتكز التيسير. **عرض الثالث** لمرتكز التدرج في التبليغ والتطبيق، من صور التدرج في التطبيق والتتريل (أولاً: المرحلية. ثانياُ: الاستثناء)

---

[1] -لصاحبه عبد الله الزبير عبد الرحمان(كتاب الأمة: سلسلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بدولة قطر، ط(1)، مارس - أفريل 1997م).

في النهاية، خرج بأهم المرتكزات التي ينطلق منها خطاب المسلم،داعيا إلى الحق،مرشدا مبينا الانفتاحية،والتيسير،والتدرج، والتي بمراعاتها عند التبليغ والتطبيق تنضج الدعوة،وتستقيم،وتقوى وتنتصر.

⊇كتاب"**الخطاب الإسلامي المعاصر وموقف المسلمين منه**"[1]؛ **هدف** صاحبه من خلاله إلى لفت الأنظار إلى فرضية العمل الدعوي على كل مسلم ومسلمة كل حسب اختصاصه، وعلى قدر استطاعته، وأنه ضرورة تستوجبها الأوضاع الراهنة في العالم الإسلامي.

خلص في النهاية إلى أنه لتحقيق مشروع التكامل المنهجي المضبوط في الجهد الإسلامي المعاصر الذي هو فرض المرحلة، وللانتقال به من السلبية إلى الايجابية، ومن الانفعال العاطفي الأهوج إلى الفعل المنهجي المؤثر، لابد من تحقق شروط:

-تجرد العاملين في سبيل الله أفراداً وجماعات، ومؤسسات شعبية ورسمية لله من كل ما يشين الحركة.

-التواضع لله. والإحساس بالحاجة إلى جهود الآخرين.

-إنهاء وضعية التمحور حول الذات.

-إعطاء الشورى مكانتها المطلوبة.

-الصدق مع الله سبحانه وتعالى ومع النفس ومع الناس ومع المهمة، والبراءة من حظوظ النفس والهوى والشهوة الخفية.

-الالتزام بالإسلام.

-المبادرة والمنافسة.

-النظام والانضباط.

-النقد الذاتي.

1 -لصاحبه الطيب برغوث، صدر عن(قالمة: دار الامتياز، ط(01)، 1990م).

2 -**الدراسات والمقالات:**

***"الخطاب الدعوي في السودان"**[1] **هدف إسماعيل محمد حنفي** من خلال دراسته إلى تسليط الضوء على منهجية الخطاب الدعوي وأساليبه ووسائله بالتطبيق على الواقع الحالي في السودان، وتقويم هذا الخطاب في ظل المتغيرات التي تمر بها المنطقة.

تناول الموضوع من خلال مبحثين وخاتمة: **المبحث الأول:** تحدث فيه عن منهجية الخطاب الدعوي في السودان، معرفاً في **المطلب الأول** بالمنهجية في الدعوة، ثم مؤصلاً لهذه المنهجية تأصيلاً يعين على استيعاب الملاحظات المذكورة على الخطاب الدعوي الحالي والذي تناوله في **المطلب الثاني** ملخصاً أهم السمات والملاحظات. **المبحث الثاني:** تناول فيه وسائل وأساليب الخطاب الدعوي في السودان، معرفاً في **المطلب الأول** بالوسائل والأساليب، ثم مؤصلاً لها وفق ما ذكره أهل العلم في ذلك، بما يمكن من النظر المناسب لواقع الخطاب الدعوي في السودان من خلال الوسائل والأساليب المستخدمة: ملامحها وسماتها وما لها وما عليها.خاتمة ألخص فيها أهم ما توصل إليه من نتائج، ثم أهم ما رآه من توصيات.

وقد خلص في النهاية إلى أن: الخطاب الدعوي لا بد أن ينطلق من منطلقات شرعية سليمة ولا بد أن يتفق حول مضمونه، وأن منهج الخطاب الدعوي منضبط بأصول وقواعد شرعية تؤكد سلامته من حيث محدداته العامة، ولكن هذا المنهج يقبل التعدد من حيث التفاصيل وبالنظر إلى الاختلاف بين البشر ورؤاهم وظروفهم.

-هناك ملاحظات على الخطاب الدعوي في السودان من حيث المنهج تدور حول المرجعية والعلمية، والتوازن والاستقرار والممارسة، والمعايير المستخدمة في الحكم على المنهج نفسه.

---

[1] - http://www.meshkat.net/new/contents.php?catid=5&artid=5110

-الوسائل والأساليب يجب أن تكون مشروعة، وأن تربط بالمقصد المشروع، وأن ينظـــر في المصالح والمفاسد المترتبة على استخدامها بحسب الأحوال.

-الوسائل والأساليب توقيفية من حيث المشروعية الأصلية والأدلة والمبادئ والقواعد العامة التي تندرج تحتها، أما من حيث التفصيل والتطبيق فهي بحسب الأحوال والظروف.

-هناك ملاحظات على الوسائل والأساليب المستخدمة في الخطاب الدعوي في الـــسودان، وتدور حول: الانضباط والاستقرار فيها، ومراعاة الحكمة، والتوزيع والتركيـــز الجغـــرافي، والارتجال، والمخاطبين وأنواعهم، والتقليدية، والتركيز على لونية معينة أو فئـــات محـــددة، والمذهبية المؤثرة، ونوعية الوسائل في الاتصال أو التقويم.

ومن التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

-المراجعة العلمية المستمرة للأداء الدعوي، واستخدام وسائل تقويم دقيقة علميـــة لمعرفـــة الوضع بالضبط وفق المنهج المحدد مسبقاً.

-رصد الملاحظات بدقة من خلال غيرنا، والاستفادة منها في التقويم.

-العناية بالخطط التي تضبط مسار الخطاب الـــدعوي وتحكـــم أداءه في كـــل الظـــروف والأحوال.

-الاستفادة من الكفاءات الموجودة، وتحديد القيادات الدعوية، ومحاولة المزاوجة بين علـــم الشيوخ وحكمتهم وبين حماسة الشباب واندفاعهم وطاقاتهم.

-العناية بالتخصصات في الدعوة دراسة وممارسة: نحتـــاج إلى متخصـــصين في الوســـائل والأساليب، يقدمون فيها الدراسات العلمية الدقيقة التي تطرح الوسائل والأساليب المتجددة المناسبة لكل بيئة ولكل ظرف.

-إعطاء الدعوة الأولوية لدى صناع القرار وولاة الأمور، فلا تكون أقل من غيرها وفي ذيل الاهتمامات. والأمر ليس تكفي فيه العاطفة والوعود، بل التنفيذ.

* "**تجديد الخطاب الديني كيف ولماذا؟**"[1]: عبارة عن ندوة صحفية أقامتها نقابة الصحافيين المصرية في مساء الاثنين 1/ 9/ 2003م استضافت الشيخ العلامة **يوسف القرضاوي** الذي قدم رؤيته لمفهوم الخطاب الديني وأساليب تجديده، حيث أوضح المراد بالمركب الإضافي **الخطاب الديني**، ثم درج إلى الحديث عن أساليب تجديد هذا الخطاب: - أن يعتمد أسلوب الداعية على انتقاء الكلمات الطيبة. - يجدد خطابه مرتكزًا على منهاج الحكمة التي تخاطب العقول وتقنعهم بالدليل العلمي والموعظة الحسنة التي تستميل العواطف وتحرك القلوب. - أن يُبنى هذا الخطاب على فهم دقيق لطريق المخاطبين وعقلياتهم وبيئاتهم. -أن يغير من أسلوب خطابه من مكان لمكان ومن وقت لوقت بدليل أن القرآن الكريم قد غيَّر أسلوب خطابه بدليل اختلاف الخطاب الديني في الموضوعات والأسلوب ما بين القرآن المكي والقرآن المدني.

*"**التحديات على الخطاب الدعوي المعاصر**"[2]: لقاء مع المربي **أحمد القميري** مستشار الموقع حاوره لـ(أسبوعية الصحوة) **مجيب الحميدي**. سلط المربي الضوء في هذا الحوار على أهمية تجديد الخطاب الدعوي وملامح الخطاب الذي نحتاج إليه وبعض إشكاليات الخطاب المعاصر. المستجدات والتحديات الكثيرة التي تواجه واقعنا المعيش تفرض على قادة وحملة الخطاب الدعوي صياغة خطاب دعوي بثوب جديد. أما عن بعض إشكاليات الخطاب الدعوي فمن ذلك: **الإغراق في العموميات، الطرح الحدي في تناول بعض قضايا الاختلاف، التهييج العاطفي المبالغ فيه والتبسيط والتسطيح وعدم التحري والتثبيت** للقضايا والأحداث مما يسيء كثيراً للخطاب الدعوي وحملته، **الإقصاء للمسلم المخالف**

---

1 www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695149533&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWA..

2 - http://www.yanabeea.net/print.aspx?pageid=776&type=gen_no

في الاجتهاد والرأي واستعداء للآخر المباين لنا في الدين مع تعارض ذلك مع موجبات البلاغ والدعوة إلى الله.

*"**الدعوة السودانية.. التحديات والمستقبل**"[1] ورقة أعدها **محمود ياسر** بخصوص الندوة العالمية المتخصصة حول"**قضايا الدعوة الإسلامية في السودان**" التي عقدت بالخرطوم خلال الفترة من 13 - 15 من فبراير 2008م برعاية وزارة الإرشاد والأوقاف السودانية. تناولت تحديات وإشكاليات يعاني منها الخطاب الدعوي في السودان: العولمة، تنامي التيار القبلي على حساب النسيج الاجتماعي، عدم وضوح المرجعية الشرعية وغياب التأصيل، حركات التنصير، التمويل الدعوي. كما تناولت الملامح المستقبلية للعمل الدعوي في البلاد لتجاوز هذه التحديات، منها: البناء المعرفي والتكوين الداخلي، تأسيس النهضة الاقتصادية والاجتماعية على مبادئ الإسلام.

*"**الخطاب الإسلامي بين عدوى التقليد وضرورة التجديد**"[2] تناول **محمد بوالروابح** الخطاب الإسلامي من حيث هو لسان حال المسلمين لا شك أنه لا يكون خطاباً نمطياً واحداً لأن ما يصلح لجماعة أخرى وإن جمعتهما وحدة المصدر والفكر، وإننا لنعجب من بعض دعاة الخطاب الإسلامي التقليدي الذين يستخدمون أساليب قديمة في الخطاب لمشكلات معاصرة. ولعل الضعف الذي نلمسه في الخطاب الإسلامي التقليدي مرده إلى عدم مراعاة هذا التباين بين المشكلات القائمة والأساليب الخطابية المستخدمة، وكانت من نتائج هذا الشطط اتساع دائرة رفض الخطاب الإسلامي وانحسار مجاله وسيادة بعض الخطابات التغريبية والغربية في كثير من البلاد العربية والإسلامية. وأكد على ضرورة تجديد الخطاب الإسلامي الذي يكون في الوسائل لا في الأصول والغايات. وللتجديد في

1- www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1203515466364&pagename=Zone-Ar...55 - k

2- www.chihab.net/modules.php?name=Stories_Archive&sa=show_month&year=2006&month=06&mont...76 k

الخطاب الإسلامي مجالات كثيرة منها: ضرورة إصلاح الخطاب الموجه إلى العامة والـــذي يتمثل على وجه الخصوص في الخطاب المسجدي. ولا مناص أيضاً مـــن ضـــرورة تجديـــد الخطاب الدعوي الخاص ونعني به على وجه الخصوص الخطاب الذي تمارســـه المؤســـسات والجمعيات والأحزاب الإسلامية والوطنية المختلفة.

*"**الخطاب الإسلامي المعاصر الثابت والمتغير**"[1] تناول **نور الدين بوكريد** مكونـــات الخطاب الإسلامي الذي ردَّه إلى نوعين: المكوِّن الشرعي وهو ما جاء به الوحي الإلهي من قرآن وسنة نبوية صحيحة، ومكون بشري وهو ما فهمه واستنبطه البشر مـــن النـــصوص الشرعية وما نتج عن ذلك فكراً كان أو فقهاً أو علوماً. وتحدث عـــن **صـــور الخطـــاب الإسلامي** الذي له صور متعددة بين مقروء ومسموع ومرئي، وتتمثل في خطبـــة الجمعـــة والوعظ والإرشاد والصحف والمجلات الشرعية والكتب العلمية، بالإضـــافة إلى الأشـــرطة الدينية والأقراص الممغنطة والقنوات المسموعة كالإذاعة، والمرئية كـــالتلفزيون، والـــشبكة الدولية "الإنترنيت"، واللقاءات العلمية والندوات والمؤتمرات، الدراما التي تقـــدم الخطـــاب الإسلامي على شكل مسلسلات وأفلام دينية. ثم انتقل إلى **خصائص الخطاب الإســـلامي الأمثل:** ربانية المصدر والغاية، عالمية التوجه، إنسانية المنطلق، أخلاقية المحتوى، اقتران العقل بالروح، الجمع بين المثال والواقع والأصالة والمعاصرة والمحلية والعلمية، والتوازن والشمول، الانفتاح، التخيير، التعدد، التدافع، التوسط، والاعتدال، الحوار، التنوع، النمو والاطـــراد، وهو يدعو إلى الاجتهاد ولا يتعدى الثوابت، يتبنى التيسير في الفتوى والتبشير في الـــدعوة، يستشرف المستقبل ولا يتنكر للماضي، يؤمن بالشورى والتريث في اتخاذ القـــرار، يـــدين التخريب والإرهاب ويحض على الجهاد، ويرفض الانغلاق والتحجـــر والتطـــرف والغلـــو ويؤمن بالاختلاف والمرونة والتسامح.

---

[1] - www.almotamar.net/news/documents/41454.doc 2007 /3 /11

*"**المرتكزات الستة لنجاح الخطاب الدعوي**"[1] أكد **صبحي محمد** على ركائز يرتكز إليها الداعي إلى الله، وإلاَّ بدونها تحول من داع للإسلام إلى صاد عنـــها: **فهـــم مقاصـــد الإسلام** يساعد على تضييق مساحات الخلاف بين المسلمين، مع الآخذ في الاعتبار احترام الرأي الآخر في الأمور الاجتهادية. **مراعاة أدب الخلاف**؛ فلا بد أن يتعلم المسلم أن يختلف مع أخيه المسلم في إطار من الحب. **مراعاة فقه الأولويات** بمعنى البدء بأهم الأمور في الدين عند بداية دعوة الآخرين، والتدرج في الدعوة والتركيز على تعليم النـــاس الفـــرائض قبـــل النوافل، والواجب قبل الفضل. **التفريق بين الفتوى والدعوة** والاهتمام بالدعوة بالدرجـــة الأولى. **إعادة النظر في بعض المصطلحات** التي فسرها العلماء في القدم بما يوافـــق طبيعـــة المجتمع وورثها المسلمون على أنها أصول ثابتة في الإسلام، كتفسير دار الإسلام ودار الكفر. **فهم واقع الفتاوى القديمة** قبل تطبيقها على الواقع المعاصر

*"**الخطاب الدعوي(أهدافه ووسائله وأساليبه وميادينه**"[2]: عرَّف **فؤاد يوســـف أبـــو سعيد الخطاب الدعوي**، ثم طرق إلى ذكر أهم **مقاصده:** إخراج الناس من الظلمـــات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن البدعة إلى السنة، ومن المعصية إلى الطاعة. أما **أساليبه** فيستخدم الداعي الأسلوب المناســـب في دعوتـــه، فتـــارة يـــدعو بالقول)إقامة الحجة وإزالة الشبهة، استخدام أسلوب الاستفهام المـــثير للانتبـــاه، ضـــرب الأمثال). وتارة يكون الخطاب الدعوي بالإشارة والحركة والفعل(القيام والخروج ليـــنفض الجالسون، الضحك والابتسام للإقرار والتصديق، الإشارة المقرونة بالنطق، الإشارة بـــالرأس إيجاباً), وللخطاب الدعوي **وسائله المشروعة**(الكتابة والخط، استخدام العصا والنكت بهـــا على الأرض لإثارة الانتباه، تناول قشة أو شعرة أو غيرها للمبالغة في نفي شيء مهما كان

1 - http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173364150937&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout.2005 /08 /21

2 - www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=47096&d=1177494100

قليلاً أو ضئيلاً، استخدام الأصبع لتأكيد الأمر وإثباته، الاستفادة من الحوادث والوقـــائع). وميادينه واسعة حسب حاجة الداعي والمدعو ونوع الدعوة(المساجد، الأسواق، المساجين، الطريق، السجون، الجنائز والموعظة على القبر...).

(ب)الدراسات الخاصة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

(1)الكتب العلمية والأكاديمية:وفي هذا القسم نستعرض الكتب الآتية:

⊇**كتاب:"الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر"**[1]؛ وهو بحث في التاريخ الـــديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940م. **هدف المؤلف من خلاله**، إلى دراسة نـــشأة وتطـــور الحركة الإصلاحية الجزائرية وتحليل إسهاماتها في مجال المذاهب الإسلامية مـــن جهـــة، وفي الحركية الاجتماعية والثقافية للجزائر المعاصرة من جهة أخرى. وكان قد حصر دراسته بين سنة 1925م وهي السنة التي انطلق فيها النشاط الإصلاحي بقيادة ابن باديس رفقة جمع من المثقفين، وبرز العمل الجماعي إلى الوجود. وهي نفسها السنة التي أنشأت فيهـــا جريـــدة المنتقد ذات الاتجاه الإصلاحي. وسنة 1940م هي سنة وفاة ابن باديس، انتهاء الدورة الأولى للحركة الإسلامية الإصلاحية في الجزائر أو فيما سماها بالدورة الباديسية. **واعتمد** المنـــهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي والمنهج النقدي.

وخلص في الختام إلى أن:

-الحركة الإصلاحية هي الأولى في العالم الإسلامي التي نجحت في تحريك الضمير العـــالمي تحريكاً عميقاً ومثلت طموحات الشعب الجزائري المسلم.

-نجحت في توجيه الشعب الجزائري على صعيد الجانب الأخلاقي والديني أو في التوجـــه الثقافي للجزائر المعاصر.

-إلاَّ أن المدرسة الباديسية أخفقت حين انحرفت تدريجياً أو عدلت عن مهمتـــها الكـــأداء المتمثلة في "الإحياء الديني والإصلاح الأخلاقي" وذلك بتحالفها مع التيارات السياسية دون أن تنضم إليها تماماً؛ إذ كان يستحسن استخدام الطاقات في توســـيع نـــشاطهم التربـــوي

---

[1] -لصاحبه علي مرّاد، ترجمة: محمد يحياتن(الجزائر: دار الحكمة، 2007)، ص(529 -538).

وتعميق أبحاثهم في المجالات الخاصة بعلماء الدين. هذا التشتت جعل جل دراساتهم المذهبية يغلب عليها طابع سطحية وجزئية.

- لم يوفقوا في تبني طريقة مناسبة لهداية المرابطين أو على الأقل لتسخير إمكانياتهم تسخيراً ذكياً في خدمة التجديد الروحي والثقافي للإسلام في الجزائر نتيجة افتقارهم التحليل الهادئ للمعطيات المعقدة التي كانت المرابطية في الجزائر تنطوي علبها وتحليل دلالتها الحقيقية في الروح الشعبية.(تحاملهم على المعتقدات والفلكلور المرابطية).

-لم يستطيعوا التوفيق بين الرغبة في تجديد الدين الإسلامي في بلادهم والرغبة في المساهمة في الترقية المعنوية والتحرير الفكري والسياسي لمواطنيهم، تعاطي العلم الديني قلباً وقالباً ولا الثقافة العربية التي كان يحلو لهم الصدور عنها. لقد أعوزهم التركيز الضروري لكبريات الإبداعات في مجال الفكر.

-أن المرجعيات المذهبية الإصلاحية كان يتنفس التقليد الحنبلي الجديد لابن تيمية وتلاميذه.

نتيجة:"استطعنا أن نتبين النقائص والفجوات. ذلك أن مهمتهم كانت غير متناسبة مع وسائلهم ومن ثم كان من الطبيعي أن لا يحصلوا على نتائج إيجابية جداً. وهكذا لم يعجل كفاحهم ضد المرابطية بسقوط خصمهم. وحتى نقدهم للمرابطية لم يكن من الوجهة المذهبية خالياً من المثالب. أما نشاطهم التبشيري في الجزائر فلم يكن هو أيضاً عميقاً كما كانوا يريدون...كان كفاحهم ضد الآفات الاجتماعية يتجاوز بكثير كفاءتهم وكان متوقفاً على عوامل اقتصادية واجتماعية لم يستطيعوا التأثير عليها مباشرة. أما نشاطهم التربوي تجاه الشباب، الذي كان مع ذلك هائلاً، ظل غير مكتمل عند وفاة زعيمهم ابن باديس سنة 1940م...وباختصار، وأيا كانت المزايا الجوهرية للإصلاحيين وتفانيهم من أجل القضية الوطنية، فإن جهودهم لم تفض إلاَّ إلى نتائج جزئية. ففي جل ميادين النشاط الإصلاحي أو المطلبي فإن مبادراتهم كانت حمَّالة للرموز أكثر منها للنجاحات".

⊇**كتاب:"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر"[1]؛ هدف** أحمد الخطيب من خلال مؤلفه، إلى المساهمة قدر الإمكان في التعريف بالحركة الإصلاحية التي قادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، خلال فترة تاريخية حرجة من تاريخ الجزائر المعاصر. وقد اعتمد المنهج التاريخي.

تناول بحثه في الفصل الأول: الوضع العام قبل ظهور جمعية العلماء من مختلف جوانبه السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية. **وفي الفصل الثاني تحدث عن** تأسيس الجمعية وعن غايتها وأعلامها. **وتطرق الفصل الثالث والأخير إلى** الحديث عن نشاط الجمعية في المجالات الدينية ولثقافية والاجتماعية والسياسية.

خلص في الختام إلى أن:

-جمعية العلماء قد هدفت من خلال اهتمامها بالإصلاح في الجزائر في كافة المجالات، إلى الحفاظ على مقومات الشخصية العربية الجزائرية.

-أن الجمعية تشكلت بعد ظهور الدعوة الإصلاحية الباديسية في قسنطينة، وعودة بعض العلماء الذين تخرجوا من معاهد الشرق، أمثال الإبراهيمي والميلي .

-تكللت جهودها إلى جانب حزب الشعب الجزائري بثورة أول نوفمبر 1954م.

⊇**كتاب"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931-1956م) ورؤسائها الثلاثة"[2]. هدف** الكاتب من خلاله إلى إلقاء بعض الأضواء على أعمال وجهاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931 - 1956م) بقيادة رؤسائها الثلاثة في سبيل إسلام، عروبة، وحرية الجزائر، واستقلالها الوطني التام بكل ما تحويه من معنى الحرية، ويحتويه مضمون الاستقلال من سيادة شاملة، سياسياً، وثقافياً، وعسكرياً، ولغوياً، وحضارياً.

قسم الكتاب إلى **مقدمة وأربعة فصول: تناول الأول:** التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931 - 1956م)(مبادئها، نشأتها، أهدافها، أعمالها، دورها في ثورة أول نوفمبر...). **وعالج الثاني:** جمعية العلماء ودورها النضالي في الدفاع عن مقومات

---

[1] - لصاحبه أحمد الخطيب(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م).

[2] - لصاحبه رابح تركي(الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، 2004م).

الشخصية الجزائرية(1931 - 1956م)(ضد التنصير، الفرنسة، التفقير، سياسة التجهيل، التجنيس والاندماج). **وكشف الثالث عن:** الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة ما بين أعوام (1933 - 1939م)(دورها في محاربة سياسة فرنسا في الجزائر، ماذا حققت الجمعية للجزائر في عهد الاحتلال؟ أهمية فترة الثلاثينات من القرن العشرين في تاريخ الجزائر الحديث، الأسس التي ركزت عليها الجمعية أعمالها بعد إنشائها في عام 1931م، مدار الصراع بين جمعية العلماء وحكومة الاحتلال الفرنسي في الجزائر). **وتطرق الفصل الرابع للحديث عن:** جمعية العلماء وجهودها التربوية التعليمية. **أولاً:** جهود جمعية العلماء في إصلاح التعليم العربي الديني. **ثانياً:** اهتمام جمعية العلماء بتربية الشباب عن طريق: المدارس لتعليم الصغار نهاراً والشباب والكهول ليلاً. المساجد؛ وكانت تقام فيه دروس الوعظ، والإرشاد والتوجيه الإسلامي العام للكبار ليلاً ونهارا. النوادي وهي وسط بين المدارس والجوامع وكانت توجه فيها عنايتها لتربية الشباب، وتنظيمهم في منظمات عامة، مثل الكشافة، وجمعيات الرياضية البدنية، والفنية، والثقافية المتنوعة. **ثالثاً:** محاربة جمعية العلماء لانتشار الإلحاد بين الشباب. **رابعاً:** أسباب انتشار الإلحاد بين الشباب. تراجم وافية لرؤساء جمعية العلماء؛ **أولا:** ترجمة لحياة الشيخ عبد الحميد بن باديس أول رئيس جمعية العلماء (1931 - 1940م)(نشأته وحياته، العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته، الخصوبة في شخصيته، وفاته). **ثانياً:** ترجمة لحياة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الرئيس الثاني لجمعي العلماء المسلمين الجزائريين(1940 - 1956م). **ثالثاً:** ترجمة لحياة الشيخ الشهيد العربي بن بلقاسم التبسي الرئيس الثالث لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1952 - 1956م).

خلص في الختام إلى أن:

-جمعية العلماء بقيادة رؤسائها الثلاثة إضافة إلى فصائل الحركة الوطنية الجزائرية الأخرى(حزب الشعب، حزب نجم شمال إفريقيا تمكنت من الدفاع عن مقومات الشخصية

الجزائرية الإسلامية العربية ضد سياسة الاحتلال الفرنسي وذلك بتفجير ثورة الفاتح من نوفمبر.

-نشرت التعليم العربي والثقافة العربية الإسلامية إلى جانب تلك الجهود الوطنية الضخمة.

-حطمت سياسة فرنسا الرامية إلى تنصير الشعب الجزائري لكي يسهل في النهاية إدماجه شعباً وأرضاً في كيان الأمة الفرنسية والوطن الفرنسي في القارة الأوروبية المسيحية.

⊇ كتاب"**الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**"[1]. **هدف صاحبه إلى:** إلقاء ضوء كاف على فترة تاريخية حبلى بالأحداث الخطيرة في تاريخ الجزائر المعاصر(1900 -1940م).

احتوى الكتاب على مقدمة وثمانية فصول: **جعل الفصل الأول** مدخل عام لدراسة حالة الشعب الجزائري في عصر الشيخ عبد الحميد بن باديس من جوانبه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية لمعرفة تأثير هذه العوامل في فكر الشيخ عبد الحميد التربوي واتجاهه الإصلاحي الإسلامي العام. **وتناول الفصل الثاني** حالة التربية والتعليم في عصر الشيخ عبد الحميد بن باديس فأورد نبذة عن نظام التربية والتعليم ومعاهده في الجزائر قبل الاحتلال. ثم تطرق إلى الحديث عن نظام وسياسة التربية والتعليم التي اتبعتها فرنسا بعد الاحتلال(1830 - 1962م) مبيناً أهم التطورات والتقلبات التي مرت بها هذه السياسة، ثم موقف الاحتلال من اللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية، وذلك في الفترة من عام 1830 إلى عام 1940م. **أما الفصل الثالث: فقد خصصه** للحديث عن حياة عبد الحميد بن باديس وتربيته فتناول فيه نشأته، وأساتذته الذين درس عليهم، والعوامل النفسية والفكرية التي أثرت في تكوينه النفسي، واتجاهه الفكري. **وخصص الفصل الرابع:** للحديث عن فلسفة الشيخ عبد الحميد بن باديس ومكوناتها وفيه تحدث عن نظرته إلى الكون، وعن رأيه في الأسباب والمسببات، والحسن والقبح، والخير والشر. كما تحدث في هذا الفصل: عن رأي الشيخ ابن باديس في الطبيعة البشرية، وختمه بالحديث عن رأيه في علاج أمراض المجتمع

---

[1] - لصاحبه رابح تركي(الجزائر: منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط(5)، 2001م).

الجزائري بصفة خاصة. **أما الفصل الخامس:** فقد تحدث فيه عن أهداف التربية عند الشيخ عبد الحميد بن باديس التي تستمد من منبعين أساسيين: المنبع الأول: هو التربية الإسلامية حيث يعتبر مربياً إسلامياً من الطراز العالي. المنبع الثاني: هو المجتمع الجزائري بمشاكله، وآلامه، وآماله، وطموحاته. وختم الحديث بأن الهدف الأكبر من حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس التربوي هو المحافظة على الشخصية القومية للجزائر التي تتكون في رأيه من ثلاثة أسس هي"الإسلام، العروبة، الجزائر" طبقاً للشعار المنسوب إليه وهو"الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا". **وخصص الفصل السادس** للحديث عن مفهوم التربية الأخلاقية عند ابن باديس وفيه ذكر أن فلسفته الأخلاقية تقوم على أساس المزج بين النظرية والتطبيق طبقاً للآية الكريمة**"إن الدين عند الله الإسلام"**. وشرح في هذا الفصل مجالات التربية الأخلاقية وهي: المترل، والمدرسة، والمجتمع. **وتحدث الفصل السابع** عن:"آراء ابن باديس في المناهج وطرق التدريس" وفيه تحدث عن مفهوم المنهج عند ابن باديس والمنهج المفضل لديه، والمواد الدراسية في منهجه والكتب الدراسية وطريقة تكوين المعلمين ثم طريقة اختياره لتلاميذه والإشراف عليهم، وموقفه من الدفاع عن التعليم الحر في وجه محاربة الإدارة الاستعمارية له. أما الفصل الثامن والأخير فقد خصصه للحديث عن المؤسسات التربوية والتعليمية في الجزائر في عصر ابن باديس، وفيه تحدث عن المؤسسات التي علم فيها وكذلك المؤسسات التي أنشأها مثل**"جمعية التربية والتعليم"**، أو التي ساهم في إنشائها مثل:**"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"**، كما أوضح عناية الشيخ وجمعية العلماء بتربية الشباب ومقاومة الإلحاد بين صفوفهم.

وفي الختام انتهى إلى النتائج التالية:

-أن الفترة المدروسة(1900 - 1940م) حفلت بألوان من الصراع الإيديولوجي والسياسي حول الطريق الذي ينبغي على الجزائر أن تسلكه من أجل التقدم والتطور، وبرز في هذا الميدان عدة شخصيات تمثل مجموعة من الاتجاهات كان على رأسهم الإمام عبد الحميد بن باديس الذي آمن منذ البداية بأن لا مستقبل للجزائر إلاَّ في ظل عروبتها وإسلامها.

- حركة ابن باديس كانت في الواقع هي الدرع الذي وقى الجزائر من خطر الاندماج والذوبان في فرنسا رغم محاولاتها العنيدة من أجل فرض الفرنسة والتنصير والاندماج والتجنيس على الجزائريين .

- حركة الشيخ ابن باديس التربوية والإصلاحية السلفية هي الأب الشرعي للثورة الجزائرية التي قامت في عام 1954م وحققت الحرية والاستقلال للجزائر في عام 1962م في نطاق حضارتها الإسلامية العربية.

-الشيخ ابن باديس هو الذي غرس البذرة الأولى في التربة الجزائرية الطيبة قبل الحرب العالمية الأولى في هذا الاتجاه الذي سارت فيه الجزائر ابتداءاً من الثلاثينيات من القرن العشرين، حتى آتت ثمرتها اليانعة بعد الحرب العالمية الثانية حيث انطلقت الجزائر بجميع أحزابها ومنظماتها وقادة الرأي فيها لا تلوى على شيء نحو تحقيق هدفها الأكبر وهو الاستقلال التام في ظل حضارتها الإسلامية العربية.

⊇ كتاب:**"جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913 - 1940م)"**[1]

كشف فيه الباحث عن رؤية ابن باديس للاستعمار الفرنسي في الجزائر، ومواقفه منه، وموقع قضية جهاده ضده، والتصدي لمشروعه الاستكباري، ضمن الخطة العامة لحركة ابن باديس الإصلاحية الجهادية.

وقد هيكل الموضوع في تمهيد وأربعة فصول: تناول التمهيد: الوضع في الجزائر قبيل جهاد ابن باديس؛ وسائل وأساليب الاستعمار الفرنسي في الجزائر، آثار سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، الطرق الصوفية والوظيفة السلبية، الحركات السياسية الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى، والحركات الجهادية الثقافية. **وتناول في الفصل الأول:** ابن باديس: نشأته وحياته العلمية. **وتناوله في ثانيه:** جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي؛ مرحلة الجهاد الفردي، حصاد جهاد المرحلة وتقييمها، مرحلة الجهاد الجماعي، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين. **وتناول في**

[1] -لصاحبه عبد الرشيد زروقة(لبنان: دار الشهاب، ط(01)، 2001م).

ثالثه: وسائل وأساليب ابن باديس في جهاده ضد الاستعمار الفرنسي؛ الوسائل(الـــدروس المسجدية، تعليم الناشئة وتربية الأجيال، إرسال الطلبة المتفـــوقين للدراســـة بالزيتونـــة)، الأساليب. **وتناول في رابعه:** موقف الاستعمار الفرنسي من جهاد ابن بـــاديس ؛ وســـائل وأساليب محاربة حركة ابن باديس الجهادية (في مرحلة الجهاد الفردي، في مرحلـــة الجهـــاد الجماعي).

وقد خلص الباحث في نهاية كتابه إلى مجموعة نتائج أبرزها:

-جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، لم يبدأ بتأســـيس جمعيـــة العلمـــاء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931م، بل كان سابقاً لهذا التاريخ بكثير؛ حيث بدأ جهـــاده الفردي سنة 1913م، وبالاتصال الدائم، والتعاون المستمر مع أخيه في الجهاد محمد البـــشير الإبراهيمي، والذي أخذ طابعاً جديداً؛ بتحوله النوعي من جهاد فردي بطولي، إلى جهـــاد جماعي مؤسساتي بتأسيس الجمعية.

- لم يكن يرى في مسار جهاده ضد الاستعمار في التربية والتعليم للناشئة ولعموم الـــشعب الجزائري عامة، في المساجد والمدارس، وبنائها وفتحها، إلاَّ هدفاً واحداً تعقبه مراحل أخرى من فتح النوادي، وتأسيس جمعيات فكرية وعلمية وثقافيـــة، وإنـــشاء جمعيـــات تجاريـــة، وتعاونيات اقتصادية، تحقق الاستقلال الفكري والثقافي والاقتصادي لجميع شرائح المجتمـــع، إلى الاهتمام بمشاكل وشؤون المُهجَّرين والمهاجرين الجزائريين في فرنسا، إلى التفكير في بناء كلية، أو جامعة إسلامية تخرج أكفاء في مختلف العلوم يكونون المرجعية الفكريـــة للأمـــة؛ للوصول في الأخير إلى استجماع الشروط النفسية والاجتماعية والمادية؛ لخـــوض الجهـــاد المسلح الشامل، وإعلان الثورة على فرنسا؛ لانتزاع الحقوق المسلوبة منـــها، واســـترجاع السيادة الوطنية، كاملة غير منقوصة.

-اهتم بالتربية والتعليم باعتبارهما العاصم الأول والأخير للشعب الجزائري من الـــذوبان في حضارة وثقافة وفكر دولة الاستعمار.

-وقف بقوة في وجه الاستعمار الذي حاول تشويه وطمس مقومات الشخصية الجزائرية. وأكد على الوحدة الدينية واللغوية، والوطنية للشعب الجزائري. كما وقف ضد بعض الجزائريين الذين أنكروا وجود الأمة، وعلاقة انتمائها الحضاري وتميزه.

-لم يواجه ابتداء إدارة الاحتلال الفرنسي، بل توجه أولاً نحو جهاد بعض الطرق الصوفية والزوايا، الذين أعطوا ولائهم للمستعمر .

-نجاح ابن باديس ومن معه من العلماء في حمل أعباء إعادة إحياء تعليم الشعب الجزائري، وتوسيع دائرته التأثيرية والاجتماعي، وتقوية وازعه في النفوس؛ رغم إجراءات الاستعمار التعسفية وتضييقاتها ومنعها.

(2)الرسائل الجامعية الأكاديمية:

الدراسة رقم(1):"الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي" قام بها الباحث **محمد زرمان** لنيل شهادة دكتوراه دولة في الفكر الإسلامي الحديث، تخصص دعوة وإعلام، سنة 1995م.

هدف الباحث من بحثه إلى معرفة: الكيفية التي صاغ بها الإبراهيمي نظريته في التغيير، والأسس التي يقوم عليها منهجه، ومدى استطاعته الإسهام في ترشيد وإنجاح تجربة التغيير الإسلامي في الجزائر. **واعتمد في ذلك على** المنهج التركيبي: المنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج التاريخي.

أما أبواب أطروحته فهي كالآتي: الباب الأول: تحدث عن الأسس العامة للتغيير عند الإبراهيمي، **وقد قسمه إلى أربعة فصول. الفصل الأول:** عالج فيه قضية الإطار المرجعي ودوره في التغيير، وضرورة الحسم فيه، وبين أن الإسلام هو الإطار المرجعي للأمة الإسلامية، والأساس الهام الذي ينبغي أن تقوم عليه أية عملية للتغيير في المجتمعات الإسلامية، كما وضح الأبعاد التي تكتسيها الدعوة إلى الاحتكام إلى الكتاب والسنة باعتبارهما المصدرين الأساسيين للإطار المرجعي الإسلامي. **الفصل الثاني:** تناول فيه أهمية فهم الواقع الإنساني ببعديه الفطري والمعيش في عملية التغيير عند الإبراهيمي، وبين الآليات

التي يراها ضرورية لاستكشاف الواقع الإنساني، وعرض لمكونات الواقع الجزائري الدينية والتاريخية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية كما صورها في كتاباته. **الفصل الثالث:** تحدث فيه عن الانفتاح الحضاري عند الإبراهيمي وضرورته في التغيير، في إطار المحافظة على الخصوصية الحضارية للأمة، وعرضت فيه للاجتهاد واللغة العربية، باعتبارهما من آليات الانفتاح الحضاري عنده، كما وضح موقفه من الحضارة الغربية. الفصل الرابع: وقد بين فيه مكانة الإنسان، ودوره في التغيير كما يراها الإبراهيمي، باعتباره العنصر الأول في المشروع الحضاري هدفاً وموضوعاً. وشرح فيه رؤية الإبراهيمي لصياغة الإنسان الجزائري صياغة متكاملة: روحية، وعقلية، وخلقية، وسياسية. **الباب الثاني:** خصصه للحديث عن منهج التغيير عند الإبراهيمي **وقسمه هو أيضاً إلى أربعة فصول: الفصل الأول:** عالج فيه الإطارين الزماني والمكاني، وعلاقتهما بمنهج التغيير، وتحدث عن ضرورة ضبط التحديات، وإيداع الخطط العملية، وختمه بشرح مجموعة الخصائص التي يتميز بها منهج الإبراهيمي في التغيير. **الفصل الثاني:** فصل فيه الحديث عن القواعد الضرورية والشروط الموضوعية التي ينبغي أن تتوفر في منهج التغيير حتى يحقق أهدافه. **الفصل الثالث:** تناول الأهداف والغايات الاستراتيجية والمرحلية التي يقوم عليها منهجه في التغيير. الفصل الرابع: خصصه للحديث عن الوسائل والأساليب التي يرى الإبراهيمي ضرورة توفرها في منهج التغيير من أجل تحقيق أهداف المشروع التغييري. **الباب الثالث:** يدور الحديث فيه حول مجالات التغيير عند الإبراهيمي: الدينية، والثقافية، السياسية، والاجتماعية. وهو يحتوي كذلك على أربعة فصول: **الفصل الأول:** فيه عرض لفلسفة التجديد الديني عند الإبراهيمي في مجالات العقيدة، والفقه والتربية. **الفصل الثاني:** فيه بيان لأبرز عناصر المسألة الثقافية في المجتمع الجزائري كاللغة العربية والتعليم والصحافة. **الفصل الثالث:** وفيه رصد لملامح الفكر السياسي عند الإبراهيمي، وشرح لمواقفه من القضايا السياسية الكبرى في الجزائر والعالم العربي. **الفصل الرابع:** وخصصه للحديث عن المجال الاجتماعي، وتناول فيه أبرز قضايا المجتمع الجزائري التي شغلت الإبراهيمي، كالأسرة المرأة والشباب والدعوة إلى

الوحدة الاجتماعية. وختم البحث بإبراز أهم النتائج التي توصل إليها من دراسة وتحليل فكر الإبراهيمي حول الأسس النظرية لمنهجه في التغيير.

وقد خلص في نهاية بحثه إلى أن:

-الإسلام؛ هو الإطار المرجعي لقيام أي حركة تجديدية. لذلك لا بد من الرجوع والاحتكام إلى مصادر الوحي(الكتاب والسنة) في جميع مجالات الحياة الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية، وتجاوز الاجتهادية البشرية المتراكمة عبر العصور. وهو الإطار الذي أقام على أساسه دعوته.

- استيعاب مكونات الواقع بشقيه الفطري والمعيش، والإحاطة بالتركيبة النفسية والاجتماعية لأفراد المجتمع الواحد يمكن القائم على الإصلاح من تحديد طرق العلاج، وأساليب التغيير الملائمة. وهذا ما حصل مع الإبراهيمي الذي انخرط في المجتمع وسبر أغواره.

-الإبراهيمي دعا إلى الانفتاح الحضاري الإيجابي، وبخاصة في الجوانب العلمية التقنية؛ وهي مشترك إنساني عام لا تعرف ديناً ولا جنساً ولا لغةً. وعارض الانفتاح الحضاري السلبي الذي يستورد القيم الأخلاقية الهابطة التي تقوم على الفلسفة المادية المخالفة لقيم ومبادئنا الإسلامية.

-الإبراهيمي ركّز في مشروعه التغييري على إعادة تشكيل الإنسان، وتربيته تربية متكاملة، ذلك أن العمليات التغييرية الناجحة أثبتت أن الإنسان هو مفتاح التغيير باعتباره وسيلة وغاية في المشروع الحضاري وعنصر جوهري فيها.

-أقوى عامل كان سبباً في نجاح تجربة الإبراهيمي التغييرية الحافلة بالإنجازات والأعمال الجليلة التي تمكنت من انتشال الأمة من مغبة التخلف، هو عامل الزمن واستفادته منه واستغلاله إياه الاستغلال الأمثل متبعاً المرحلية في العمل.

-أي منهج للتغير، لا بد له من برنامج عملي واضح المعالم يراعى فيه ترتيب الأولويات تجنباً للارتجالية والفوضى، وأن يدرس الواقع ليضبط التحديات ليتمكن من تحديد أساليب وطرق المواجهة المناسبة.

-الواقعية، الثورية، الشمولية، الانفتاحية، المبدئية، سياسة النفس، الاهتمام بالقـضايا بـدل الأشخاص، واللامذهبية هي أهم الخصائص التي ضبطت مسار التغيير عند الإبراهيمي.

-العمل الجماعي، ومراعاة المعادلة الاجتماعية للأمة، والتزام التدرج والمرحلية، ومراعاة السنن الاجتماعية، وإشراك الجماهير في التغيير؛ هي الشروط الموضوعية والقواعد الأساسية لنجاح أي عملية تغييرية حسب الإبراهيمي.

-بناء المساجد، وإنشاء المدارس، وإصدار الصحف، وتكوين النوادي الثقافية، ونشر الكتب، وإنشاء المطابع، وإقامة الاحتفالات، وتأسيس الجمعيات، وتوفير الأموال الضرورية لإنجاز مشاريع التغيير؛ مجموع وسائل وأساليب عدها الإبراهيمي شيء مهم لنجاح أي عملية تغييرية.

-مجالات التغيير عند الإبراهيمي متنوعة ومتعددة وشاملة، تمس كل ميادين الحياة.

- فهم الإسلام فهماً صحيحاً، ومحاربة الطرق الصوفية المنحرفة، والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد، وتجديد الدين وإحيائه بتطهير العقيدة من البدع و الخرافات وإحياء الفقه الإسلامي بالثورة على الجمود والتعصب المذهبي؛ أهم ما جاء في المجال الديني، والذي شكل جانباً مهماً من جوانب دعوته التغييرية.

-عمله في المجال الثقافي انصب حول الدعوة إلى إحياء اللغة ونشرها في أوساط الشعب الجزائري عن طريق التعليم العربي الحر،والدفاع عنها.

-انشغل بالسياسة بطريقة لا تثير انتباه الحكومة الاستعمارية، وذلك بإحيائه لمقومات الشخصية الوطنية من دين ولغة وتاريخ

-اهتمامه بقضايا الوطن؛ كالمؤتمر الإسلامي1936م، وأحداث 8 ماي 1945م الدامية، والثورة التحريرية التي أسهم في إنجاحها وتأجيج نارها.

-مقاومته للاحتلال الفرنسي والوقوف في وجه مؤمراته ضد الشعب شكلت منهجاً قائماً بذاته، تحرك من خلاله لرد شبهاته وكشف حقيقته وأهدافه. هذه المواجهة العنيفة والشجاعة والصريحة للاستعمار جلبت علية المضايقات والملاحقات البوليسية.

-اهتمامه بقضايا الأسرة باعتبارها الخلية الأساسية لبناء المجتمع، والشباب باعتبار أن إعداده محور هام من محاور التغيير، واهتمامه بقضايا المغرب العربي وقضية فلسطين دليل رفضه للحدود الوهمية التي وضعها الاحتلال لتقسيم جسم الأمة الإسلامية.

الدراسة رقم(2): "وسائل الاتصال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين". قامت الطالبة **مفيدة بلهامل** لنيل شهادة الماجستير، تخصص دعوة وإعلام، سنة 1997/1996م.

هدفت الطالبة من خلالها إلى؛ الإطلاع على وسائل الجمعية الاتصالية(التعليم المسجدي، الاتصال عن طريق الرحلة، الخطابة، التعليم المكتبي، الصحافة، والتأليف)، عن طريق ما تنطق به مصادر الجمعية نفسها من آثار علمائها، ومذكرات أعضائها ومصادرها المكتوبة، والنظر في غاياتها ومدى مساهمتها في عملية تغيير الواقع الجزائري الذي ما فتئ يرزح تحت قبضة الاحتلال الفرنسي.

وقد انتهت الدراسة لمجموعة من النتائج نلخصها فيما يلي:

*__التعليم المسجدي:__ -عودة الجزائريين من جديد إلى القرآن الكريم بعد تيسير عرض المادة القرآنية ليستلهموا منه الحلول لمختلف القضايا العامة منها والخاصة في جميع المجالات، وتوجيه حياتهم على أساس منه وتكوين آرائهم الناضجة والسليمة بعيداً عن التأويلات الجدلية والاصطلاحات المذهبية الضيقة واختلافات العلماء.

-تقديم غذاء روحي باستمرار للعقول والقلوب ممزوج بالقيم الأخلاقية ، المقصود منه تحصين الجزائريين من حملات التشكيك والتشويش التي كانت وسائل الإعلام الفرنسي تقوم بها.

*__الرحلة:__ -أحيت كثيراً من الفرائض الدينية منها فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذلك من خلال ما كانت تبثه من دروس عامة، وخطب دينية وسياسية واجتماعية في مناسبات خاصة تلقى في أماكن معينة أدى إلى ذيوع وشيوع حركة وعي ومواجهة كثير من مظاهر الفساد الاجتماعي ضد مشاريع الاستعمار والطرقية وما تنشره من بدع في الدين.

***التعليم المكتبي:** -مكّن الفرد الجزائري من التفريق بين ما هو إسلام بحسنه وبرهانه، وما ليس منه بنقصه وبطلانه؛ وذلك بمساعدته على قراءة وفهم واستيعاب المادة القرآنية التي كشفت له بدعها وأباطيلها.

-كفل مهمة توعية أفراد المجتمع أن كل ما يمس لغتهم -التي هي روحه لأنها تستوعب كل ذخائره من الفكر و الثقافة والتاريخ والفلسفة والدين - إنما المقصود منه هو دينهم، فينبه شعورهم لصالح شخصيتهم الوطنية وأصالة الانتماء إلى العربية والإسلام، وبالتالي؛ نفورهم التلقائي من سياسة فرنسا

-الفرنسة والتجنس والاندماج - التي استغلت جهلهم وألغت مقوماتهم الذاتية.

-دعاه إلى المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة؛ أي الاحتفاظ والاستفادة بكل ما هو قديم نافع، وعدم الزهد فيما في الحاضر من رقي وتقدم.

***الصحافة:** 1 -كانت منبراً لمعالجة أهم القضايا المصيرية للأمة الجزائرية عن طريق:

أ -تجديد العقيدة الإسلامية لدى الجزائريين.

ب -فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية؛ وذلك بتحرير القضاء الإسلامي والأوقاف الإسلامية، والمساجد، ورجال الدين الإسلامي، وتحرير الحج والصوم من قبضة الاحتلال. وكذا كشف مكائده وادعائه احترام الإسلام.

2 -وكانت منبراً لمعالجة قضايا الأمة العربية والإسلامية:

أ -تعرضت لقضايا الوطن العربي أو الإسلامي الذي خضع في معظمه لأعمال الاستعمار الأوروبي -الفرنسي - واعتبرت نصرتها لهذه الدول هي نصرة للحق الذي تشترك معها فيه الأمة الجزائرية، ورفع الغبن الذي يجمعها تحت قبضته عنها.

ب -الاستقلال يؤخذ بالقوة ولا يعطى، وذلك لا يكون إلاّ بالإيمان مع التصميم، العمل مع الإصرار، المحافظة عليه بعد الحصول عليه.

***التأليف:** قدم التأليف عند جمعية العلماء الصياغة العلمية، الجادة والحضارية للمذهبية الإصلاحية الجزائرية في مجالات الدين والسياسة والتاريخ والوطنية. فقد كانت المؤلفات: **"مجالس التذكير"** للإمام **عبد الحميد بن باديس**، وكتابي**"رسالة الشرك ومظاهره"** و**"تاريخ**

الجزائر في القديم والحديث" لـ**مبارك الميلي الهلالي**، و**"تقويم الأخلاق"** لـ**محمد العابد الجيلالي**، و**"ديوان محمد العيد آل الخليفة"** لـ **محمد العيد آل خليفة**، مجهودات علمية جزائرية نهضوية جادة سجَّلت مساهمة الجزائر في النهضة العربية والإسلامية.

الدراسة رقم(3): "منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس" قامت بها الطالبة **سامية جفَّال** لنيل شهادة الماجستير، تخصص دعوة وإعلام، سنة 2000 - 2001م.

هدفت الطالبة من وراءها إلى؛ كشف المعالم الحقيقية لهذا المنهج التغييري الذي نهجه انطلاقاً من النظر في أقوال الرجل وآثاره، وتحليل مواقفه وأفعاله، والاستعانة بما أطلق عليه من مجموعة الأوصاف والأحكام. **واتبع في بحثه** المنهج التاريخي لأنها درست القضية في موقعها التاريخي لا من خلال النص فقط، والمنهج التحليلي والاجتماعي.

قسمت بحثها إلى مقدمة وثلاث فصول: تناول الأول: المرجعية الإسلامية، الأساس الفكري عند ابن باديس(المرجعية الإسلامية وخصائصها، واقع الفهم للمرجعية في العالم الإسلامي، المرجعية في منهجية التغيير عند ابن باديس وأسسها الفكرية. **وخصص الثاني للحديث عن:** فقه الواقع في منهجية التغيير عند ابن باديس(فقه واقع التغيير ، وسائل فقه الواقع عند ابن باديس ودورها في استقراء منهجية التغيير، أثر الفكر الواقعي في حركة الإصلاح والتغيير). وناقش الثالث: المنهج والتغيير في حركة ابن باديس(أبعاد التغيير، وسائل التغيير وأساليبه في خطة الإصلاح، خصائص منهج التغيير).

وكانت نتائج الدراسة كالتالي:

-أن ابن باديس أبرز النواحي النظرية لعملية الإصلاح والتغيير من خلال تفسيره واستعمل القرآن الكريم كأساس توجيهي تربوي فعَّال.

-ارتكزت منهجيته التغييرية على ما يلي:

*العمل على تغيير الإنسان وبعث نموذج أمثل للفرد الجزائري؛ وذلك بغرس القيم الأخلاقية، واستثارة المواهب والقدرات وتكوين الإطار الاجتماعي الإيجابي وتنمية الإرادة لصناعة التاريخ، والسعي للمحافظة على مقوماته الشخصية الوطنية: الدين، اللغة، التاريخ.

*الإصلاح التربوي، باعتبار أن التغيير الجذري لا يتم حقيقة إلاَّ بالتربية الفعلية التي ترسخ في النفوس مبادئ الحرية وتبعث فيها الأمل والنهوض بالأمة الجزائرية إلى مصاف الأمم الحرة المتطورة.

* وسائل الاتصال والمتمثلة في: المسجد، الصحافة،المدارس، الجمعيات والتنظيمات، لما لها أهمية في إيصال فكرة التربية بين طبقات الأمة وفي الدعوة وفي التغيير والإصلاح وما لها من تأثير بالغ في بث الفكرة الإصلاحية بين الجزائريين وهذا ما قصده ابن باديس في منهجيته وهو **مبدأ التعبئة الشعبية العامة**. وهذا من أهم مظاهر القوة في هذه المنهجية حيث ابتعدت من أن تتصف بمترع نخبوي.

-من خصائص تفكيره؛ قراءة التاريخ والاستفادة من تجارب السابقين واكتشاف أسباب الحضارة وسنن القوة والنهوض والوقوف على السنن الاجتماعية ورسم الخطط المستقبلية مع مراعاة مبدأ التدرج وفقه الواقع ووضوح الهدف بين الوسيلة والهدف وحسن الاستفادة من الإمكانيات.

الدراسة رقم(4): "النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دراسة تحليلية لعينة من صحيفة البصائر1935-1939م"، قام الطالب **نور الدين فليغة** لنيل شهادة الماجستير، تخصص دعوة وإعلام واتصال، سنة 2002م.

هدف الباحث من وراء هذه الدراسة إلى: إبراز النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. **اعتمد المنهج التاريخي، والمنهج المسحي، ومنهج تحليل المضمون**؛ وهو من الأساليب البحثية التي تستخدمها الدراسات الإعلامية؛ حيث قام بإجراء دراسة تحليلية لعينة من أعداد صحيفة البصائر في مرحلتها الأولى الممتدة من 27 ديسمبر 1935م إلى 25 أوث 1939م، وتقدر أعدادها بـ(180)عدداً.

توصل في الأخير إلى أن:

-الوظائف التي سعت جريدة البصائر لتجسيدها تجعل لصحف جمعية العلماء وظائفها المميزة بحكم اتخاذها الإسلام منطلقاً ومرجعاً أولاً، وبحكم طبيعة الظروف التي نشأت فيها ثانياً، وبحكم صدورها عن هيئة علماء ثالثاً.

-أظهرت الروح النضالية لرجال جمعية العلماء من خلال ما كانت تزخر به طروحاتهم وكتاباتهم من مواقف كانت مدداً للحركة الوطنية الجزائرية في نضالاتها، كذلك الوعي الديني والوطني الذي كانوا يتمتعون به مما مكنهم من وضع أنموذج إعلامي لصحف ذات مبدأ عاشت بجهود رجالها العاملين وتضامن الشعب الجزائري دون أن تلجأ إلى الإدارة الاستعمارية لمدها بماء الحياة.

-نشاطها في الميدان الصحفي يتناغم مع بقية أنشطتها التي أضحت بواسطتها من أكبر الحركات الوطنية الجزائرية التي كان آثارها التي لم تستطع عوادي الزمن محوها لارتباط نضالها بمقومات الشعب الجزائري الثلاث: الإسلام ديننا.. العربية لغتنا.. الجزائر وطننا.

الدراسة رقم(5):"البعد الاجتماعي في الفكر الدعوي الباديسي": قام بها الطالب **مخلوف مصطفى** لنيل شهادة الماجستير، تخصص دعوة وإعلام واتصال، سنة 2003م.

هدف الباحث من خلالها إلى:

- إبراز أهمية البعد الاجتماعي في الحركة الدعوية عامة الفكر الدعوي للشيخ عبد الحميد بن باديس خاصة، من خلال إبراز أهم آرائه وأفكاره ومواقفه الاجتماعية. وإبراز ملامح"المنهج" الذي سلكه الإمام ابن باديس ورسم خطته وفقه، والأساليب والوسائل التي اعتمدها في تغييره الاجتماعي، للنهوض بالمجتمع الجزائري خصوصاً والإسلامي عموماً ودفعه نحو التألق من جديد بعد أفول طال أمده.

-محاولة الوقوف على أهم النتائج والمنجزات التي حققتها حركة ابن باديس الإصلاحية والتغييرية.

- محاولة بيان الحق من الباطل الذي ذكرناه آنفاً المتمثل في التشويه والتحريف الذي أصاب تاريخنا عموماً وحركة النهضة والإصلاح خصوصاً، وخاصة منها حركة ابن باديس(كفكرة ومشروع أو كشخص)، بمحاولة رد ودحض ما أثير حولها من شبهات وتحريفات وتأويلات، وبيان أن الفهم الحقيقي لبعض مواقفها وتعاملاتها يجب أن يكون في إطارها الزماني والمكاني، وحتى يتم من وراء ذلك إعادة قاطرة النهضة إلى مجراها الحقيقي، وإعادة تصحيح تاريخ الأمة، وتصحيح بناءها الحضاري.

معتمداً في ذلك على المنهج التحليلي الاستنتاجي، لأن الغرض منها هو البحث عما وراء آراء وأقوال ومواقف الإمام في دعوته الإصلاحية من أفكار وقواعد ومناهج ونتائج تتعلق بالبعد الاجتماعي.

قسم بحثه إلى **مقدمة وفصل تمهيدي، وأربعة فصول وخاتمة.** خصص **الفصل الأول التمهيدي**؛ للحديث عن الإشكالية المطروحة في العنوان من حيث محاولة بيان المكانة الأساسية والأهمية الكبيرة التي يحتلها البعد الاجتماعي في الدعوة الإسلامية كمشروع تغييري شامل وكامل، جاء لإصلاح أوضاع الفرد والمجتمع. كما حاول تحديد بعض المفاهيم الأساسية الواردة في عنوان البحث حتى تكون الإشكالية المطروحة أكثر وضوحاً. ثم كان **الفصل الأول**؛ الذي تناول من خلاله العوامل الخاصة والعامة، القريبة والبعيدة التي أثرت في شخصية وآراء وأفكار ابن باديس الاجتماعية ودفعته إلى الاهتمام بالبعد الاجتماعي في مشروعه التغييري الإصلاحي، وبالتطلع على بعض تصريحاته وكتاباته أو ما كتب عنه. أما **الفصل الثاني**؛ فخصصه للحديث عن أهم التحديات التي واجهها العمل التغييري الباديسي، حيث أن تأثره بالواقع الاجتماعي واهتمامه به، ومحاولاته لإصلاحه وتغييره لم تكن بالأمر الهين والسهل، فقد واجه جملة من التحديات شكلها استعمارين متعاونين: استعمار مادي وهو الاستعمار الفرنسي، واستعمار روحي تمثل في الطرق الصوفية. هذه التحديات التي واجهت ابن باديس كانت على مستويات ثلاث: تحديات خاصة به في شخصه، تحديات خاصة بالجمعية، وتحديات خاصة بقاعدة المجتمع الجزائري. وتناول في المبحث الثاني منهج ابن باديس في مواجهة هذه التحديات على المستويات الثلاثة السابقة. أما المبحث الثالث فقد خصصه للحديث عن أهم المنجزات والنتائج التي حققها ابن باديس على مستوى مواجهته لتلك التحديات، أو على مستوى الأهداف التي كان يرمي إليها من خلال عمله التغييري. قام في **الفصل الثالث** بتبيين محاولات ابن باديس لتغيير الواقع الاجتماعي، والذي كان على ثلاث مستويات: على المستوى الفردي، وعلى المستوى الاجتماعي، ثم على المستوى الإنساني. أما **الفص الرابع والأخير** فتناول من خلاله

الأبعاد المنهجية للتغيير الاجتماعي الباديسي، حيث يؤكد ابـن بـاديس أن الوصـول إلى الأهداف المتوخاة، وتحقيق النهوض الاجتماعي يجب أن يـبنى علـى الـتفكير والتـدبير والتخطيط والتنظيم.

وخلص في الختام إلى أن:

1 -تغيير الذات هو منطلق التغيير الاجتماعي، ويكون ذلك عن طريـق وسـيلة التربيـة الاجتماعية.

2 -الاجتماع والتعاون بين الأفراد ضروري لحياة المجتمع ، وتحقق ذلك مرهون بإقامة شبكة للعلاقات الاجتماعية تربطهم ببعضهم البعض على أن يقوم كل أحد بدوره الاجتماعي تجاه غيره.

3 -إصلاح المجتمع مرهون بتوفر الشروط نفسها التي صلح بها المجتمع الأول(مجتمع النبيع).

4 -من منطلقات التغيير الاجتماعي الباديسي أنه تحرك على مستوى المجتمع، ولم يتعجـل المواجهة المباشرة للسلطة الاستعمارية.

5 -عمق الأزمة التي أصابت المجتمع الجزائري، وجعلته يعيش الضعف والتخلف...يكمن في عالمه الثقافي.

6 - انطلق في محاولاته لبناء العالم الثقافي من ثلاثة محاور: محور الإصلاح العقـدي، محـو الإصلاح الفكري، ومحور الإصلاح الخلقي والسلوكي.

7 - سعى إلى تمكين الشعب الجزائري من استعادة مقومات شخـصيته: الـدين، اللغـة، الوطن. والمحافظة عليها، وهي من الأهداف القريبة التي سعى ابـن بـاديس إلى تحقيقهـا للوصول إلى الهدف الأكبر والمتمثل في نهضة المجتمع الجزائري ونيل حريته واستقلاله.

8 -استعان على تحقيق أهدافه التغييرية بمجموع وسائل أبرزها: الدروس المسجدية، التعليم في المدارس، استغلال النوادي، وإصدار الصحف. وذلك في إطار جماعة منظمة تتشاور فيما بينها، وتتبنى عملاً منهجياً مبنياً على التفكير والتدبير والتخطيط والتنظيم.

ويمكن إجمال الأبعاد المنهجية للفعل التغييري الباديسي فيما يلي:

*بعد الإطار المرجعي(الوحي).

*بعد الوعي والفهم للواقع الإنساني ببعديه الفطري والمعيش المراد تغييره.

*فقه الإنجاز أو مباشرة التغيير أو تتريل القيم والأحكام والتعاليم الدينية التي يؤمن بها على الواقع الاجتماعي، مع العمل على ضمان ذلك واستمراريته عن طريق المرحلية والتدرج في التتريل والإنجاز للمشروع التغييري.

هذه الأبعاد المنهجية مكنت حركته من تحقيق جملة من الأهداف القريبة التي كان يصبو إليها. وتبنى من خلالها الأسس اللازمة لتحقيق الأهداف البعيدة:

***فعلى مستوى الإصلاح العقدي والروحي:** استطاع ابن باديس أن يصحح العلاقة بين المسلم وربه، ويقضي إلى حد كبير على مظاهر الشرك القولية، التي كان ينشرها بعض رجال الطرق الصوفية الزائفة في الوسط الاجتماعي وبتدعيم مادي أو معنوي من الاستعمار الفرنسي.

***وعلى مستوى الإصلاح الفكري:** تمكن إلى حد كبير كذلك أن يعيد للعقل الجزائري وظيفته العظيمة في ممارسة التفكير والتحرر من قيود التقليد والجمود وتسلط رجال الطرق الصوفية، وعقد النقص، والقابلية للاستعمار والانحطاط.

***وعلى مستوى الإصلاح الخلقي:** نجح أيما نجاح في إرساء منظومة للأخلاق الفردية والاجتماعية، فقد تمكن من بناء شبكة للعلاقات الاجتماعية أساسها الأخوة الإسلامية والوحدة المتينة، والتعاون على الخير والتضحية في سبيل الصالح العام.

-أدرك ابن باديس أن أنجع أسلوب لتحقيق ذلك هو انتهاج المرحلية والتدرج في التغيير الاجتماعي، حيث نميز مرحلتين أساسيتين:

*مرحلة العمل الفردي من 1913 إلى 1931م

*مرحلة العمل الجماعي من 1931 إلى 1940م.

-تمكن إلى حد كبير أن يعيد إلى مقومات شخصية الشعب الجزائري الذاتية وأصول هويته الثقافية والحضارية(الدين -اللغة -الوطنية -التاريخ).

الدراسة رقم(6): "جريدة البصائر ودورها الإصلاحي السلسلة الثانية 1947 - 1956م" قامت بها الباحثة **غنية جمّال** لنيل شهادة الماجستير، تخصص دعوة وإعلام واتصال، سنة 2004/2003م.

هدفت الطالبة من خلالها إلى: استجلاء بعض ملامح الصحافة الإصلاحية، وتحديد مدى تفاعلها مع أحداث الواقع وتأثيرها فيه، والمنطلقات والأسس التي اعتمدتها في معالجة مختلف القضايا، وذلك من خلال إلقاء نظرة عامة على الظروف التي استأثرت باهتمامها والأهداف التي سعى أصحابها إلى تحقيقها. وهذا من أجل تحديد دور الصحافة الإصلاحية في توجيه وإرشاد وإصلاح المجتمع الجزائري في ظل الظروف الاستعمارية الصعبة.

دراستها من نوع الدراسات الوصفية التي تستخدم منهج المسح، ومن خلال تحليل مضمون صحيفة البصائر كماً وكيفاً، ومن خلال أداة البحث وهي استمارة تحليل المضمون. وقد اعتمدت في بناء عينة البحث خلال الإطار الزماني للدراسة على أساس بناء ربع سنة متغير لكل سنة من سنوات الدراسة. فاختارت الأسبوع الأول من الشهر الأول ، والأسبوع الثاني من الشهر الثاني، والأسبوع الثالث من الشهر الثالث، والأسبوع الرابع من الشهر الرابع. وهكذا حتى تحصلت في النهاية على ثمانية وعشرين عددا، وباستبعاد العدد الخاص الذي ظهر في العينة وهو العدد(90)(5 ديسمبر 1949م) بقي سبعة وعشرون عدداً.

وختمت بحثها بجملة من النتائج أهمها:

-أهمية الدور الذي قامت به صحف جمعية العلماء في تلك الفترة، كانت أداة إيجابية في نقل الأحداث وتصوير الواقع من خلال تحليله وتفسيره، وبيان دلالاته وأبعاد انعكاساته في الداخل والخارج.

-أدت دوراً إيجابياً في توعية وتوجيه المجتمع إلى ما يحقق خيره وفق التصور الإسلامي.

-تركيزها على زوايا دون أخرى يرجع إلى ظروف الواقع والأهداف، وتصورها لشكل الصراع وشكل وطريقة الحل والمواجهة.

-تكامل دور الصحافة مع دور الوسائل الأخرى التي استعملتها والتي تتمثل في المدارس والمساجد والنوادي وتنظيم وفود الوعظ والإرشاد، وإقامة الندوات والمؤتمرات. وهذا من شأنه أن يساعدها في تحقيق نتائج هامة.

-احتلال الصحافة للموقع الأول كأداة إعلامية في حركة القوى الإسلامية، ليست ظاهرة تقتصر على الجزائر وحدها، بل سبقتها وعاصرتها تجارب كثيرة في العالم الإسلامي، وليس خفياً على أحد مدى تأثير هذه القوى في واقع مجتمعاتها.

-القاسم المشترك الذي يجمع هذه التجارب جميعاً هو دعوتها إلى ضرورة معالجة القضايا المطروحة في مختلف الميادين ومواجهة الأفكار والاتجاهات الغربية من زاوية الرؤيا الإسلامية.

الدراسة رقم(7):"المشروع العلماني الفرنسي وموقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منه" قام بها الطالب **مصطفى هادف** لنيل شهادة الماجستير، تخصص دعوة وإعلام واتصال، سنة 2004م.

هدف الطالب من هذا البحث إلى: الكشف عن الوجه الحقيقي للمستعمِر الذي عمل على إفراغ الشخصية الجزائرية من محتواها القومي الوطني، وإلحاق الوطن المستعمَر بأوروبا، ودراسة تجربة الجمعية الدعوية الإصلاحية والتربوية والتعليمية وتحديها للواقع الاستعماري، واستخدم المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الوصفي.

وفي النهاية ختم بمجموع نتائج أهمها أن:

-المشروع الفرنسي العلماني هدف طيلة قرن ونصف قرن في الجزائر إلى تغيير المجتمع الجزائري بكل أبعاده الدينية والثقافية والإعلامية والسياسية والاجتماعية، حيث سخر كل إمكاناته المادية والمعنوية للقضاء على المقومات الأساسية للمجتمع الجزائري، فقام بـ:

-إبعاد الشرع من القانون المدني، ثم طرده حتى بالنسبة للأحوال الشخصية.

-نشر الثقافة الصليبية عن طريق البعثات التبشيرية، قصد تنصير الجزائريين.

-نشر المعرفة والثقافة الفرنسية؛ ببناء وإنشاء مدارس لتعليم الأهالي -المحضن الذي تم فيه تفريخ وتكوين جيل مهجن ثقافياً -.

-ظهور نخبة إعلامية جزائرية موالية للسياسة الاستعمارية، وقد كانت تقوم بـــدور المبـــشر بمشاريعها.

-سن القوانين الردعية والزجرية قصد إزالة الكيان السياسي للشعب الجزائري، ونزع كـــل مظاهر السيادة، وفرض ظروف سيئة، تحرم الفرد من أبسط شروط الحياة نتج عنها أمراض اجتماعية كثيرة وظروف سيئة.

- وكان رد فعل جمعية العلماء تجاه المشروع العلماني أن نهجت نهج الإصـــلاح التربـــوي والتعليمي أولاً، وذلك لتحقيق هدفين:

*تحصين الأمة الجزائرية من الأفكار الوافدة، والمحافظة على البعد العربي الإسلامي والشعور بالانتماء الحضاري الإسلامي، ونشر الوعي بالمظالم التي يقوم بها الاستعمار.

*بناء صفوة نوعية مثقفة مؤمنة راشدة، مستعينة على تحقيق ذلك بالمـــدارس، والنـــوادي والصحافة. اضطلاعها بهذه المهام، جعلها تكشف حقيقة الاستعمار الفرنـــسي، وتفـــضح أهدافه ونوازعه الاستعمارية. مستعينة بوسائل استطاعت من خلالهـــا أن تـــضطلع بمهمـــة التجديد الإسلامي، وهو الرجوع بالأمة الجزائرية إلى عقائد الإسلام الـــصحيحة، والفهـــم السليم لتعاليمه.

(ج) -**الدراسات التي جمعت بين الخطاب الدعوي وجمعية العلماء:** في هـــذا القـــسم وجدت دراستين: **الأولى**؛ أطروحة دكتوراه للباحث **محمد زرمان** بعنوان:**"الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي". والثانية**؛ رسالة ماجـــستير للباحثـــة **ســـامية جفال: "منهجية التغيير عند ابن باديس".** وقد سبق الحديث عن محتـــوى كـــل واحـــدة وبالتفصيل فيما سبق. تناولت الدراستين منهج التغيير أو الدعوة عند عبـــد الحميـــد ابـــن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي وهما محور دراستي. والفرق بين البحوث الثلاثة؛ أن دراسة السابقين وصفية تحليلية غير مقارنة، عالجت موضوع كل شخصية على حدة، واستخدمت مصطلح**"التغيير"** أو**"الدعوة"** بدل **"الخطاب الدعوي"**؛ استخدما مضمون المركب الإضافي ولم يستخدما المركب لأنه مستحدث.

***قراءة نقدية تقيمية للدراسات السابقة والمشابهة:**

ما من شك في أن الدراسات السابقة؛ سواء الأكاديمية منها أو غير الأكاديمية المؤسسة على دراسات وبحوث تقدمتها في البحث، التي أجريت حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبالأخص حول ا بن باديس كثيرة وقدمت خدمة جليلة للبحث العلمي من حيث التعريف بالجمعية ورصدها لمختلف نشاطاتها، وتحليل آرائها ومواقفها إزاء قضايا وطنية أو عربية إسلامية؛ والذي وفّر على الباحثة الجهد والوقت. كما أثرت المكتبة الجزائرية بمادة علمية رصينة تعد كمرجع للطلبة والدارسين. وقد تناولتها أقلام الباحثين بالدرس والنقاش من زوايا عديدة كل حسب الحقل المعرفي الذي يدور فيه؛ فمنهم من تناول الجمعية من الناحية التاريخية وهي كثيرة، ومنهم من تناولتها من الناحية الأدبية، وآخر تناولها من الناحية الفكرية، ومنهم من كشف عنها من الناحية الإعلامية، ومنهم من عالج أعمالها من الناحية الدعوية؛ وهي قليلة. ونفس الشيء بالنسبة لابن باديس؛ فقد كتب عنه كمصلح اجتماعي، رجل دين، مصلح سياسي، مفكر إسلامي، مفسر قرآن، رجل تربية وتعليم. ولا يسع المقام لذكرها كلها وعرض فحواها مستعرضة بذلك عينة منها على سبيل المثال لا الحصر. وهي متكاملة تخدم بعضها البعض، ومجال البحث في إنجازاتها لا ينتهي، وذلك لثراء رسالتها الدعوية الشاملة والمستوعبة جميع مجالات الحياة.

تبقى هذه الكتابات المتنوعة قليلة، وكثير من الجوانب لا تزال في طي الغموض، إذا ما قورنت بالتضحيات الجسام التي قامت بها الجمعية لأجل رد الاعتبار للدِّين الإسلامي واللغة العربية والوطن الجزائري.

وقد توصلت الدراسات السابقة المتعلقة بجمعية العلماء إلى أنها جمعية دينية ظهرت لأجل المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية، وكانت بمثابة المحرض الأول على إشعال ثورة أول نوفمبر 1954م. استعانت لتحقيق ذلك وسائل تمثلت في: المسجد، والمدرسة، والنادي، الصحافة الحرة، الرحلات الاستطلاعية، المؤتمرات...

وتوصلت الدراسات المتعلقة بالخطاب الدعوي إلى:

-أن الخطاب الدعوي رسالة ربانية مضمونها هداية الخلق إلى نور الإسلام، يؤديها كل منا بحسب استطاعته.

-أن أساليبه الرئيسية التي نصّ عليها القرآن الكريم ثابتة لا تتغير، وهي ثلاثة: أسلوب الدعوة بالحكمة، أسلوب الدعوة بالموعظة الحسنة، وأسلوب الدعوة بالمجادلة بالحسنى.

-أنه قابل للتجديد؛ وذلك بحسب المستجدات والتحديات التي تواجه الواقع المعيش.

-أن وسائله متنوعة؛ تتراوح بين المكتوبة، والسمعية، والسمعية المرئية، فهي تستفيد من تكنولوجيا الاتصال الحديثة التي تتميز بالفعالية والسرعة في معالجة المعلومات ونشرها في وقت قصير.

أما بالنسبة للدراسات التي وردت حول الخطاب الدعوي فهي قليلة جداً، بالكاد تجد كتاب مستقل يتحدث عن الموضوع. في حين يكثر الحديث عنه في الكتابة الإلكترونية خاصة منها المقالات.

وهي النتائج التي انطلقت منها دراسة"الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء" سعياً منها للم شتات الموضوع المتناثر بين طيات صفحات الدراسات.

سجّل على هذه الدراسات بعض الملاحظات كالآتي:

-النقص الواضح في الدراسات حول محمد البشير الإبراهيمي، لأن نشاطه الدعوي ارتكز بشكل كبير في الخارج على عكس ابن باديس.

-غياب التأصيل العلمي للمركب الإضافي الخطاب الدعوي، وهذا راجع لجدة طرحه.

-تركيز كثير من الدراسات على جوانب معينة من حياة الشخصيتان وعلى الأخص ابن باديس، دون اللجوء إلى المقارنة.

الفصل الثاني:أهم المحطات التاريخية التي مرت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أولاً: جمعية العلماء

(أ): نشأتها

(ب): أهدافها

(ج): عوامل نشأتها

(د): خيار المواجهة الثقافية

ثانياً: بطاقة تعريفية وجيزة بعبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي

(أ): ابن باديس

(ب): البشير الإبراهيمي

أولاً: جمعية العلـــــــــــــماء:

(أ) - نشأتها: لا شك في أنَّ إنجاز أي مشروع جماعي ناجح، أو تشييد بناء مـــشترك متين الأساس، يحتاج إلى طاقة بشرية نوعية يشرف عليها قائد؛ يفكر ويدبر، قـــادر علـــى التخطيط والتنظيم والتنفيذ، ذا خُلقٍ ودين، راسخ القدم في العلم، يضع الأمور في مواضعها، يستوعب المتغيرات والظروف الحاصلة دونه، يعمل بتأني ويتبع المرحلية في العمـــل تفاديـــاً للوقوع في الأخطاء.

كل هذه المواصفات وغيرها تجسدت في شخصية **عبد الحميد بن باديس**، باني النهضة العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية في الجزائر، وزعيم الحركة السلفية في الجزائر بعـــد الحرب العالمية الأولى(1914 -1918م)، والداعي الأول إلى تأسيس جمعية العلماء المـــسلمين الجزائريين التي عرَّفها **محمد البشير الإبراهيمي** بأنها: جمعية علمية دينية تهذيبية، تعلم وتدعو إلى العلم، وترغب فيه وتعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تتستر. وتعلم الدِّين والعربية لأنهما شيئان متلازمان وتدعو إليهما وترغب فيهما وتنحو في الدِّين منحاها الخصوصي؛ وهو الرجوع به إلى نقاوته الأولى وسماحته في عقائده وعباداته، ... وتدعو إلى مكارم الأخلاق التي حض الدين والعقل عليها لأنها من كمالها، وتحارب الرذائل الاجتماعية التي قبح الدين اقترافها وذم مقترفيها، وسلكت في هذه الطريق أيضاً الجادة الواضحة، وتريه ما يتعارض منها مع الدين وما لا يتعارض. فهي أداة من أدوات الخير والصلاح، وعامل لا يستهان به من عوامل التربية الصالحة والتهذيب النافع، وعون صالح لأولي الأمر علـــى مـــا يعملون له من هناء وراحة، تشكر أعماله ولا تنكر[1].

تعود البدايات الأولى للتفكير في إنشاء تنظيم يجمع شمـــل العلمـــاء الجزائـــريين، **إلى اللقاءات التي جمعت** عبد الحميد بن باديس برفيق دربه **محمد البشير الإبراهيمي** إثر إقامته بالمدينة المنوّرة، أين **كانا يتدارسان معاً** قضية الجزائر الجريحة، والـــسبيل الأنجـــع للنـــهوض

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(1)(1929 - 1940م)، ص(199).

بوضعها التعيس والمتخلف في جميع ميادين الحياة؛ بسبب السياسة الاستدمارية الجائرة الـتي أتت على جسم وعقل الشعب الجزائري لمدة تزيد عن قرن.

ويحدثنا الإبراهيمي عن هذه الاجتماعات التي وضعت خلالها البرامج المفصلة لنهضة الوطن الأم الجزائر، وتم على إثرها تحديد الوسائل المناسبة التي ستعين الشعب الجزائري على الخروج من دائرة الجمود والجهل فيقول:"وأشهد الله على أن تلك الليالي من عـام 1913م ميلادية هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود؛ إلاّ في عام 1931م"[1].

نادى ابن باديس علماء الدِّين العاملين في الساحة الجزائرية من منبر"**الـشهاب**" سـنة 1925م، إلى ضرورة تشكيل حزب إسلامي إصلاحي يعمل على تطهير الدّين ممـا أدخلـه عليه الجاهلون من خرافات وضلالات، والعودة به إلى أصوله الصحيحة المتمثلة في القـرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة، وذلك بعد مرور شهور من احتفال فرنسا بمناسبة مرور قرن كامل على احتلالها لأرض الجزائر. وقام بتوجيه نداء إلى العلماء الإصلاحيين جاء فيه:"أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري، إن التعارف أساس التآلف والاتحـاد شرط النجاح فهلموا إلى التعارف والاتحاد بتأسيس حزب ديني محض غايته تطهير الدين مما ألصقه به الجاهلون من الخرافات والأوهام والرجوع إلى أصلي الكتاب والسنة ومـا كـان عليه في عهد القرون الثلاثة...إننا نرغب من كل من يستحسن هذا الاقتراح ويلـبي هـذه الدعوة من أهل العلم من كل من يحب الإصلاح أن يكاتب إدارة الجريدة ببيان رأيه حـتى إذا رأينا استحساناً وقبولاً من عدد كاف شرعنا في التأسيس"[2].

الفكرة ذاتها نادى بها **محمد رشيد رضا** من منبر"**المنار**" العلمـاء والمـثقفين العـرب المسلمين، حين دعاهم إلى تشكيل حزب إسلامي عريض يشمل العالم العربي والإسـلامي. والأمر ذاته حدث مع **الأمير خالد** و**الأمير عبد القادر** حين دعيـا إلى تأسـيس جامعـة

[1]- محمد البشير الإبراهيمي:"أنا"(الثقافة؛ مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، السنة الخامسة عشرة، العدد(87)، شعبان - رمضان 1405هـ، ماي/ جويلية 1985م)، ص(18 -19).

[2]- عبد الحميد بن باديس: نداء إلى العلماء الإصلاحيين(جريدة الشهاب، العدد(3)، 26 نوفمبر 1925). نقلاً عن علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر(1925 - 1940)، ترجمة: محمد يحياتن، ً(143 - 144).

إسلامية. وفي هذا قال ج. **ديسبارمي**:"إن هذا التنظيم السياسي المأمول من قبل سابقيه، هو الذي حققته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت غطاء جمعية علمية وحزب ديني"[1].

وقد أرجع ابن باديس سبب الضلال والتمزق الذي يعيشه الشعب الجزائري إلى تفريط العلماء لأمر الاجتماع وانكفائهم على ذواتهم وقبوعهم داخل بيوتهم؛ غير مبالين بما يحدث في الواقع من استبداد المستبدين، واستفحال وباء الجهل الذي هوى بعقله إلى أسفل السافلين فقال:"ما أُصيب المسلمون في أعظم ما أُصيبوا به إلاَّ بإهمالهم لأمر الاجتماع ونظامه، إما باستبداد أئمتهم وقادتهم وإما بانتشار جماعتهم بضعف روح الدِّين فيهم وجهلهم بما يفرضه عليهم. وما ذاك إلاَّ من سكوت علمائهم وقعودهم عن القيام بواجبهم في مقاومة المستبدين وتعليم الجاهلين وبث روح الإسلام الإنساني السامي في المسلمين"[2].

في اليوم الخامس من شهر ماي سنة 1931م، اجتمع لفيف من العلماء تعددت منازعهم ومشاربهم، وتنوعت اتجاهاتهم الدينية: موظفين دينيين في الإدارة الحكومية، وطرقيين وأصحاب الزوايا المستقلة، والعلماء الأحرار خريجي جامع الزيتونة بتونس، وجامع الأزهر بمصر المتأثرين بدعاية المنار في الجزائر العاصمة بنادي الترقي.

وكان الناس أمام هذا الصرح الجديد فرقاً ثلاثة: فريق استراح لها وتفاءل بها ورآها خيراً وبركة على المجتمع الجزائري. وفريق توجَّس منها خيفة وتشاءم منها ورآها شراً عليه، ضم: المعمِّرين، والطرقيين، ودعاة الاندماج والتجنس. وفريق توسط الفريقين الأولين، تحير لم ير الحق حقًا فيتبعه، ولم ير من هذه الجمعية باطلاً فينكره[3].

تدارس المجتمعون أمر الشروع في تأسيس الجمعية، وقاموا بوضع القانون الأساسي للجمعية، صاغه البشير الإبراهيمي، وأقرته الهيئة الإدارية"بالإجماع وقررت ترجمته باللغة الفرنساوية، وتقديمه للحكومة طالبة منها التصديق عليه"[4]

---

[1] - علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر(1925 - 1940)، ص(159)

[2] -عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير(الجزائر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط(1)، 1982)، ص(221).

[3] - محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي(حياته العلمية ونضاله الوطني)(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001م)، ص(215).

[4] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط(1)، 1997)، مج(4)، ج(1)(1929 - 1940)، ص(72).

تم انتخاب أعضاء المكتب الإداري الثلاثة عشر والموافقة عليهم، كان من بينهم عبد الحميد بن باديس الذي أُختير غيابياً[1] رئيساً للجمعية، و لم يحضر إلاّ باليوم الثالث والأخير للاجتماع. كما انتخب محمد البشير الإبراهيمي نائباً له، و**الأمين العمودي** كاتباً عاماً، و**الطيب العقبي** مساعداً للأمين العام، و**مبارك الميلي** أميناً للمال، و**إبراهيم بيوض** مساعداً لأمين المال. إضافة إلى مجموعة من الاستشاريين: **المولود الحافظي، مولاي بن الشريف، الطيب المهاجي، السعيد البحري، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي، ومحمد الفضيل اليراتني**"؛ جمعتهم وحدة المشرب، ووحدة الفكرة، ووحدة المنازع الاجتماعية و السياسية، ووحدة المناهضة للاستعمار"[2].

وعليه؛ فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي: جمعية إصلاحية وجدت بعد نقاش دام خمس سنوات ونصف(نوفمبر 1925إلى ماي 1931م)[3]**؛ لأجل تعليم الدّين واللغة العربية والدعوة إليهما للكبار في المساجد، وللصغار في المدارس، وللشباب في النوادي. كما وجدت لأن تغرس مكارم الأخلاق في النفوس، وتحارب الرذائل الاجتماعية، وتعرف الشعب الجزائري بتاريخ وطنه ودفعه للثورة على الاستعمار ومطالبته بحقه في الاستقلال كغيره من الشعوب. شعارها: الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا. هذه الأقانيم الثلاث هي مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية قديماً وحديثاً ومستقبلاً.**

(ب) -أهـــدافها: جاء في الفصل الرابع من قانونها الأساسي ما يعبر عن غايتها الآنية، ما يلي:"القصد من هذه الجمعية هو نشر الدّين الإسلامي على وجهه الصحيح البعيد عن كل بدعة، ومحاربة كل ما يحرمه صريح الشرع كالخمر، والميسر، والآفات الاجتماعية

---

[1] - يوضح لنا الشيخ محمد خير الدّين رحمه اللّه سرّ غياب الشيخ ، إذ يقول:" ... وأسر إلينا ابن باديس أنه سوف لا يلبي دعوة الاجتماع و لا يحضر يومه الأول حتى يقرر المجتمعون استدعاءه ثانية – بصفة رسمية - لحضور الاجتماع العام، فيكون بذلك مدعواً لا داعياً، و بذلك يتجنب ما سيكون من ردود فعل السلطة الفرنسية و أصحاب الزوايا، و من يتحرجون من كل عمل يقوم به ابن باديس." محمد خير الدّين: مذكرات، ج(1)، ص(105 - 106).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي:"أنا"، ص(22).

[3] - علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940م، ص(149).

الأخرى، ومحاربة الجـــهل، والبطالة، والإسراف، وكل منهي عنه بطبيعته من طرف الدّين، والأخلاق الفاضلة"[1].

ولخص ابن باديس أهداف الجمعية في قوله:"القرآن إمامنا، والسنة سبيلنا، والـــسلف الصالح قدوتنا، وخدمة الإسلام وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا"[2].

يتبين لنا من خلال هذه الكلمات المسطرة في القانون وكلمة الشيخ ابن بـــاديس، أن جمعية العلماء ما برزت للوجود إلاّ من أجل تحقيق **أهداف مرحلية وأخرى حقيقية؛ فأمـــا الأولى** تتمثل في:

أ -تنقية الدّين الإسلامي من شوائب البدع والخرافات، التي ألصقتها به الطـــرق المنحرفـــة الضالة؛ أعوان الإدارة الاستعمارية عن طريق التشهير بها في الجرائد والمجلات، والمحاضـــرات والدروس في المساجد، والنوادي، والجمعيات.

ب -تحرير عقل وروح الفرد الجزائري من أغلال الجهل والأمية، وسلوكاته من الانحرافـــات الأخلاقية الضاربة بأطنابها إلى الأعماق، وتوحيد صف الشعب؛ وذلك بتعليمه اللغة العربية، وأصول الدّين والتربية، والتعريف بتاريخ أجداده المجيد عن طريق فـــتح مـــدارس تـــشرف عليها، وتتولى مسؤوليتها.

ج -مقاومة السياسة الاستعمارية، وكشف حقيقة مشروعها الهادف إلى محو الدين الإسلامي من على أرض الجزائر وتمسيحها، متبعة بذلك سياســـة التنـــصير والإلحـــاد، والفرنـــسة والإدماج...

أما الثانية، فتتمثل في تحرير الأبدان والأوطان بإعلان الثورة التحريرية المسلحة علـــى المستعمر الغاشم وطرده من أرض الوطن، وحصول المواطن الجزائري على الاستقلال التام.

إذن، فجمعية العلماء استطاعت بفضل حنكتها وعلمهـــا بدســـائس ومـــؤامرات الإدارة الاستعمارية، أن تضيف إلى قانونها أهدافاً مرحلية تسمح لها بممارســـة نـــشاطها بشكل عادي ظاهرها تعليم الدّين الإسلامي في المسجد والمدرســـة والنـــادي، ونـــشر

---

[1] - القانون الأساسي لجمعية العلماء ، إصدار المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة (الجزائر) ، بدون تاريخ.

[2] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930 - 1945م)، مج(3)(بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط(4)، 1992)، ج(3)، ص(89).

الأخلاق الفاضلة، وخفيها الإعداد لإعلان الثورة ضد الاحتلال الفرنسي وطرده من أرض الوطن.

(ج) - عوامل نشأتها: تعددت عوامل ظهور جمعية العلماء وتنوعت بين سلبية: السياسة الاستعمارية في الجزائر والطرق الصوفية المنحرفة، وإيجابية: الثورة الباديسية وعودة العلماء المفكرين من الخارج، وجيل المصلحين الأوائل.

1 -سياسة فرنسا في الجزائر: ما إن انتهت الجزائر من جهاد الإسبان الذي دام ثلاثة قرون(1492-1792م) ومن كر **الحفصيين*** وفر **المريين*** بمساعدة الأخوين التركيين البربروسياين والبطلين المغوارين: **بابا عروج** الذي كان له الفضل في إنشاء الدولة الجزائرية سنة 1516م، و**خير الدِّين** الذي حرّر البلاد بشكل نهائي من الحفصيين والمريين. وبعد فشل فرنسا في الاستيلاء على مصر بسبب حدوث مناوشات بينها وبين انجلترا، عمدت إلى فرض سيطرتها على الجزائر كتعويض عن ضياع مصر[1] ومعتبرة إياها قطعة طبيعية منها.

كان ذلك في الخامس من شهر جويلية من عام 1830م حيث استخدمت أسلحتها الفتاكة؛ المادية منها والمعنوية لتحويل مستعمرتها الجديدة إلى أرض فرنسية تتنكر لفاتحيها، ويتنصل أهلها من عقائد دينهم السامية وعادات وتقاليد أجدادهم الأصيلة، وتدين بالدّيانة المسيحية، وتستحوذ على الخيرات الفلاحية والثروات المعدنية بكامل البلاد الجزائرية. وقسمت الوطن إلى قسمين؛ الجزء الشمالي ويحكمه الفرنسيون المدنيون والمقسم إلى عملات فرنسية وهي: قسنطينة والجزائر ووهران، والجزء الجنوبي ويحكمه العسكريون الفرنسيون. يصف لنا **المؤرخ الفرنسي جوليان** عملية احتلال الجزائر بقوله:"كانت عملية مريبة، حملة قادها جنرال ساقط السمعة، وسيَّرها تجار يهود، وشارك فيها سياسيون فاسدون من باريس، ونصر استقبله الرأي العام الفرنسي بعدم المبالاة"[2].

---

* نسبة إلى دولة الحفصيين في تونس(1554/1229م).

* نسبة إلى دولة بني مرين في المغرب الأقصى(1393/1269م).

[1] - ضيف الله محمد الأخضر: محاضرات في النهضة العربية الحديثة(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط(2)،1981)، ص(15-21).

[2] - حاكم المطيري: ابن باديس والغزو الثقافي. http://www.binbadis.net/Dirasat/lire_hakem_almatiri.htm

أعدت لتحقيق ذلك مشروعاً يحطم المقاومة الروحية، ويفسد معنويات الشعب ويقضي على المقومات الأساسية للذاتية الجزائرية(الدين، واللغة، والتاريخ). وقد ارتكزت بنوذه على محاور ثلاثة: "تشويه التاريخ، القضاء على اللغة العربية وتجفيف منابع ثقافتها، محاربة الإسلام"[1]، بعد أن رأت أن عمل المقاومة العسكرية لم يزد الشعب إلاّ إصراراً على المقاومة. ويمكننا عرض باختصار الخطوط العريضة لهذا المشروع باختصار في النقاط التالية :

* **التجهيل**: تمثلت السياسة التجهيلية التي دأبت على تطبيقها في: نشر الجهل والأمية، ومحاربة تعليم القرآن وحفظه ونشر علومه وذلك بتحطيم كل الكتاتيب القرآنية التي بلغ عددها قبل حلول فرنسا أرض الوطن(3000)[2]، وأوصدت باب التحدث باللغة العربية بحرية؛ حيث أصدرت قانوناً يجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية تدرس في جميع أطوار التعليم، وحاربتها باعتبارها لغة أجنبية وعقبة كبرى إلى جانب الدِّين الإسلامي. تعد هذه السياسة التي تمنع الشعب الجزائري من التربية والتعليم أول عمل قام به الاستعمار[3].

فبعد أن اعتبرها في التعليم الثانوي لغة أجنبية؛ قام بتقسيمها إلى ثلاث لغات هي[4]: عربية عامية، عربية فصيحة كلاسيك، وعربية حديثة مودرن. ترك الحرية للطالب بالقسم الثانوي اختيار لغة من هذه اللغات الثلاثة كلغة ثانية للدراسة بعد اللغة الفرنسية الأم. أما التعليم العالي فقد اقتصر تدريسها على المستشرقين وما يخدم أهدافهم في العالم العربي والإسلامي فقط. ولعل فرنسا قصدت من وراء فرنسة التعليم وتحجير تدريس اللغة العربية في جميع المراحل الدراسية كما جاء على لسان كبار رجال السياسة؛ سلخ الفرد الجزائري من مقوماته الشخصية وابتلاعه وبالتالي سهولة إذابته والزج به في الجنسية الفرنسية.

---

1 - محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي(حياته العلمية ونضاله الوطني)، ص(51).

2 - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، ص(97).

3 - رابح تركي: مشكلة الأمية في الجزائر(الجزائر: مكتبة الشعب، 1981)، ص(15).

4 - رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م)، ص(325).

حدث هذا، بعد أن كانت الجزائر تعج بالمتعلمين ومزهرة بالعلماء؛ شهد بذلك الجنرال **فيالار** سنة 1834م حين قال: "وأن العرب كلهم كانوا يتقنون القراءة والكتابة وفي كل قرية كانت توجد مدرستان، أما عدد المدارس فقد كان يناهز ألفي مدرسة. كما توجد معاهد وجامعات في الجزائر العاصمة وقسنطينة ومازونة وتلمسان ووهران إن التعليم في الزوايا الكبرى كان زاهراً وكان لكل طريقة دينية عدة مدارس منتشرة في القطر"[1].

كما عمل على تخفيف منابع الثقافة العربية الإسلامية وذلك بتحويل بعض المراكز التعليمية والتربوية إلى معاهد للتعليم الفرنسي الخالص، والبعض الآخر إلى مخامر ودكاكين وثكنات لجيش الاحتلال ومرابط للخيل؛ لأن فتح مدرسة في نظرها لتعليم اللغة العربية "أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة والذخائر،... ، وأخطر من فتح محششة يدار فيها الأفيون والكوكايين وبقية السموم..."[2].

من أهم مظاهر هذه السياسة، أن الأطفال الأوروبيين المتمدرسين في الطور الأول يدرسون في مدارس خاصة وعلى يد معلمين مقتدرين، على العكس بالنسبة للأطفال الجزائريين الذين لا يتلقى في المرحلة الابتدائية منهم سوى (19%) فقط منهم التعليم، "أما الباقون وهم حوالي(2.400.000) فقد حكم عليهم بالتشرد والجهل..."[3].

نتج عن تدمير المدارس ومنع تعليم اللغة العربية في معاهد التعليم الحكومي، واضطهاد المثقفين الجزائريين ومطاردة المعلمين الأحرار وصرفهم عن التدريس وسجنهم وتغريمهم بحجة أنهم لا يحملون رخصاً رسمية من الدولة؛ نكسة كبيرة تمثلت في هجرة العلماء إلى المشرق وانكماش الدراسات العربية في الجزائر. وهو وضع يبعث على الحزن والأسى.

---

[1] - فرحات عباس: ليل الاستعمار(الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، ط.د، 2005م)، ص(60).

[2] - الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة(الجزائر: دار الهدى)، ص(89 - 90).

[3] - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط(03)، د. ت)، ص(242).

***التفقـــــــير:** تبرز هذه السياسة من خلال توسع الغـــزو العـــسكري في أرض الوطن، وانتزاعه الأراضي الخصبة الشاسعة من الأهالي عنوة وضمها إلى امتيازاته الخاصـــة، وتوزيعها على المستوطنين الفرنسيين والأجانب من الألزاسيين واللوريين والمتوافـــدين مـــن الأراضي الأوروبية، بما فيهم اليهود. قال المؤرخ الفرنسي **شارل أندري جوليـــان:**"ففـــي سنة1832م كان عدد الأوروبيين يبلغ 5000 نسمة تقريباً ...وفي سنة 1846م بلـــغ عـــدد الأوروبيين 110 ألف، منهم 48 ألف فرنسي و62 أجنبي ...، وفي سنة 1866م أصبح عدد المستوطنين يبلغ 200 ألف نسمة..."[1].

وهي مرحلة ثانية جاءت بعد أن أبعد النظام الاستعماري الشعب الجزائـــري عـــن الحكم والمجالس، حيث اعترف الإحصاء الرسمي الفرنسي أن 20 مليون هكتار من مـــساحة الأراضي الفلاحية في كل ربوع الوطن التي تنتج أنواع متعددة من المحاصـــيل: الأعنـــاب، القمح، الشعير، الزيتون، النخيل،...، توزع على الشكل الآتي[2]:

5.000.000 هكتار تملكها الدولة الفرنسية، ومنها أرض الأوقاف الإسلامية المغتـــصبة ومقدارها 1.000.000 هكتار.

4.000.000 هكتار تملكها البلديات، أي النظام الاستعماري الفرنسي، وكـــل هـــذه الأرض يستغلها الاستعمار لفائدته.

2500.000 هكتار، ملك خاص لطائفة المستعمرين"الكولون" وهـــي أجـــود الأرض، وأكثرها خصباً، وأحسنها موقعاً، في الجهات التي تكثر فيها الأمطار، وتوجد بهـــا أعمـــال الري يملكها 26.000 مستعمر.

8.500.000 هكتار، من الأرض القاحلة الجرداء، التي ليس بها ري، ولا تنال من المطر إلاّ قليلاً، بقيت بأيدي الجزائريين، في مناطق الجبال والنجود والصحراء، توزع على تـــسعة ملايين نسمة.

---

[1] - فرحات عباس: ليل الاستعمار، ص(91) وما بعدها.

[2] - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، ص(75).

وبهذا، لم يبق لأرباب الأملاك الحقيقيين بسبب قوانين المصادرات مثل قانون فارني 26 أفريل 1876م، وقانون البحث في الملكية سنة 1853م؛ إلاّ الأراضي الجبلية البور الجدباء في المناطق الجبلية في الشمال، والرملية في الجنوب الصحراوي. كما سلبت منهم الملايين من الأنعام، من غنم وبقر وإبل. وأعطى نابليون الثالث 160 ألف هكتار من أحسن غاباتنا إلى ثلاثين من أصحاب رؤوس الأموال. أما ما تبقى من الغابات فقد حجزته الدولة[1].

عرَّضت هذه السياسة الظالمة المجتمع الجزائري للبطالة والتشرد، وأوقعته في شباك الجوع والفقر المدقع يعيش على فتات موائد المستوطنين، التي أدت إلى انتشار أمراض معدية وأوبئة أودت بحياة الكثيرين إلى الهلاك وانتهت بحدوث مجاعة فادحة سنة 1867م استفادت منها إرساليات التبشير بالديانة المسيحية.

***التنصير وتجفيف ينابيع الدِّين الإسلامي:** تبرز هذه السياسة من خلال عمليات الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية من مساجد ومراكز تعليم ومعاهد ومكتبات إسلامية... وإلحاقها بالإدارة الفرنسية، ثم استغلالها في نشر المسيحية أو بيعها لليهود، وذلك بعد صدور قرار 7 ديسمبر 1830م؛ حيث أحالت بعض المساجد المتواجدة في العاصمة الجزائرية مثل **جامع كتشاوة** إلى كاتدرائية لنشر الديانة المسيحية أُطلق عليها اسم **القديس فيليب Cathedrale Saint Philipe**، والشيء نفسه وقع **لجامع صالح باي** بقسنطينة سنة 1837م، والبعض هدم بغرض فتح شارع جديد، ومنها ما جعلته ثكنة عسكرية، والآخر حولته إلى مرافق عامة؛ محلات تجارية وإسطبلات وملاجئ ومستشفيات. فمدينة الجزائر مثلاً كانت تضم في عام 1830م قرابة 176 مسجداً ومصلى وزاوية، في حين أصبح عددها عام 1862م لا يتجاوز 48 بين مسجد ومصلى وزاوية[2]. كما قامت بتدمير مقابر المسلمين وجعلها طرقات عمومية، وأرسلت رفات الأموات إلى مرسيليا(مدينة بفرنسا) لصنع فحم العظام[3].

---

[1] - فرحات عباس: ليل الاستعمار، ص(91) وما بعدها.

[2] - محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي(حياته العلمية ونضاله الوطني)، ص(55).

[3] -عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر(الجزائر: دار الأمة، ط1، 1999م)، ص(67).

إلى جانب المشروع التنصيري الذي قام به **الكاردينال لافيجري**، هدف من خلاله إلى غزو أفكار الطبقة الضعيفة من الشعب الجزائري مستعيناً في ذلك بجماعة من **الآباء البيض**، مهمتهم تبشير وتنصير الجزائريين وانتزاعهم من رحاب دينهم، عن طريق إدخالهم إلى معاهد دينية متخصصة ومراكز تنصير منظمة ودوراً للأيتام موزعة، انطلاقاً من منطقة **الحراش** بالجزائر العاصمة على كافة القطر الجزائري[1].

رتبت هذه الأعمال إثر الجفاف العظيم الذي حدث في الجزائر في عامي (1867-1868م)؛ نتج عنه مجاعة، راح ضحيتها ثلاثمائة ألف من الجزائريين. أدت هذه الأخيرة إلى انتشار أمراض التيفيود والكوليرا، وحدوث نكسة اقتصادية أدت إلى اتساع دائرة التبشير.

جمع عقب هذه الكارثة من المتضررين ما يزيد عن600 طفل يتيم[2]، وكان قد اختار الأطفال؛ وذلك لسهولة إقناعهم والمقدرة على التلاعب بعقولهم ويسر التأثير عليهم ماداموا لم يتشبعوا بدين أجدادهم بعد، و لم يطلعوا على خبايا ونوايا المنصِّرين.

تلتها بعد ذلك نحو عشرين سنة، جماعة **الأخوات البيض** التي بدأت عملها باحتضان وتربية بعض الأطفال الجزائريين، وتقديم خدمات اجتماعية إنسانية المظهر للأسر الجزائرية. ولإثبات حقيقة ما تقوم به هذه المؤسسة التبشيرية، يستعرض لنا **جورج غويو** نشاطها في مقدمة اكتتبها وضعت لكتاب مصور، جاء فيها ما يلي:"يستحسن النظر إلى الأخوات البيض في القرى المسيحية ببلاد القبائل على الخصوص، فهناك ينتقلن بكل حرية. إن التأثير الذي يحدثنه في تلاميذهن المسيحيين يمتد إلى الأسر التي تعهد بهم إليهن، ويمتد من وراء ذلك إلى الأسر التي يؤسسها فيما بعد أولئك التلاميذ. إنهن يعرفن الابتهاج الذي تحدثه إقامة المسيح كحجر زاوية لبعض الأسر. إن الإسلام كان قد طرد المسيح، وها هن الأخوات البيض ، من أجل إعادة المسيح حتى تستقر مملكته من جديد في هذه الديار يعملن

---

[1] - محمد عيسى: خصائص الفقه الباديسي ومعالم المدرسة الفقهية الباديسية -في ضوء آثار الإمام عبد الحميد بن باديس -(الموافقات: مجلة علمية أكاديمية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصدرها دورياً عن المعهد الوطني العالي لأصول الدِّين -مولود بلقاسم نايت بلقاسم - بالجزائر، العدد السادس، السنة السادسة،1418هـ/1997-1998م)، ص(527).

[2] - عبد الباسط دردور: أقطار المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغربي(طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط(01)، 2002م)، ص(290).

فردياً بروح الفتح المتواضعة، وبذلك المزيج من الصبر والتسرع الذي كان يطبع، منذ عهد التاريخ الإنجيلي، الطموحات العالية للابن رسول الأب"[1].

لم يكتف أسقف الجزائر بتنصير الأطفال؛ فذهب إلى الجمع بين سكان بلاد القبائل والفرنسيين وزعم أنهم ينحدرون من أصل واحد وهو الأصل الروماني الأوروبي أي من بلاد الغال"**La Gaule**" بجنوب فرنسا وليس من شبه الجزيرة العربية، وأن أرض الجزائر تتكون من عرب يتكلمون اللغة العربية، وسكان بربر يتحدثون باللغة الأمازيغية أرضهم بلد أوروبي كما كتب ذلك الجنرال **بريمون** على غلاف كتاب له بعنوان"**البربر والعرب**"[2]، قصد بث النزاعات والخلافات العرقية وإقناعهم بقبول فكرة الإدماج وأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا حاضراً ومستقبلاً.

ولكن عمليات الإرساليات الدينية التبشيرية التي نادت بالنعرة البربرية خابت في صد الشعب الجزائري عن دينه؛ لصلابة معدنه ومقاومته العالية للمغريات بكل أشكالها وألوانها،"الواقع أن التبشير مع طول المدة واستكمال العدة لم يلق النجاح الذي يتناسب مع الجهود المبذولة فيه، والسبب الأكبر في ذلك يرجع إلى شيء واحد هو تصلب الجزائري في دينه مهما بلغت به العامية والأمية والفقر"[3].

***الفرنسة**: في مجال الفرنسة، سعت فرنسا إلى محو الهوية العربية الإسلامية وذلك بإدخال تعديلات وتغييرات على الإدارة الجزائرية وفرنستها فرنسة كاملة، وفرنسة المحيط الاجتماعي بتحويل أسماء المدن والشوارع والأحياء والساحات...من العربية إلى الفرنسية، بأسماء لشخصيات فرنسية عسكرية منها وحاكمة مثل مدينة **سكيكدة** التي كانت تسمى يومها**Philippeville**، ومدينة **الشلف** **Orleanville**.

---

[1] - محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي(حياته العلمية ونضاله الوطني)، ص(61-62).

[2] - المصدر نفسه، ص(59).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(1)(1929 - 1940)، ص(197).

واستهدفت المحاكم القضائية الإسلامية، بإحلال القضاة الفرنسيين مكان القضاة الجزائريين، وإلغاء كل ما له علاقة بالمحاكم الشرعية من مجالس استشارية والمجلس الأعلى للقضاء الإسلامي... متبعة في ذلك سياسة **الأميرال دي جيدون** "يجب أن يزول القاضي المسلم أمام القاضي الفرنسي. إننا نحن الغالبون"[1].

كما عملت على توسيع انتشار دائرة اللكنة الدارجة في الوسط الاجتماعي وجعلها اللغة الرسمية بدل اللغة لعربية؛ وبالتالي سهولة إدماجهم في الوطن الأم فرنسا، حيث نصت إحدى التقارير التي وضعت سنة 1848م على أن:"الجزائر لن تصبح فرنسية إلاَّ عندما تصبح اللغة الدارجة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام العربية، وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا، وتمثيلهم بنا، وإدماجهم فينا، وجعلهم فرنسيين... فأغلقوا يوم احتلوا البلاد أكثر من ألف مدرسة."[2].

وبهذا، انخفضت نسبة التعليم بصورة مهولة في فترة وجيزة بشهادة الفرنسيين أنفسهم؛ قال **دوما:**"إن التعليم الابتدائي كان أكثر انتشاراً مما يتصور عادة، إن علاقاتنا مع أهالي المقاطعات الثلاث قد برهنت على أن معدل الأفراد الذكور الذين يعرفون القراءة والكتابة كان على الأقل يساوي المعدل الذي تظهره إحصائيات المحافظات بالنسبة إلى أريافنا... وفعلاً فقد كانت مدينة الجزائر تعد في عام 1840م نحواً من 24 مسيد في وقت كان فيه سكان المدينة من الجزائريين لا يتجاوز 12000 نسمة... وهذا العدد من أمكنة التعليم انخفض بعد ست سنوات إلى 14 فقط، وقد كان تلاميذ هذه المدارس يعيشون في الرفاهية، ثم أصبحوا يعانون من بؤس شديد، لأن السلطات الفرنسية كانت قد استولت على الأوقاف التي كان يخصص ريعها للتعليم. ونفس الملاحظة تصدق على سائر جهات الجزائر"[3].

---

[1] - صالح فركوس: نحو تأصيل إسلامي لتاريخ الجزائر، أصالة و تغريب، مشروع فرنسا الصليبية و المجابهة الإسلامية(الجزائر: دار الكوثر، د. ط، 1991م)، ص(70).

[2] - محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي(مصر: دار الشروق، ط(1)، 1411هـ-1991م)، ص(324).

[3] - محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي، ص(55).

وضيقت من دائرة استعمال اللغة العربية وحصرها في المساجد وبعض الزوايا؛ باعتبارها لغة قروسطية انطفأت جذوتها، قصد تكوين جيل جديد ممسوخ ومقطوع عن جذوره الأصلية وانتماءاته الحضارية فلا هو عربي ولا هو فرنسي[1]. وأنشأت مدارس ابتدائية بديلة، منها المدارس(**الفرنسوية الإسلامية Franco-Musulmane**)في الجزائر العاصمة وبعض المدن الأخرى ابتداءً من عام 1836م، و**المدرسة الثعالبية** للتعليم الثانوي في عهد الحاكم الفرنسي **جونار** سنة 1904م. كان إقبال أبناء الأهالي عليها ضئيلاً جداً تخوفاً من التعليم الرسمي المقصور على تعليم لغتها الفرنسية وتاريخها؛ مما أدى إلى انتشار الأمية، وتصاعد مد اللهجات العامية الدارجة منها والأمازيغية، وظهور طوائف تنكرت لمقوماتها الشخصية والوطنية، وآثرت الالتحاق بركب الحضارة الغربية؛ إلاّ أنها لم تتمكن من تحقيق ما كانت تصبو إليه بشكل كبير، وقاوم الشعب الجزائري الفرنسة.

وهذه شهادة واحدة من بني جلدتهم تتكلم بلسانهم تبرر سبب رفض المجتمع الجزائري للفرنسة فتقول:"وبدأ الصراع يوم بدأ المحتل يرفض لسانه وتفكيره وأسلوبه في الحياة مستعملاً المدرسة والمستشفى، والمعلم والطبيب... ورد المسلمون الهدية المسمومة لصاحبها الذي قضى حوالي عشرين سنة(1830 - 1850م) يحدث المدارس فلا يجد لها تلاميذ، وينشئ المستشفيات فلا يتردد عليها المريض، وتعددت الصعوبات في وجه المحتل وكثرت، وأصبح الدين الإسلامي كالإسمنت المسلح يحمي من التفكك والاندماج"[2].

ولاقتلاع القرآن من نفوس شباب الجزائر، اختارت الحكومة الفرنسية عشر فتيات مسلمات جزائريات وأدخلتهن المدارس الفرنسية للتعلم؛ فأصبحن كالفرنسيات تماماً. وبعد مرور إحدى عشرة سنة من الجهود، أعدت لهن حفلة تخرج حضرها الوزراء والمفكرون والصحفيون. وعند الإعلان عن بداية الحفلة فوجئ الحضور بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري؛ فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا

[1] - محمد مرغيت، موقف الشهاب من قضايا معاصرة 1925 - 1939(رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2002، 2003م)، ص(190 - 191 - 192).

[2] - المرجع نفسه، ص(190 - 191 - 192)

في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً!؟. أجاب وزير المستعمرات الفرنسي **لاكوست**: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!!![1].

تبين هذه الحادثة الطريفة أن الإنسان العربي الأصيل الصليب المعدن يبقى متمسكاً بأصوله وثوابته تمسكاً شديداً مهما حاولت رياح التغيير والتغريب القوية أن تحركه من مكانه.

***الإدماج**: أرادت فرنسا من خلال هذه السياسة أن تذيب شخصية الفرد الجزائري، بسلخه من مقوماته لا هو فرنسي فيشترك مع الفرد الفرنسي في التمتع بالحقوق ووظائف الدولة الإدارية والقضائية والعسكرية، ولا هو جزائري يفتخر بانتمائه للدِّين الإسلامي. فهي تريده خادماً لا ينتمي إلى أي أصل أو عرق؛ "فالغنم كله للفرنسيين والمتفرنسين، والغرم كله على الجزائريين المنكوبين"[2].

خصت الشعب بقانون اندماجي يسمى **قانون الأهالي** أو **قانون الأنديجينا**[3]، يدعوه إلى التنازل عن قانون الأحوال الشخصية والتجنس بالجنسية الفرنسية، ويختار له الوظيف، وأي مخالفة ترتكب سواء تكلم في فرنسا بسوء، أو فتح محلاً بدون إذن، أو تأخر عن دفع الضرائب، أو ...، أو...؛ تعرض صاحبها إلى العقوبة. وبخصوص هذا القانون الجائر، يصف لنا الزعيم المصري **محمد فريد بك** في مقال نشره في جريدة اللواء المصرية في 9 أكتوبر 1901م حال الجزائريين في ظل القوانين الاستثنائية، وذلك إثر زيارته لها عام 1901م فقال:"يعاملون المسلمون في الجزائر بقوانين مخصوصة في غاية الشدة والصرامة فهم محرومون من حرية الكتابة، وحرية الاجتماع، بل ومن السفر والانتقال، وحرية المطالعة للكتب، والجرائد. ومن الغريب في بلاد الجزائر أنه لا يجوز للعربي أن يسافر خارج المركز الذي يقيم

---

[1] - جلال العالم: قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله(الجزائر: دار الهدى، د. ط، د. ت)، ص(38 -39).

[2] - الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، ص(57 - 58).

[3] - وهو عبارة عن"مجموع القوانين الاستثنائية التي فرضت على الشعب الجزائري منذ عام 1874م، بعد تحطيم مقاومته المسلحة بقيادة المقراني، ... و كان الهدف من هذه القوانين هو منح المسئولين المدنيين السلطات الزجرية الاستثنائية التي كانت بيد الضباط العسكريين لفرض عقوبات على القبائل الثائرة." أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط، 1985م)، ص(23).

في دائرته إلاَّ بإذن البوليس يبين له فيه الجهة التي يقصد الذهاب إليها، والمدة التي يمكنه التغيب فيها عن قريته أو مدينته، وعليه أن يتوجه لمركز البوليس في الجهة التي يقصدها بمجرد وصوله إليها كي يعلم له على الجواز...ثم يقول:"وبالجملة فقد كانت حالة الجزائريين في ظل القوانين الاستثنائية الأنديجينا المذكورة حالة لا تطاق، وكان الضيق الأكبر يختنقهم من كل جهة وأحكام الأنديجينا الصارمة تنزل على رؤوسهم كالكابوس الرهيب.."[1].

وفرضت على المتمدرسين المسلمين أن ينشدوا:"كان أجدادنا من الغاليين، وكانت بلادنا في القديم تسمى غالياً، وأن يتشرفوا بالانتساب إليهم! والغرض من هذه المحاولات إنما هو الإدماج"[2]. وعبَّر الشعب الجزائري المسلم بفضل الإسلام باسم المنظمات الوطنية عن رفضه لهذه الأنظمة الهاضمة لحقوقه بتنظيم مظاهرات في الشوارع، ونشر مقالات تنديدية في الصحف والجرائد.

وهكذا، بذلت فرنسا طيلة 125 سنة كل مساعيها وجهودها، واستخدمت كل الوسائل التدميرية من فرنسة، وتنصير، وإدماج، وتفقير، وتجهيل لإنجاح مشروعها الاستغلالي الانتهازي؛ مستهدفة بذلك تحطيم الشخصية القومية للشعب الجزائري بمحو مقوماته الأساسية: الثقافة العربية، اللغة العربية، الدين الإسلامي، التاريخ الوطني والقومي للجزائر، وجغرافية القطر الجزائري بشرياً وسياسياً واقتصادياً وطبيعياً. إلاَّ أن هذه المحاولات الاستعمارية اليائسة باءت كلها بالفشل الذريع وأسفرت عن قيام ثورة مسلحة"لا تزال تدهش الدنيا بوقائعها، ولا تزال تسجل بدمائها صفحات الروعة والجلال، في ميدان البطولة، فوق الأرض الجزائرية الكريمة التي عجنت منذ قديم الأجيال، بدماء الأبطال، في ميادين الكفاح والنضال"[3].

---

[1] - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة(الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، ط(02)، 2003م)، ص(119).

[2] - عبد الحميد بن باديس: ابن باديس حياته وآثاره، مج(4)، جمع ودراسة: عمار طالبي(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط(02)، 1403 هـ/ 1983م)، ج01، ص(49-50).

[3] - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، ص(58).

2 -جيل المصلحين الجزائريين الأوائل: عرف العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهور نخبة من المصلحين المجددين، ينتمون إلى المدرسة الإصلاحية السلفية التي تعود أصولها إلى مدرسة شيخ الإسلام **ابن تيمية**، وتلميذه **ابن قيم الجوزية** التجديدية أواخر القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن الهجريين. جوهر دعوتها هو العودة إلى الإسلام الأول الصافي.

ومن بين التنظيمات الجماعية الإصلاحية التي حذت حذوهم الحركة الوهابية نسبة إلى **محمد بن عبد الوهاب**(1703 - 1792م) بالجزيرة العربية، والحركة السنوسية نسبة إلى **محمد بن علي السنوسي** (1787 - 1859م) بشمال إفريقيا ووسطها، **والحركة المهدية** نسبة إلى **محمد أحمد بن عبد الله الحاج الشريف**(1844 -1885م) بالسودان، حركة الإخوان المسلمين أسسها **حسن البنا**(1906 -1949م) بمصر، **وحركة الجماعة الإسلامية** مؤسسها **أبو الأعلى المودودي**(1903 - 1979م) بالباكستان. ومنها التي يغلب عليها الطابع الفردي، أو أميل إلى الصبغة الفردية المتناثرة هنا وهناك، مثل: **رفاعة الطهطاوي**(1801 -1873م) بمصر، **خير الدّين التونسي**(1225هـ،1810م/ 1308هـ،1889م) بتونس، **أحمد خان**(1817 -1898م) بالهند، **جمال الدِّين الأفغاني**(1838 -1897م) بين الهند ومصر وتركيا، **محمد عبده**(1849 -1905م) بمصر، **عبد الرحمان الكواكبي**(1854 -1902م) بسوريا[1].

[1] - قسَّم عبد المجيد النجَّار إنجازات الأعلام المصلحين منذ قرنين ونصف إلى ثلاثة مشاريع:

*__المشروع السلفي:__ ضمَّنه ثلاث حركات ظهرت في القرن الثامن عشر: الوهابية، والسنوسية والمهدية. سمَّاه بهذا الإسم؛ لاشتراكها في التحديات التي واجهتها العقدي والمتمثل في شيوع الخرافة، والأفكار الوثنية اعتقاداً وسلوكاً. و السياسي تمثل في تحدي السلطة السياسية والمتمثل في فساد نظام الحكم العثماني الضعيف. والخارجي تمثل هجوم الغزو الأجنبي الغربي على الأمة الإسلامية إما عن طريق التدخل العسكري المباشر أو عن طريق التحكم في اقتصاد البلاد، أو.....،....

*__المشروع التحرري:__ سمَّاه بهذا الاسم؛ لأن أصحابه رأوا بأن الأمة الإسلامية لن تتحضر إلاَّ بعد أن تتحرر من الاستبداد في الفكر والإرادة السياسية والاجتماع، مثلما حدث مع الحضارة الغربية. ضمّنه مصلحون وقفوا من الحضارة الغربية موقف انبهار(السيد أحمد خان في الهند، والطهطاوي في مصر، وخير الدِّين التونسي في تونس)، ومصلحون نادوا بضرورة التفتح على الغرب، والانتفاع من العلوم والصناعات والنظم التقنية بالأخص دون الخروج عن الأطر الشرعية(جمال الدِّين الأفغاني، محمد عبده، عبد الرحمان الكواكبي، عبد الحميد بن باديس، عبد الله النديم، محمد رشيد رضا، شكيب أرسلان، عبد العزيز الثعالبي، ومحمد الطاهر بن عاشور).

*__مشروع الإحياء الإيماني الشامل:__ سمَّاه بهذا الاسم؛ لأن القائمين يعمدون من خلال تجاربهم النهضوية إلى إعادة بناء المسلم بناءاً شاملاً، وإحيائه إحياءاً إيمانياً جديداً بحيث تصاغ شخصيته بصياغة الإيمان الشامل، ويتم ذلك في إطار الجماعة يتوسع شيئاً فشيئاً حتى لا يلبث أن يفضي=

جهود هؤلاء المصلحين أثارت إعجاب رواد نواة الحركة الإصلاحية الجزائرية خاصة منهم جمال الدّين الأفغاني، وتلميذه الشيخ محمد عبده ورشيد رضا وتلاميذهم. هذا التأثر يعود بالأساس إلى الزيارة التي قادت الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة 1904م، قاصداً النظر في أحوال المسلمين وحثهم على التعليم والتربية؛ لأنها هي أساس الإصلاح، ودعاهم إلى عدم الاشتغال بالسياسة لأنها من السوس.

كما يعود إلى الاحتكاك الثقافي الذي يبرز من خلال الجرائد، والمجلات، والكتب الإصلاحية التي تردهم من بلاد الشام والحجاز وتونس والمغرب الأقصى عبر مجرى سري؛ عن طريق الحجاج والمعتمرين والطلبة المتمدرسين بجامع القرويين والزيتونة والأزهر. عبّر عنه أحد الكتاب الفرنسيين بقوله:"لقد كان هناك مجرى سري؛ ولكنه غزير ومتواصل من الصحف والمجلات الشرقية التي أعانت المغاربة في مجهوداتهم الإصلاحية وجعلتهم مرتبطين أبداً بالرأي العام العربي"[1]. تعدها السلطات الاستعمارية من المواد الممنوعة التي يحرم تداولها، فراحت تقيم حظر التجول عليها، وتستصدر قوانين بمنع دخولها إلى أرض الوطن مثل: جريدة **"اللواء اليومية"** لسان حال الحزب الوطني المصري لـ **مصطفى كامل** في مصر، جريدة **"المؤيد"** لـ**علي يوسف**، مجلة **"العروة الوثقى"** التي يصدرها جمال الدين الأفغاني رفقة تلميذه محمد عبده اللذان قررا إنشاءها"لتكون الوسيلة إلى توعية الإنسان فيعرف ما عليه من واجبات، وما له من حقوق، والأسباب التي جعلته في يوم ما قوياً، وصيَّرته أخيراً بسبب التفريط فيها ضعيفاً. إلى جانب تقوية الروابط الروحية بين سائر أفراد الأمة الإسلامية"[2].

و**"المنار"**؛ مجلة أسبوعية عربية كان جمال الدين الأفغاني مدير سياستها والشيخ محمد عبده محررها. تتولى الإنفاق عليها جمعية اسمها **جمعية العروة الوثقى** ذات فروع في الهند

=إلى الأمة لإسلامية حينئذٍ يمكن أن تستعيد هذه الأمة دورة التحضر من جديد. ضمّنه: حركة الإخوان المسلمين بمصر، وحركة الجماعة الإسلامية بالقارة الهندية. للمزيد أنظر؛ كتاب الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، ج(3).

[1] - محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية(نشأتها– تطورها– أعلامها) من 1903 إلى 1931، مج(02)(الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د. ط، 1978)، ج(01)، ص(55 - 56 - 57).

[2] - ضيف الله محمد الأخضر: محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ص(63).

ومصر وغيرهما من أقطار الشرق الإسلامي، تعمل على إنهاض الدول الإسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها... وقد أخذت هذه الجريدة من قلوب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً، ما لم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه. وهي ذات أثر في كل ما جد بعد من الحركات الوطنية والحرية في بلاد الشرق. اعتبرها **عبد القادر المجاوي**[1]، **ومحمد بن مصطفى الخوجة** [2]، **وعبد الحليم بن سماية**[3]، وغيرهم مدد الحياة، وهم على صلة وثيقة بها حيث يقول رشيد رضا:"وقد عهد محمد بن مصطفى الخوجة والشيخ عبد الحليم بن سماية إلى الشيخ محمد عبده أن يوصي صاحب المنار بأن لا يذكر في مجلته دولة فرنسا بسوء، لئلا تمنع المنار من الجزائر... وقالوا له:"إننا نعده مدد الحياة لنا فإذا انقطع؛ انقطعت الحياة عنا"[4]. ووجد قراء الكتابات الشرقية في هذا البريد الوافد ما يروحون به عن أحزانهم وهمومهم، ويعبر عن آلامهم وآمالهم، ويغذي أفكارهم، ويعالج شؤون وطنهم، ويهتم ويتابع أحوالهم، ويطلعهم على أخبار الوطن العربي والإسلامي.

لم تتمكن المبادرات الإصلاحية الفردية من انتشال الشعب الجزائري مما هو فيه من تخلف وجهل وتقهقر مستوى الحياة الاجتماعية المعيشية، والحياة الفكرية والدينية، وضعف جذوة الغيرة الدينية واللامبالاة، وانتشار الأفكار الباطلة في وسط الشباب على الخصوص رغم كفاءتهم العلمية العالية، ومحاولاتهم الجادة لإنعاش الحياة الدينية والثقافة العربية

[1] - من مواليد سنة1266 هـ أو 1267هـ (1848م). عدّه علماء زمانه واحداً من فقهاء تلمسان، له مؤلفات عديدة في التربية ورأى أن سلطان البدع والخرافات لا يذهب بأسه، و لا تكون هناك نهضة إلاّ إذا تعلمنا و علمنا أولادنا العلوم و المعارف المفيدة. وعاب طرق التعليم ومناهج الإصلاح المعهودة آنذاك و وصفها بأنها قديمة لا تؤثر في المتمدرسين. تولى منصب مدرس حر لأول مرة بقسنطينة سنة 1869م،... و بالمدرسة الثعالبية في الجزائر العاصمة سنة 1905. توفي بمدينة قسنطينة في شهر ذي القعدة سنة1913م. وقيل أنه مات مسموماً. عبد الحميد بن باديس : ابن باديس؛ حياته و آثاره، ج01، ص(19) وما بعدها.

[2] - من مواليد سنة 1865م بالجزائر العاصمة، اشتغل كاتب في جريدة " المبشر" من سنة من1886 إلى1901، ومدرس في المسجد ابتداء من سنة 1895م. كان يترقب مثله مثل غيره من المصلحين الجزائريين وصول كل ما هو قادم من الشرق الكتب و الجرائد و المجلات خاصة منها ما هو لمحمد عبده و رشيد رضا. فما بلغه تفسير سورة العصر أعاد تدريسه على الطلبة و العامة عشر مرات. توفي في سبتمبر 1917م. عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس حياته و آثاره، ج(01)، ص(34) وما بعدها.

[3] - من مواليد سنة 1866م بالجزائر العاصمة، برع في بعض العلوم مثل علم الحساب و الفرائض، شغل مدرس اللغة العربية بالجزائر العاصمة. و يعد أول من درّس كتابي أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، كان من الذين يتابعون تطورات الحركة الإصلاحية بالمشرق العربي. تأثر بأفكار وكتابات المصلح محمد عبده منها كتاب رسالة التوحيد التي كان يدرسها لتلامذته. توفي في 04 جانفي 1933م، إثر إصابته بمرض عقلي بسبب ما لاقه من الاستعمار من تنكيل و تعذيب. عبد الحميد بن باديس: ابن باديس؛ حياته و آثاره، ج(01)، ص(28) وما بعدها.

[4] - محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية(نشأتها– تطورها– أعلامها) من 1903 إلى 1931، ج(01)، ص(33 -34).

الإسلامية، وتشييدهم المدارس في مختلف أنحاء القطر، وإصدارهم للصحف التي تدعو إلى التعلم والتنديد بسياسة الاستعمار والثورة على البدع"لا تعدو أن تكون محاولات فردية محدودة النطاق ومحدودة المفعول أيضاً قام بها أفراد قلائل ممن تأثروا قليلاً أو كثيراً بدعوة الإمام محمد عبده الإصلاحية التي كانت تنقلها لهم مجلة المنار لرشيد رضا، أو ممن وقعت في أيديهم أعداداً من مجلة العروة الوثقى، أو مما كانوا على صلة بالجرائد والمجلات العربية التي تصدر في الشرق العربي"[1].

ويرجع سبب فشل دعوة هؤلاء المصلحين بالدرجة الأولى إلى كونهم يعملون كموظفين رسميين لدى الحكومة؛ مما سهل على السلطات الاستعمارية مراقبة نشاطاتهم الإصلاحية، وبخاصة وأن هذه الجهود جاءت بعد فشل الثورات الشعبية المسلحة[2].

خلفت هذه الجهود الإصلاحية أعمال ومنجزات لعلماء ومصلحين جزائريين شكلوا القاعدة الأساسية المتينة الأولى لجمعية العلماء، ووضعوا حجر الأساس للدعوة الجماعية المنظمة في الجزائر.

3 -ابن باديس والثورة التعليمية: بعد مضي أكثر من أربع سنوات قضاها عبد الحميد بن باديس متنقلاً من بلد إلى آخر، لتحصيل مختلف العلوم والمعارف الدينية والدنيوية؛ آب إلى مسقط رأسه عاملاً بنصيحة شيخه **أحمد حسين الهندي** الذي أشار عليه بضرورة العودة إلى وطنه؛ لتعريف الشعب الجزائري بدين الإسلام، ومقارعة الاستعمار.

وجد ابن باديس مجتمعه يسبح في بحر الجهل والانحلال الخلقي، يحمل أفكاراً دخيلة مسمومة تنظر إلى الدّين الإسلامي على أنه دين متخلف لا يساير التطور الحضاري. كما

[1] - رابح تركي: ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر (الأصالة؛ مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد (24)، السنة الثانية، ربيع 1 - 2، 1395هـ مارس - أفريل 1975م، ص (77).

[2] - أشهرها على الإطلاق: حروب المجاهد الهاشمي الحسيني الأمير عبد القادر التي قادها ضد القوات الفرنسية، دامت من سنة 1832م إلى 1847م، والتي انتهت باستسلامه للاستعمار في 23 ديسمبر 1847م ، ثورة أولاد سيدي الشيخ، والتي استمرت خمس سنوات (1864 - 1869)، ثورة بلاد القبائل1871م بقيادة الباش آغا محمد المقراني و مساعده الشيخ ابن الحداد شيخ الطريقة الرحمانية). للمزيد من التفاصيل أنظر أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر ، ص(28 - 29).

وجد شباباً غارقاً في لج المدنية الغربية متنكراً لتاريخه ولغته، يؤمن بما تنشره الإرساليات التبشيرية من معلومات مزورة.

ورأى أن الحل الأنجع لتحرير الفرد الجزائري من ربقة الجمود ورفع المعاناة عنه؛ هو التربية متأثراً في ذلك بمنهج الشيخ **محمد عبده** الذي أكد على أن التغيير لا يتحقق إلاّ عن طريق التربية؛ أي بإصلاح برامج التعليم. وعدّ البشير الإبراهيمي:"أن أول صيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح الديني والعلمي في الجيل السابق لجيلنا هي صيحة إمام المصلحين الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه وأنه أندى الأئمة المصلحين صوتاً وأبعدهم صيتاً في عالم الإصلاح"[1].

وأن إعلان الثورة على الاستعمار الفرنسي في مثل هذه الأثناء شبه مستحيل؛ لغياب الوعي الديني والوطني، وفقدان الزعماء المعاونين السياسيين الجزائريين الناصحين، وتصاعد مد اضطهادات القوات العسكرية الشرسة، وتشدد المراقبة حول أي تحرك ينتفض ضد الممارسات الهجومية، والتي أدت إلى هجرة النخبة المثقفة ومغادرتها لأرض الوطن. ولتفجير ثورة لا بد من توعية المجتمع بكل فئاته وطبقاته وتعبئته تعبئة شاملة. سأله مرة أحد تلامذته: لماذا لا تعلن الثورة على فرنسا؟ فأجابه: أيصلح أن نبني السقف والأساس غير موجود؟.

وبهذا، باشر نشاطه التعليمي من الصفر المركب، سنة 1913م بقسنطينة بالجامع الأخضر، بمعونة والده وسعيه الحثيث لدى الإدارة الفرنسية، بعد أن منعته من التعليم بالجامع الكبير، حيث انتصب لتقديم دروس الوعظ والإرشاد للكبار، وتعليم الصغار في كتابين قرآنيين اثنين بالمدينة: كتاب **سيدي فتح الله**، وكتاب **سيدي عبد المؤمن**"فكان ذلك أول عهد الناس بتعلم الصغار"[2]. أما الطلبة المتوافدين، فقد خصص لهم دروساً في العلوم الدينية واللغة والتاريخ الإسلامي وغيرها من العلوم المختلفة.

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي(الجزائر: دار الكتب، د. ط، د. ت)، ص(41).

[2] - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، ص(387).

في سنة 1917م أنشأ مكتباً للتعليم الابتدائي العربي بمسجد **سيدي بومعزة** بقسنطينة، ليصبح سنة 1930م مدرسة **جمعية التربية والتعليم الإسلامية** أشرف عليها بنفسه، وسطر لها قانوناً لا يثير حفيظة الإدارة الاستعمارية؛ وتمت المصادقة عليه.

هدف الشيخ من وراء هذا المشروع إلى تطهير الدّين مما نشرته الطرقية المنحرفة من أضاليل والعودة به إلى منابعه الأولى الصافية، كما هدف إلى نشر الأخلاق الحسنة والعلم النافع بين المتمدرسين، وتعليمهم الصنائع اليدوية بإنشاء مصنع للأشغال اليدوية، وبالتالي؛توحيد صفوف الشعب الجزائري واتحادهم فيما بينهم.

اعتمد في سياسته التربوية التعليمية على تزويد المتمدرسين بأفكار ومعلومات صحيحة تظهر في سلوكاتهم ولو مع علم قليل، حيث يقول البشير الإبراهيمي:**"كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس** باجتماعنا بالمدينة المنورة سنة 1913م في تربية النشء، هي ألا نتوسع له في العلم؛ وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل"[1].

وعليه، فإن الثورة التي أحدثها مرشد الأمة ابن باديس حققت نجاحاً باهراً، ولاقت استجابة واسعة من طرف المدعوين؛ لأنه تمكن من تعبئة روح الشعب بالإيمان الصحيح وأيقظ ضميره وبث فيه روح النقد، وثار على السلبيات، وحثه على طلب العلم والالتزام بتعاليم الدّين الإسلامي، وأخذ كل ما هو نافع من المدنية الغربية.

4 -الطرق الصوفية المنحرفة: كان للطرق الصوفية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فضل كبير في التبشير بتعاليم وفضائل دعوة الدين المحمدي الصحيح، والدفاع عن حياضه، وتنقيته مما علق به من ضلالات وبدع وذلك في العالم بأسره، وتوعية الشعوب المختلفة وقيادتها، وفي مقاومتها للاستعمار الصليبي الحاقد على الإسلام وأهله والاستبسال في محاربته. ولعل أهم هذه الطرق بالقطر الجزائري هي[2]: **الطريقة القادرية،**

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي:"أنا"، (ص(21).

[2] - للتعرف أكثر على هذه الطرق، أنظر؛ صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها(لبنان: دار البرق، د. ط، 2002م)، ص(141 -229).

الطريقة الشاذلية، الطريقة الرحمانية، الطريقة التيجانية، الطريقة الـسنوسية، الطريقة الزيانية، والطريقة الطيبية.

وأغلب المقاومين للاحتلال الفرنسي كانوا رؤساء لزوايا دينية أو ترعرعوا وتربـوا في أحضانها"ألم يكن **الأمير عبد القادر** الذي قاد أخطر مقاومـة اسـتمرت مـن 1834 إلى 1847م، والذي بسط سلطانه على معظم أنحاء الجزائر، قد تكوَّن فكرياً في حـضن زاويـة دينية؟، **والشيخ الحداد** الذي كان له دور أساسي في **ثورة المقراني** وانتشارها على نطـاق واسع ألم يكن هو زعيم الطريقة الرحمانية؟، **والشيخ بوعمامـة**، **وثـورة أولاد سـيدي الشيخ**، **وحركة بوبغلة**، ألم يقُم كلها على أساس الدعوة الدينية المدعومة تنظيمياً وماليـاً بشبكات الطرق الصوفية وزواياها؟. ألم يحمل المسئولون الفرنسيون مسؤولية ثورة بوبغلـة إلى الطريقة الطِّيبيَّة التي كان هو مقدمها؟، إذن فتاريخ الزوايا في الكفاح ضد الاستعمار لا غبار عليه"[1].

تغيرت هذه الحال بموت أرباب الطرق المصلحين الحقيقـيين؛ فاختلـت المعـايير و الموازين، وتناقضت المفاهيم، وتحولت الزوايا من مراكز للإصـلاح والتغـيير إلى أوكـار للفساد. هذا التحول لم يكن وليد الصدفة؛ وإنما كان بتخطيط من الاستعمار الغاشم الذي صيَّرها آلة طيعة في يده يوجهها كيفما شاء، بعد أن كان يهابها طوال القرن التاسع عـشر وحتى سنة 1914م تاريخ بداية الحرب العالمية الأولى، حيث يرى **البارون ديـستورنيل دي كونستان** سنة 1887م في هذه الجمعيات"بؤراً للتعصب والحملات المضادة لفرنسا"[2].

أسند إلى هذه الطائفة من الدراويش والدجالين الخونة مهمة تشويه وتزييف حقـائق الإسلام، ونشر الأفكار القبورية التي تميت العقول والشعور بالمسؤولية. قال قائد عسكري فرنسي:"إن كسب شيخ طريقة صوفية أنفع لنا من تجهيز جيش كامـل، وقـد يكونـون ملايين، ولو اعتمدنا في إخضاعهم على الأموال والجيوش لما أفادتنا ما تفيده تلك الكلمـة

---

[1] - محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي(حياته العلمية ونضاله الوطني)، ص(35).

[2] - علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، ص(63).

الواحدة من الشيخ، على أن الخضوع لقوتنا لا تؤمن عواقبه لأنه ليس من القلب. أما كلمة الشيخ فإنها تجلب لنا القلوب والأبدان والأموال أيضاً"[1].

وقد أرجع أحد المفكرين العرب سبب تمكين الاستعمار الصليبي في البلاد الإسلامية"يعود إلى الخيانات الروحية، حيث كانت الطرق الصوفية العين الساهرة على حماية مصالح الاستعمار بما يلقاه شيوخ الطرق الصوفية من تبجيل وهذا بعد شراء ذممهم بدراهم بخسة"[2].

هدف مشايخ الطرق الصوفية من وراء ذلك إلى خدمة أغراضهم الشخصية من طلب للشهرة، والحصول على مناصب عالية في الحكومة، ومرتبات وأوسمة وهدايا واستغلال الأمة. وهذا ما صرحوا به بأن"غاياتهم غايات نفعية مصلحية لا غير، وأنهم بتحالفهم مع أي نظام يسعون دوماً لحماية تلك المصالح مقابل ما يؤدونه من خدمات"[3].

وبهذا، ازداد عدد زوايا الشعوذة والتخريف في الجزائر، حيث بلغت عام 1930م (250.000) زاوية[4]، وأضحى الشعب الجزائري مغلوب على أمره، استسلم للقدر، تسوقه الوعادي والولائم الموسمية مراكز نشر الأفكار الإلحادية كما تساق البهائم، يستغيث بالأولياء مقابل مبالغ مالية باهضة. فهذا يشفي من الأمراض، وذاك يُنزل الغيث، وآخر يرزق الأولاد للمرأة العاقر،"وكم من مسلمة تجردت من حليها وأصبحت عاطلة من العواطل عقدها أو حجلها أو سوارها ذهب عوض أمنية عزت بها في أحلام وأماني، وكم من عقود أبرمت على الخلاص من الآثام و الدخول إلى الجنة بضمانات أشياخ الطرائق"[5].

لم يكتف الدجاجلة وأصحاب الضمائر الميتة من السخرية والاستهزاء من العامة والنفث في روعهم اليأس واستغلال بساطتهم وسذاجتهم؛ بل عمدوا إلى الوقوف في وجه

---

[1] - يوسف القرضاوي: مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي(بيروت: المكتب الإسلامي، ط(01)، 1428هـ/ 2007م)، ص(35 -36).

[2] - محمد الأمين بلغيث: الإمام عبد الحميد بن باديس وأزمة التخلف الحضاري في الجزائر(الموافقات، العدد السادس، السنة السادسة، 1418هـ/(1997 -1998م)، ص(403).

[3] - الإمام الشيخ العربي التبسي: بدعة الطرائق في الإسلام، إعداد أحمد الرفاعي الشرفي(الجزائر : دار البعث، ط(01)، 1982) ص(10 -11).

[4] - عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام(الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، ط(07)، 1994م)، مج(04)، ج(03)، ص(259).

[5] - الإمام الشيخ العربي التبسي: بدعة الطرائق في الإسلام، ص(59 -60).

المصلحين والتشويش عليهم، والتفريق بينهم وبين الناس، ورميهم بالكفر والزندقة والمروق واتهامهم بأنهم يكرهون النبي ε، وانتمائهم إلى إيديولوجيات سياسية كالشيوعية والنازية..

5 -عودة علماء جهابدة من المهجر: بعد أن سنّت فرنسا سنة 1912م قانون التجنيد الإجباري الذي فرضته على الشباب الجزائري، للمشاركة إلى صفها في الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918م) ضد القوة الألمانية، اندفع الجزائريون أفراداً وعائلات إلى الهجرة نحو المشرق، وتونس،والمغرب الأقصى. ولعل أشهر هجرة هزت أركان الإدارة الاستعمارية وأثارت مخاوفها هي **هجرة تلمسان الجماعية** سنة 1911م، والتي بلغ عدد المهاجرين بها أكثر من 18.000 مهاجر جزائري اتجهوا نحو سوريا. وصفها **ديمونتي** بأنها كانت هلعاً حقيقياً؛ بل تكاد تكون وباءاً أخلاقياً[1].

هناك في المهجر، شغلوا مناصب في التعليم والإدارة والصحافة، وقاموا بتأسيس جمعيات مشكلة من جزائريين وتونسيين ومراكشيين وبعض المشارقة تنادي بتحرير المغرب الغربي مثل: **جمعية الشرفاء**، أنشأها الشيخ **المكي بن عزوز** سنة 1913م في المدينة المنورة... كانت تضم مجموعة من الجزائريين والتونسيين والمراكشيين[2] ، وأقاموا علاقات تواصل مع إخوانهم الجزائريين، وأرسلوا لهم طروداً من المطبوعات تبعث فيهم روح الوحدة الوطنية، وتستنكر أعمال الاستعمار المرتكبة في حقهم عن طريق الحجاج والتجار والسياح.

ونبغت كوكبة من العلماء والأدباء الجزائريين، أمثال: عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي الذي تصدى للتدريس بمدارس الشام، وحصل على معرفة واسعة بالأدب العربي والحضارة الإسلامية وكتب في عدة صحف شرقية. والشيخ **العربي التبسي** الذي حمل لواء العلم بالقاهرة، الشيخ **الطيب العقبي** الذي تولى إدارة جريدة **القبلة** ومطبعتها الأميرية بمكة المكرمة، **زهير الزاهري** الذي كتب في مجلة **"الفتح المصرية"**... هذا، بعد أن تلقوا العلم على أيدي مشايخ أزهريين، وزيتونيين، وقرويين، وأعلام بلاد الحجاز ونهلوا من

[1] - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900 - 1930)(بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط(4)، 1992م)، مج(03)، ج(2)، ص(123) وما بعدها.

[2] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي(1830 - 1954)(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط(1)، 1998م)، مج(09)، ج(05)، ص(602) وما بعدها.

مكتباها الزاخرة بالمصنفات والمؤلفات، ونالوا مقابل ذلك إجازات وشهادات عالية؛ نتيجة براعتهم في تحصيل العلم وتعليمه.

وتأثروا بأفكار الصحافة العربية المسلمة وبأساليبها خاصة منها مجلة المنار، حيث يعترف ابن باديس بفضل صاحبها رشيد رضا عليه فيقول:"نشرنا ما يلي من تفسير حجة الإسلام السيد رشيد رضا من آخر جزء أصدره من مجلة المنار اعترافاً له بفضل السبق إلى نشر هداية القرآن على المسلمين بمجلة شهرية كانت قدوتنا، وسلفنا فيما ننشر في مجالس التذكير"[1]. كما تأثروا بدعاية الجامعة الإسلامية التي كانت تدعو إليها المجلة، والتي شجعتهم عند رجوعهم إلى أرض الوطن لأن يقودوا سفينة النهضة في الجزائر. قال **أبو القاسم سعد الله**:"لقد كان العلماء الجزائريون ثمرة للحركة العقلية والإصلاحية الوطنية بالإضافة إلى حركتي الجامعة الإسلامية والقومية ا لعربية العاملين في الشرق الأدنى"[2].

لم تلبث هذه الكوكبة المثقفة أن عادت أدراجها إلى أرض الوطن حاملة معها رصيداً من المعارف والعلوم الشرقية،"وأدخلوا إلى الجزائر المبادئ الوهابية والأفكار العبدوية، ودخلت عن طريقهم أفكار الإخوان المسلمين"[3]. فشكلوا العناصر الدعوية الأولى منذ السنوات الأولى من العشرينيات، وأقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنوات الثلاثينيات.

[1] - محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها– تطورها– أعلامها) من 1903 إلى 1931، ج(01)، ص(61 -62 -63).

[2] - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية(1900 -1930)، ج(2)، ص(407).

[3] - يوسف مناصرية: علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأقطار المشرق العربي(مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية؛ مجلة علمية محكمة نصف سنوية ، العدد(14)، جوان 2006م)، جامعة باتنة الجزائر، ص(10). نقلاً عن أبي القاسم سعد الله: مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830 - 1954، مجلة الثقافة، ع(79)، (جانفي –فيفري)، 1984.

ج -جـــمعـــية العلماء المسلمين الجزائريين والتغـــيير الثقـــافي:

1 - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وخيار المواجهة الثقافية: اختارت جمعية العلماء المواجهة الثقافية متخذة من التربية والتعليم منهجاً دعوياً سلمياً لتحرير المجتمع الجزائري من أغلال التخلف؛ فجعلت من الإنسان عمود عمليتها التغييرية، وعمـــدت إلى تهيئـــة عقلـــه وروحه، وبناء شخصيته، وجعله ينظر إلى الحياة والكون نظرة صحيحة، تطلعه علـــى دوره الحقيقي الذي لأجله استخلف في الأرض؛ فتخلق فيه الاستعداد الشخصي لتغيير نفسه وما حوله. شعارها[**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**][**الرعد/ 11**].

على هذا النهج الرباني، سارت الحركات الإحيائية الإصلاحية الإسلامية في عملياتهـــا التغييرية من قبل، وهو الطريق الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء إقامته في مكة مدة ثلاثة عشر سنة في بناءه وتربيته وتكوينه لأصحابه رضي الله عنهم. واتبعتها في ذلـــك جمعية العلماء؛ حيث بدأت عملها الإصلاحي من القاعدة بتطهير العقيدة الإســـلامية ممـــا غشيها من ضلالات وأوهام الطرقية وبعثها في العقول والنفوس، وإشاعة اللغة العربيـــة في لسان الشعب لأنها مقدمة مهمة لإحداث نهضة. شعارها قول الإمام مالك رضي الله عنـــه: **لا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها.**

وإيماناً منها بالآية الكريمة:[**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**][**الرعد/11**]، والـــتي فسرها الأفغاني في العروة الوثقى يوضح لنا المنهج الذي كان يريده من خلال هـــذه الآيـــة بقوله:"أرشدنا الله سبحانه في محكم كتابه إلى أن الأمم ما سقطت عن عـــرش عزِّهـــا ولا بادت ومحي اسمها من لوح الوجود إلاَّ بعد نكوبها عن تلك السنن التي سنَّها الله على أساس الحكمة البالغة أن الله لا يغير ما بقوم من عزة وسلطان ورفاهة وقصص وعيش وأمن وراحة حتى يغير أولئك القوم ما بأنفسهم من نور العقل وصحة الفكر وإشراق البصيرة والاعتبـــار بأفعال الله في الأمم السابقة والتدبير في أحوال الذين جاروا عن صراط الله فهلكوا وحل بهم الدَّمار ثم لعدولهم عن سنة العدل وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمـــة جـــاروا عـــن الاستقامة في الرأي والصدق والسلامة في الصدر والعفة في الشهوات والحمل علـــى الحـــق

وبالقيام بنصره والتعاون على حمايته خذلوا العدل و لم يجمعوا هممهم على إعلاء كلمته واتبعوا الأهواء الباطلة وانكبوا على الشهوات الفانية وآتوا عظائم المنكرات خارت عزائمهم فشجعوا ببذل مهجهم في حفظ السنن العادلة واختاروا الحياة في الباطل على الموت في نصرة الحق فأخذهم الله بذنوبهم وجعلهم عبرة للمعتبرين"[1].

اهتمت ببناء الفرد الجزائري، جاعلة منه محور نشاطها التربوي والتعليمي والتثقيفي، وراحت تبث فيه الفضائل وتنزع عنه الرذائل الاجتماعية وكل مظاهر التقليد والانحراف الجاثمة على صدره والمكبلة عقله؛ حتى يتغير ما حوله من المحيط الخارجي، ويقوى على التفكير في تحرير بدنه من أغلال الاستعمار.

اختارت الجمعية أن تكون حركة بداية بالمجتمع، و لم تتعجل مواجهتها المباشرة للسلطة الاستعمارية وكأنها أدركت أن"السلطة مهما كانت ما هي إلاَّ آلة اجتماعية تتغير تبعاً للوسط الذي تعيش فيه وتتنوع معه فإذا كان الوسط نظيفاً حراً فما تستطيع السلطة أن تواجهه بما ليس فيه. وإذا الوسط كان متسماً بالقابلية للاستعمار فلا بد من أن تكون حكومته استعمارية"[2].

وقد بيَّن ابن باديس هذا المنطلق في الإصلاح والتغيير فقال:"**اخترنا** الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة وتمسكاً بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصح والإرشاد وبث الخير والثبات على وجه واحد، والسير في خط مستقيم. وما كنا لنجد هذا كله إلاَّ فيما تفرغنا له من خدمة العلم والدين، وفي خدمتنا أعظم خدمة وأنفعها للإنسانية عامة. ولو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه...."[3].

استعانت على تحقيق مشروعها التربوي القائم على الدّين والعلم والأخلاق بمجموع وسائل أهمها:الثالوث الحيوي(المسجد، المدرسة،النادي)، والصحافة. وسيخصص فصل مستقل للحديث عن هذه الوسائل بالتفصيل وذلك تلافياً للتكرار.

---

[1] - جمال الدّين الأفغاني ومحمد عبده: العروة الوثقى(بيروت: دار الكتاب العربي، ط(2)، 1400هـ/1980م)، ص(1702).

[2] - الطيب برغوث: التغيير الإسلامي خصائصه وضوابطه(الجزائر: مكتبة رحاب، د. ط، د. ت)، ص(16).

[3] - عبد الحميد بن باديس: ابن باديس حياته و آثاره، مج(4)، ص(295).

2 -جمعية العلماء حزب ديني إصلاحي لا حزب سياسي: قد يتساءل القارئ لماذا لم تشتغل جمعية العلماء بالعمل السياسي كبقية الأحزاب والتنظيمات المعاصرة لها وتدعو للاستقلال الوطني حتى توفر على نفسها الجهد والوقت؟

تفادت الجمعية المواجهة السياسية رسمياً وذلك: - تجنباً للصدام مع الإدارة الاستعمارية وبالتالي الحل والزج بعناصرها في السجون مثلما تعرضت له بعض الأحزاب والمنظمات السياسية[1] في العشرينات، بسبب نشاطها السياسي المكثف، ومطالبتها باستقلال الجزائر التام، وإنشاء دولة وطنية جزائرية حرة.

-وجود مادة رقم(3) في قانونها الأساسي الداخلي تنص على أنها لا تتدخل في السياسة فهي" جمعية دينية علمية تهذيبية أدبية، وليست حزباً سياسياً، ولا يحق لها الخوض في أي مشكلة سياسية". كما جاء في مجلة الشهاب:"ويجب أن نقول من الآن إن الجمعية يجب أن لا تكون إلاّ جمعية هداية وإرشاد لترقية الشعب من الجهل والسقوط الأخلاقي، إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق في نطاق دينها الذهبي وبهداية نبيها الأمي الذي بعث ليتم مكارم الأخلاق، عليه وعلى آله الصلاة والسلام... ولا يجوز بحال أن يكون لها بالسياسة وكل ما يتصل بالسياسة أدنى اتصال، بعيدة عن التفريق وأسباب التفريق وهذا ما نقوله ولا نشك أن إخواننا المهيئين والمدعوين كلهم على وفاق تام معنا وإنهم سيجعلونه في طليعة القانون الأساسي الذي يقدم للحكومة وإنما أردنا أن نقوله ليكون معلوماً عند الجميع بالمكشوف"[2].

ومارستها فعلياً من خلال جهودها في التربية والتعليم، والتكوين والتوعية من أجل تخريج جيل مقتدر يعتز بمقوماته الشخصية الوطنية الضائعة الجزائر، الإسلام، العربية "وهي ثوابت إذا ترجمت بلغة القومية تصبح الدعوة إلى إنشاء دولة مستقلة"[3] ويطالب بحقه في

---

[1] - أهم هذه الأحزاب: وحدة النواب المسلمين للأمير خالد، جمعية نجم شمال إفريقيا لأحمد مصالي الحاج، حركة اتحاد المنتخبين المسلمين للأمير خالد. ظهرت هذه المنظمات السياسية الجزائرية فيما بين الحربين العالميتين (1919 - 1940).

[2] - علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص(156).

[3] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي(1830 - 1954)، ج(04)، ص(143).

الحرية والاستقلال، ورفضها لسياسة التجنيس والدمج. كما تمثل في مطالبتها فرنسا بالتخلي عن الشؤون الإسلامية لمبدأ فصل الدّين عن الدولة وغيرها من القضايا. كل هذه النشاطات التي مهدت لقيام ثورة التحرير المسلحة هي عين السياسة. يقول الإبراهيمي:"نحن سياسيون لأن ديننا يعد السياسة جزءاً من العقيدة، ولأن زمننا يعتبر السياسة هي الحياة، ولأنها آية البطولة، ولأن وضعها يصير السياسة ألزم للحياة من الماء والهواء، ولأن السياسة نوع من الجهاد ونحن مجاهدون بالطبيعة فنحن سياسيون بالطبيعة، ولأن الاستعمار الفرنسي بظلمه وعسفه لم يغرس في الجزائر إلاّ ثمرتين: بغض كل جزائري لفرنسا حتى الأطفال، وصيرورة كل جزائري سياسياً حتى الأئمة"[1].

ولعل النتيجة التي نروم الوصول إليها من خلال ما سبق، أن الجزائر منذ دخول الاستعمار سنة 1830م وحتى 01 نوفمبر 1954م -تاريخ إعلان الثورة التحريرية الكبرى- **مرت بثلاث مراحل للمقاومة:**

1 - **مرحلة المقاومة العسكرية:** تمثلت في الانتفاضات الكبرى والثورات الشعبية المسلحة في كامل التراب الوطني التي كان آخرها سنة 1919م؛ تميزت بالتتابع التاريخي والتغير المكاني، فهي أشبه بحرب العصابات،"يقودها في العادة مرابطون وشخصيات منعزلة"[2]، افتقدت إلى عامل التنظيم والتنسيق، اقتصرت على أماكن دون أخرى؛ أدت إلى فقدان الأمة لزهرة علمائها في ميدان القتال.

2 - مرحلة المقاومة السياسية: تمثلت في الأحزاب والتنظيمات السياسية التي بدأت كفاحَها بعد سنة 1918م، بعد فشل الكفاح المسلح في مواجهة العدو، طالبت فرنسا بالانفصال عن الجزائر ومنح الشعب الجزائري الاستقلال التام. يرجع سبب فشلها في مقاومة الاحتلال بالدرجة الأولى إلى الجهل وغياب الوعي والتعليم الذي يعرفهم بحقيقة الوضع ويطلعه على المعنى الحقيقي للحرية؛ وبالتالي يدفعهم إلى النهوض والمطالبة بالاستقلال.

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(04)(1952 - 1954)، ص(261).
[2] - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية(1900 - 1930)، ج(02)، ص(410).

3 -مرحلة المقاومة الدينية: تمثلت في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي نحت منحى العمل الجماعي المنظم المنسق، شملت مسيرتها الإصلاحية جميع الميادين عكس دعوة **محمد بن عبد الوهاب** التي ركزت على الميدان الديني، و**محمد عبده** الذي كان ميالاً إلى التربية التعليمية، والذي رفض العمل بالسياسة عكس أستاذه الأفغاني. وأولى كل من **رفاعة الطهطاوي** و**السيد أحمد خان** اهتماماً بالمسلك التربوي،واهتم كل من **جمال الدّين الأفغاني** و**عبد الرحمان الكواكبي** بالجانب السياسي، و**محمد الطاهر بن عاشور** الذي سخر حياته في الممارسة العملية للتربية. وهي دعوات يغلب عليها الطابع الفردي.

دعت الجمعية الشعب الجزائري بكل فئاته وطبقاته من خلال مشروعها الإصلاحي التربوي المرحلي إلى التمسك بتعاليم الدّين الإسلامي، وتاريخ أجداده، والانفتاح على ما عند الغرب من خبرات ومهارات علمية لمواكبة العصر، بهدف تحريره من أغلال الجهل وتحرير موطنه من الاستعمار الغاشم، وإحياء لسانه العربي وتاريخ أجداده، وبعث الفضائل في حياته كالأخوة"فأحيينا بذلك كله الشعب الجزائري فعرف نفسه، فاندفع إلى الثورة يحطم الأغلال ويطلب بدمه الحياة السعيدة والعيشة الكريمة، ويسعى إلى وصل تاريخه الحاضر بتاريخه الغابر"[1].

وعليه، فجمعية العلماء **دعوة سُنية**؛ لأنها دعت المجتمع الجزائري بأخذ الدِّين الإسلامي عن أصوله الصحيحة؛ كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح، لا عن الطرق الصوفية المنحرفة التي أضافت أموراً لا تمت للإسلام بصلة. وتمكنت من قمع الإلحاد والتحلل ومن إيقاف التبشير. **وفكرة اجتماعية**؛ لأنها عُنِيَتْ بأمراض المجتمع التي استفحلت في أوساط جميع الجزائريين بلا استثناء وأقعدتهم أرضاً يقتفون أثر أوهام الطرقية ويرقبونها في حركاتها وسكناتها. وخففت من ويلات الأمية وأحيت الفضائل والأخلاق الميتة. **ورابطة علمية ثقافية**؛ لأنها عملت على تعليم أفراد الشعب الجزائري بكل فئاته الكبار في المساجد، بتعبئتهم بدروس في الوعظ والإرشاد، وتقديم محاضرات وندوات يحضرها شيوخ من البلاد الإسلامية

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: " أنا "، ص(32).

المشرقية والمغربية في الأندية، قصد توعية الشباب الذي لا تجده في المسجد ولا في المدرسة بدوره تجاه نفسه وتجاه وطنه، وبث الحماس فيه، واطلاعه على حقيقة الظروف السيئة والأوضاع الآسنة التي يحيا فيها، وتعليم النشء مبادئ الإسلام الصحيحة.

كل هذه الجهود والمساعي كانت بتخطيط شخصيتين بارزتين يرجع لهما الفضل في إخراج جمعية العلماء إلى النور، وهما عبد الحميد بن باديس رئيس الجمعية ونائبه محمد البشير الإبراهيمي.

ثانياً: بطاقة تعريفية وجيزة بابن باديس والبشير الإبراهيمي

(أ) -الشيخ عبد الحميد بن باديس[1889 -1940م]: هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس، أمه السيدة زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلول، من عائلة اشتهرت بالتدين والإقبال على العلم. ولد في الأسبوع الثاني من شهر ربيع الثاني سنة 1307هـ، الموافق ليوم 4 ديسمبر 1889م[1] بعاصمة الشرق الجزائري ولاية قسنطينة.

ينحدر من عائلة فاضلة، عريقة في النسب، ومعروفة في الجزائر والمغرب العربي، تنتمي إلى الطريقة القادرية، اشتهرت بالرسوخ في العلم، والنفوذ في السلطة، والثراء العريض. نبغ منها شخصيات تاريخية **كالمعز لدّين الله بن باديس** أشهر ملوك الدولة الصنهاجية الذي حكم إفريقيا والمغرب الأوسط ردحاً من الزمن، وحارب فيها الشيعة الرافضة.

كما نبغ منها شخصيات شغلت مناصب عليا في الحكومة الفرنسية مثل عمه **احْمِيدَة بن باديس**، ووالده مصطفى بن مكي الذي"كان يتولى عدة مناصب سياسية عليا؛ عضو بالمجلس الجزائري الأعلى، والمجلس العمالي بقسنطينة"[2]، مما جعله في مأمن من المضايقات الإدارية. أما من الناحية العلمية، فنجد كلاً من **أبو حميدة العباسي ومكي بن باديس** اللذان عملا في القضاء. ويحدثنا زميله في المسار الدعوي محمد البشير الإبراهيمي عن نسبه المتأصل فيقول:"وبيت بن اباديس في قسنطينة بيت عريق في السؤدد والعلم، ينتهي نسبه في سلسلة كعمود الصبح إلى العز بن باديس، مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى، التي خلفت الأغالبة على مملكة القيروان، ومدت ظلها على شرق الجزائر حيناً من الدهر"[3].

وقد أشاد ابن باديس بانتمائه إلى هذه الأسرة العريقة النسب، والمحبة للدِّين والعلم والتي نشأ وتربى فيها، وباهتمام والده الذي أبى إلاّ أن ينشئه في بيئة عربية إسلامية ويربيه تربية

---

[1] - عبد الكريم بوالصفصاف: رواد النهضة و التجديد في الجزائر (1889 - 1965)(الجزائر: دار الهدى، د. ط، 2007م)، ص(08).

[2] - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط(3)، 2001م)، ص(154).

[3] - عبد الحميد بن باديس: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: توفيق شاهين -محمد الصالح رمضان(دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط(3)، 1399هـ/1979م)، ص(707).

صالحة، ويوجّهه وجهة دينية سليمة بعيداً عن التعليم الرسمي الفرنسي ملقناً إيـــاه مبـــادئ القراءة والكتابة على الطريقة التقليدية. وفي ذلك يقول ابن باديس: "إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة. ورضي لي العلم طريقة أتبعهـــا ومشرباً أرده، وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشني وحماني من المكاره صـــغيراً وكـــبيراً وكفاني كلف الحياة"[1].

ثم بعث به إلى الكتّاب القرآنية؛ ليحفظ القرآن على يد المربي المقرىء الـــشيخ **محمـــد المداسي** بإحدى زوايا القادرية. وفي سنة 1903م اختار له العالم المتصوف القسنطيني الشيخ العلاّمة الفقيه نزيل المدينة المنوَّرة **أحمد أبو حمدان لونيسي** مدرساً، يعلمه مبـــادىء اللغـــة العربية والمعارف الإسلامية الأولى، بجامع سيدي النجّار. لازمه لمدة خمسة أعوام نهل خلالها معارف علمية، ومعلومات تثقيفية، وتوجيهات تربوية؛ ساهمت في صياغة شخصيته وعقله، وأثرت في تكوينه وتوجيهه بشكل إيجابي.

وفي سنة 1908م ارتحل إلى جامع الزيتونة بتونس؛ لمواصـــلة تعليمـــه العـــالي بعـــد أن استكمل تكوينه الأسري وتحصيله الابتدائي القاعدي بمسقط رأسه، وهو يبلغ يومئذ 19 من عمره. هناك بالجامع، قضى ابن باديس أربع سنوات طالباً ومتعلماً، تعرف خلالها إلى ثلـــة من المدرسين المشايخ والعلماء أمثال: **محمد النخلي القيرواني** المتوفى ســـنة 1924م و**محمـــد الطاهر بن عاشور** اللذان يعدان من خيرة العلماء يشار إليهم بالبنان، تأثرا بأفكار كل مـــن جمال الدّين الأفغاني ومحمد عبده.

تأثر ابن باديس بفكرهما التجديدي السلفي الذي أخذه عنهما لأول مـــرة في حياتـــه دون غيرهما من المشايخ التقلديين الرافضين للتجديد. قال **عمار طالبي**:"ومن الأساتذة الذين أثروا فيه وكوَّنوا جانباً من أهم جوانبه، وهو جانب الأدب وتذوق الآثار الفنية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور زميل الأستاذ النخلي في نسبتهما إلى البدعة والـــضلال اللـــذين كانـــا يوصفان بهما أنهما يناضلان عن آراء محمد عبده وينشرانها في صفوف طلابهم"[2].

[1] -عبد الحميد بن باديس: مجلة الشهاب، مج(14)، ج(04 -05)، عدد(جوان وجويلية) سنة 1938، ص (288 - 291).
[2] - عبد الحميد بن باديس: ابن باديس حياته و آثاره)، ج(1)، ص(78).

كما تعرَّف إلى **محمد الخضر بن الحسين الطولقي الجزائري التونسي**، والشيخ **أبو محمد بلحسن بن الشيخ** المفتي النجار العلاّمة الأصولي، و**محمد الصادق النيفر** الفقيه، و**سعيد العياضي الجزائري** المصلح المجدد، و**محمد بن القاضي** أستاذ البلاغة، و**البشير صفر** المؤرخ والسياسي... وغيرهم كثير. أخذ عنهم علوماً ومعارف عربية إسلامية غزيرة ومتنوعة؛ وسعت مداركه، وفتحت ذهنه وأطلعته على تاريخ أمته المجيد، وأثرت في توجهه الإصلاحي، وسمحت له فيما بعد لأن يكون جندياً من جنود الجزائر سلاحه العقل والقلم واللسان. كما كان لهم الفضل في صقل عقله و"تخليصه من الغيبيات والمكبلات الفكرية، ورفعوا عن بصيرته غشاوة التقليد، وعلموه الجرأة، والصدع بالرأي. وخلصوا أسلوبه من الترهات اللفظية، وحببوا إليه اللغة العربية، وأيقظوا حسه على حب العروبة والإسلام"[1].

انكب أثناءها على مطالعة كتب لعلماء السلف ذات مترلة عظيمة مثل كتاب الموافقات في أصول الشريعة للإمام الأصولي **أبي إسحاق الشاطبي** ومخطوطات نفيسة تعنى بالدراسات الإسلامية والأدبية، وهل من الصحف التي تأتيه من المشرق الإسلامي، وذلك خارج أوقات الدراسة"كنت أسهر الليل للدراسة والمطالعة مستعيناً ببعض المنبهات لكني حين أحس أن النوم أصبح يغالبني، و لم تعد المنبهات العادية تنفع في دفعه عمدت إلى(مطرح) أضعه على الأرض وأضع مرفقي على حافته حتى إذا أخذتني تهويمة من الوسن زل بي مرفقاي أو أحدهما فيلامس الآجر بارداً فأستيقظ وأجدد مطالعتي أو مراجعتي حتى أفرغ منها"[2].

جديته في الجمع وإصراره على التحصيل العلمي، وتميزه بالفهم السليم والإدراك الجيد والغوص العميق في كل ما يأخذه من علوم ومعارف، ومناقشاته ومجادلاته العلمية العميقة، والتصدي للتساؤلات والاستفهامات التي تستوقفه بالبحث، واشتهاره بالاستقامة في سلوكه والانضباط بين أترابه؛ أثار إعجاب شيوخه وكبار الطلبة الذين تأثروا بتلك المناقشات الجادة التي أضافت إلى رصيدهم المعرفي الكثير من الحقائق العلمية التي عجز غيره

---

[1] - محمد صالح الجابري،: النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900 - 1962)، ص(74 - 75).

[2] - أحمد بن ذياب: ابن باديس وعوامل نجاحه في رسالته(مجلة الأصالة، العدد (32)، السنة الخامسة، ربيع الثاني، أفريل 1976م)، ص(119).

من زملائه وأساتذته والسابقين من العلماء اكتشافها؛ أهله لتصدر قائمة المتفوقين والحصول على شهادة التطويع بجدارة، حيث كان الطالب الجزائري الوحيد الذي أنهى دراسته في دفعة سنة 1911م، ومكث هناك بالجامع بعد التخرج سنة كاملة يدرس ويدرِّس وسنه لم يتجاوز يومها ثلاثاً وعشرين سنة.

ويحدثنا ابن باديس عن تجربته في الزيتونة فيقول:"لقد حصلنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ونحن لم ندرس آية واحدة من كتاب الله ولم يكن عندنا أي شوق أو أدنى رغبة في ذلك ومن أين يكون لنا هذا ونحن لم نسمع من شيوخنا يوماً منزلة القرآن من التعليم الديني والتفقه فيه ولا منزلة السنة النبوية من ذلك"[1].

وفي عام 1913م عاد أدراجه إلى الجزائر، واستقر بمسقط رأسه وهو في زهرة شبابه. عاد وفكره ناضج، مشحون بطاقة فكرية وعلمية ممنهجة، مزود بكثير من الحقائق حول أحوال الأمة الإسلامية. عاد ليثبت دعائم المدرسة السلفية الإصلاحية لأول مرة في أرض الجزائر، حيث يؤكد لنا **رابح تركي** هذه الحقيقة فيقول:"أن الشيء المؤكد علمياً وتاريخياً حتى الآن هو أن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان أول مصلح سلفي قاد مدرسة التجديد الإسلامي في الجزائر بوعي وصبر وثبات طيلة سبعة وعشرين عاماً"[2]. عاد ليواصل مشوار إخوانه المصلحين الجزائريين الأوائل الذين عجزوا عن توسيع رقعة هذه المدرسة بسبب الاستعمار.

عاد ليعلم ويربي ويحرر الشعب من قيود الجهل والأمية؛ مكمن الداء الذي أنهك قوى أفراد أمته، واضعاً التعليم كسبيل وحيد للنهوض،"ولم يسعني وأنا أحمل شهادة(التطويع) من معهد علمي إسلامي كبير، إلاّ أن اختار ميدان التعليم والتفرغ له، لأنه أساس النهوض بالشعوب والأمم"[3]. وبهذه المعرفة العميقة لواقعه، باشر مشروعه التربوي الإصلاحي، حيث انتصب للتدريس في المسجد الكبير يعلم النشء دينهم ولغتهم العربية الصحيحة، وتاريخ

---

[1] - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص(310).

[2] - رابح تركي: ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر، (الأصالة، العدد 24 السنة الثانية، ربيع 1 - 2، 1395ه مارس - أفريل 1975م، ص (79).

[3] - محمد الصالح الصدّيق: المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، 2006م)،ص(23).

أمتهم المجيد، ويدرس الشباب، ويعظ ويخطب في الكبار معتمداً في ذلك على القرآن الكريم، والسنة المحمدية الشريفة، كتب وآثار السلف الصالح، حيث كان يلقي في اليوم الواحد خمسة عشر درساً[1].

وكان قد اشتهر بدرس تفسير القرآن الذي كان يلقيه كل ليلة بعد صلاة العشاء لمدة ربع قرن من الزمن، والذي كان له تأثير كبير في حياته:"ثم الفضل أولاً وأخيراً لله ولكتابه الذي هدانا لفهمه والتفقه في أسراره، والتأدب بآدابه، وإن القرآن الذي كون رجال السلف، لا يكثر عليه أن يكون رجالاً في الخلف، لو أُحسن فهمه وتدبره، وحملت الأنفس على منهاجه، وإذا لم يكن في حياتي العلمية من لافت للقرآن، إلاّ تلك الكلمة التي سمعتها من الشيخ (النخلي)، وقد فعلت فعلها في نفسي وأوصلتني في فهمي للدرجة التي تحمدونها اليوم..."[2].

وكان قد استقطع مشروعه التربوي برحلة قادته إلى البقاع المقدسة لمدة ثلاثة أشهر؛ أدى خلالها مناسك الحج ووقف أمام قبر الرسولε:"وقفت وقفة إجلال وخشوع أمام قبر محمد وصاحبيه، وأحسست أني قد تجردت يومئذ من كل شوائب البشرية، وأصبحت روحاً صافية طاهرة وغابت عني كل ملابسات الزمان والمكان، وخاطبت روح محمد صلى الله عليه وسلم، وكأنني أراها فقلت: يا رسول الله هذا عهد بيني وبينك، لأعيشن في سبيل دينك وأمتك مجاهداً ولأموتن في سبيل دينك وأمتك شهيداً، والله على ما أقول وكيل"[3]. وألقى دروسا بالمسجد النبوي، وتعرف إلى علماء ومفكرين وأقام معهم علاقات ودية وجلسات علمية، **منهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي التقى به لأول مرة في حياته، وجرت بينهما محادثات ومسامرات حول وضع الجزائر والطريقة المثلى لإصلاح ما فسد، ولرأب ما تصدع، من خلال إنشاء تنظيم يعمل لذلك.** كما التقى الشيخ **حسين الهندي** الذي نصحه بضرورة العودة إلى الجزائر ونشر العلم واللغة والدِّين، وقد

---

[1] - مازن صلاح المطبقاني: عبد الحميد بن باديس العالم الرباني و الزعيم السياسي، ط02، (دمشق، دار القلم،1999)، ص(42).

[2] - ابن باديس، الشهاب، عدد خاص، ج(04 -05)، ص(291).

[3] - أحمد توفيق المدني: عبد الحميد بن باديس الرجل العظيم(مجلة الأصالة، العدد 44 السنة السادسة، ربيع الثاني، 1397ه أفريل 1977م، ص(63).

آثرها ابن باديس فـــقال:"ورجعنا إلى الوطن بقصد خدمته، فنحن لا نهاجر، نحن حـــراس الإسلام والعروبة والقومية بجميع مدعماتها في هذا الوطن"[1].

وأثناء عودته إلى الجزائر، جاب بعض الديار المشرقية حيث اطلع بشكل مباشر علـــى أوضاع الشعوب العربية الإسلامية التي تعيش عليها يومئذ، وقام بدراستها. كمـــا اجتمـــع بجماعة العروة الوثقى التي أسسها موقظ الشرق جمال الدّين الأفغاني وتلميذه الإمام محمـــد عبده، والذي أخذ عنهما أفكارهما الإصلاحية وتشبع بها وعمل بها في مشروعه الإصلاحي التربوي، مراعياً في ذلك اختلاف الظروف البيئية وتطور الزمان. وخـــالط رشـــيد رضـــا صاحب مجلة المنار وجرت بينهما نقاشات علمية جادة، وكذا تعرف علـــى علمـــاء مـــن مدرسة الإصلاح، ومكث في القاهرة وأخذ عن بعض المشايخ منهم العالم **بالخيـــاط مفـــتي الديار المصرية**[2]، وزار الجامع الأزهر العريق ونظر في أساليب ومناهج التدريس فيه، حيـــث قال:"أغلب المعلمين في المعاهد الإسلامية الكبرى للأزهر لا يتصلون بتلامذتهم إلاَّ اتـــصالاً عاماً لا يتجاوز أوقات التعليم فيتخرج التلامذة في العلوم والفنون ولكن بدون تلك الـــروح الخاصة التي ينفخها المعلم في تلميذه -إذا كانت للمعلم روح- ويكون لها الأثـــر البـــارز في أعماله العلمية في سائر حياته"[3] .

فمن خلال هذه العلوم والمعارف التي حصّلها، والرحلات العلمية التي قام بها إلى البلاد العربية والإسلامية تبين له أن سبب ما يحدث في الجزائر من انحطاط وتخلف واتساع دائـــرة الطرقية واستسلام الناس لخرافاتها التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي أنهكت جسد الوطن وأورثته داء عضالاً سّهل على الاستعمار الاستيلاء عليه؛ هو عزوف أهله وانحـــرافهم عـــن النهج الرباني الأصيل المستمد من مشكاة القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. فـــرأى أن يبدأ عمله الإصلاحي انطلاقاً من مستوى الجذور.

[1] - ابن باديس، الشهاب، ج(08)، أكتوبر 1937م، ص(355).

[2] - يوسف مناصرية: علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأقطار المشرق العربي(مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة علمية محكمة نصف ســنوية، العدد(14)، جوان 2006م، جامعة باتنة الجزائر، ص(9).

[3] - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص(312)

عاد إلى قسنطينة ليواصل مشروعه التربوي الإصلاحي الذي كان قد بدأه بعد إيابه من تونس، وفي ذلك يقول ابن باديس:"لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة عـــام 1332هـــ وعزمنا على القيام بالتدريس، أدخلنا في برنامجنا دروسا لتعليم اللغة العربية وآدابها، والتفسير والحديث والأصول ومبادئ التاريخ والجغرافية والحساب وغيرها، ورأينـــا لـــزوم تقـــسيم المتعلمين إلى طبقات، واخترنا للطبقة الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية الـــتي وضـــعتها وزارة المعارف المصرية، وأحدثنا تغييرا في أسلوب التعليم، وأخذنا نحث على تعلـــم جميـــع العلوم باللسان العربي والفرنسي، وتحبيب الناس في فهم القرآن، وندعو الطلبـــة إلى الفكـــر والنظر في الفروع الفقهية، والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية، ونرغبهم في مطالعة كتـــب الأقدمين، ومؤلفات المعاصرين"[1].

وقد لاقى هذا المشروع تجاوباً وإقبالاً كبيرين من طرف الأمة الجزائرية الـــتي وصـــفها بأنها:"أمة معوانة على الخير، منطوية على استعدادات الكمال، وأنها ذات نسب عريـــق في المحامد والفضائل، ويعتبر الطينة الجزائرية طينة علم وذكاء إذا واتتها الظروف"[2]. هذا العامل شجعه على مواصلة عمله الإصلاحي ومكّنه من إعداد طليعة من الشباب عربيـــة مـــسلمة ناهضة أوفد بها كبعثات طلابية إلى القاهرة وتونس ودمشق. مـــن أشـــهرهم: **الفـــضيل الورتلاني، والمبارك الميلي، وسعيد الزاهري، وأحمد بوشمال...** هؤلاء الأشـــبال وغيرهـــم الذين لم تدنسهم تعاليم فرنسا ولم تفتنهم مباهج مدنيتها الفاجرة وجدوا لأداء مهمة الحث على الخير ونشر الفضيلة، والنهي عن الفحشاء والمنكر، والتصدي للخرافـــات والأباطيـــل شكلوا فيما بعد جمعية العلماء. وهذه شهادة البشير الإبراهيمـــي الـــذي عـــاين النتـــائج بنفسه:"ورأيت بعيني النتائج التي تحصل عليها أبناء الشعب الجزائري في بضع سنوات مـــن تعليم ابن باديس واعتقدت من ذلك اليوم أن هذه الحركة العلمية المباركة لها ما بعدها وأن هذه الخطوة المسددة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس في نهضة عربية في الجزائر"[3].

---

[1] - عبد الحميد بن باديس : ابن باديس حياته و آثاره، ج(02)، ص: 27.

[2] -عبد الحميد ابن باديس: الشهاب، ج05، م05، عدد ماي 1929، ص(27 - 33).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة(1954 - 1964)(الجزائر: دار الأمة، ط(1)، 1994)، ص(216).

أضاف ابن باديس إلى عمله الإصلاحي الذي التزمه طول حياته، والذي قضى فيه نحو ثلاثين سنة متطوعاً من دون أن يتقاضى أجراً مقابل ذلك، لا من الإدارة الحكومية ولا من أفراد الشعب عاملاً بنصيحة شيخه حمدان لونيسي؛ الذي نصحه أن لا يقترب للوظيف الحكومي وسيلة الصحافة كدعم لنشاطه التربوي خارج المسجد، والتي رأى أنها تساعده على انتشار أفكاره الإصلاحية، وتضمن وصولها إلى كافة الشرائح، وتعمل على توعيتها وتوجيهها. كما أنشأ عدة مدارس، وفتح نوادي ثقافية -ملتقى الشباب والمثقفين-، وأسس جمعيات تنظم نشاطات ترفيهية هادفة، واعتنى بحركة الكشافة الإسلامية في مختلف المدن والأحياء.

آثاره: لم يكن الشيخ ابن باديس يهتم كثيراً بتأليف الكتب، بسبب المهام الكثيرة التي كان يقوم بها من إلقاء الدروس والمحاضرات ورئاسة الجمعية، وكثرة تنقلاته ورحلاته التي شملت ربوع التراب الوطني. إلى جانب قلة الإمكانيات وكثرة العراقيل التي تعترض طريق دعوته من الجهل المنتشر بين أرجاء الوطن الذي يستدعي جهوداً مضنية للقضاء عليه، ومخططات المحتل.

كل هذه المهام وغيرها، كانت سبباً في قلة التأليف. وقد سأله يوماً أحد تلامذته عن التأليف، فأجابه:"إن الشعب يا بني ليس اليوم بحاجة إلى تأليف الكتب بقدر ما هو في حاجة إلى تأليف الرجال. إن إعداد معلم واحد كفء يتصدى لمحاربة الجهل الفاشي في ربوعنا خير لمجتمعنا من ألف كتاب تحفظ في خزائن، إلى أن تبيد وتبلى"[1].

من أهم مؤلفاته المطبوعة:

-تحقيقه كتاب"**العواصم من القواصم**" للإمام **أبي بكر بن العربي** والتعليق عليه، وطبعه على نفقته الخاصة.

-نشر رسالة بعنوان "**رسالة جواب عن سوء مقال**"، من 37 صفحة رد فيها على شيخ الطريقة العليوية الصوفية، وطبعتها المطبعة الإسلامية بقسنطينة سنة 1933م.

---

[1] - الشيخ باعزيز بن عمر: لمحات، عدد03، السنة 02، سنة 1969.

-جمع **محمد الصالح رمضان** تلميذ ابن باديس إملاءات لدروس كان يلقيها الشيخ على طلبته و نشرها في شكل كتاب بعنوان **"العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية"**.

-كتاب **"رجال السلف ونساؤه"** الذي نشره **محمد الصالح رمضان** و**توفيق محمد شاهين** سنة 1966م.

-جمع تفسير بعض الآيات التي كان يكتبها ابن باديس في افتتاحيات الشهاب تحت عنوان **"مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"** في كتاب مستقل **" تفسير ابن باديس"** وذلك كان عام 1964م.

-جمع **أحمد بوشمال** سنة 1948شروح آيات من سورة الفرقان اكتتبها ابن باديس في مجلة الشهاب، وأخرجه في شكل كتاب.

-في سنة 1968م، أتيح لـ**عمار الطالبي** جمع وتصنيف بعض آثاره التي قسَّمها إلى جزأين، **الأول** منه ضمَّنه تفسير القرآن، وشرح الحديث. **والثاني** تناول فيه: الإصلاح والثورة على البدع، التربية والتعليم، السياسة، البرقيات والاحتجاجات، الخطب، الشعر، التاريخ، العرب في القرآن، التراجم، القصص الديني والتاريخي، الرحلات، تطور الشهاب، الصلاة على النبي، الفقه والفتاوى.

و لم تسنح له الفرصة لجمع الكل، وذلك بسبب إتلاف الاستعمار الغاشم لكنوز الجمعية الفكرية حيث قال"كما أني لا أزعم أنه قد أتيح لي العثور على جميع آثار ابن باديس، لأنه قد أملى إملاءات كثيرة على طلابه، وما تزال مخطوطة أو مبعثرة أو مفقودة وحتى المطبوع من آثاره لم أجمعه كله ... والظاهرة التي ينبغي التنبيه عليها هي أن الشيخ لا يمضي جميع ما يكتب، ولهذا فالباحث يضطر للاجتهاد ... وقد أُتيح لي(عمار طالبي) أن أطلع على جميع أعداد مجلة **"السنة"**و**"الشريعة"** و**"الصراط"** و**"البصائر"** وجميع أعداد مجلة

الشهاب ابتداء من سنة 1929م وعلى أغلب أعداد جريدة "الشهاب"قبل تحويلها إلى مجلة وكان لا يكتب فيها إلاّ نادراً"[1].

- ومنذ سنة 1982م قامت وزارة الشؤون الدينية بنشر الآثار في ستة أجزاء تضم 2092 صفحة، استغرقت ثلاثة عشر سنة[2].

وكتب العديد من المقالات التي عالجت قضايا دينية وتربوية واجتماعية وسياسية،..، والمحاضرات والدروس،..،و... التي ألقيت في المساجد والنوادي والمناسبات الدينية داخل الوطن وخارجه، والمتناثرة هنا وهناك في الجرائد والمجلات الوطنية والخارجية.

وفاته: رحل الإمام بعد أن قضى سواده وبياضه في الدعوة إلى الله وقصر حياته على العربية والإسلام، وعاش للجزائر والإسلام عن عمر يناهز الواحد والخمسين سنة. وافاه أجله المحتوم ليلة الثلاثاء، الثامن من ربيع الأول سنة 1359هـ الموافق لـ السادس عشر من أفريل سنة 1940م في مدينة قسنطينة.

تضاربت الآراء حول سبب وفاته، هناك من ذهب إلى أنه قد أصيب بداء السرطان الذي أتى على أمعاءه، حيث صرَّح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي قائلاً:"بعد استقراري في المنفى بأسبوع تلقيت الخبر بموت الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله بداره بقسنطينة بسرطان في الأمعاء كان يحس به من سنوات ويمنعه انهماكه في التعليم وخدمة الشعب من التفكير فيه وعلاجه..."[3].

وفي مقابلة خاصة أجراها **الزبير بن الرحال** مع الأستاذ **عبد الحق بن باديس** شقيق المرحوم بمسجد سيدي قموش يوم 20-12-1997م الموافق ل: 20 شعبان 1419هـ أن سبب الوفاة هو الإرهاق والتعب[4]، وأنه مات ميتة طبيعية. وهناك من قال بأنه مات بسبب

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: ابن باديس حياته و آثاره، ج01، ص(96-97).

[2] - محمد الصالح الصدّيق: المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ص(237).

[3] - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، ص(225).

[4] - الزبير بن الرحال: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية(1889-1940م)(الجزائر: دار الهدى، د. ط، 1997م)، ص(121).

مرض سل العظام[1]. وذكرت إذاعة ألمانيا **"هنا برلين"** يوم 09 ماي 1940م أنه مات مسموماً على يد السلطات الفرنسية[2] .

يتأكد لنا من خلال هذا العرض الوجيز لسيرته، أن ابن باديس كان بحق رجل إصلاح كرّس حياته لخدمة دينه ووطنه وتعليم أبناء جلدته وإعدادهم ليوم النصر، كما عاهد ذلك به النبي صلى الله عليه وسلم يوم أن زار البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، بالرغم من علامات الفاقة والإعياء التي كانت تعلو وجهه. فدعوة ابن باديس نهجت بحق منهج الخطاب الشعبي العام، عكس خطاب بقية أعلام المشروع التحرري الذي صُبغ بصبغة صفوية نخبوية قياساً إلى القطاعات العريضة من الأمة، ولكن قد يصح أن نحكم عليه بالشعبية في نطاق المتعلمين والمثقفين[3].

(ب) -الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[1889-1965م]: هو محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي. ولد يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال عام 1306هـ يوافق سنة 1889 ميلادية[4] ، بقرية رأس الواد بناحية مدينة سطيف بالشرق الجزائري[5] .

ينتسب إلى **قبيلة أولاد إبراهيم** المتواجدة بنواحي مدينة سطيف، سليل أسرة عربية جزائرية عريقة، اشتهر أفرادها بالمحافظة على القيم الدينية والإقبال على العلم لمدة تزيد عن خمسة قرون، منهم جدّه عمر الإبراهيمي وعمه الأصغر الشيخ محمد المكي الإبراهيمي"عالم إقليمنا المعروف بوطن"ريغة" وفريد عصره في إتقان علوم اللسان العربي"[6].

---

[1] - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د. ط، د. ت)، مج(03)، ج(02)، ص(12).

[2] - عبد الكريم بوالصفصاف: رواد النهضة و التجديد في الجزائر (1889 - 1965)، ص(33).

[3] - عبد المجيد عمر النجّار: الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، ج(03)، ص(174).

[4] -محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي(1954 - 1964)، ج(05)، ص(298).

[5] - المصدر نفسه، ج(05)، ص(9).

[6] -المصدر نفسه، ج(05)، ص(90).

تعود أصول عائلته إلى **إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عم رسول الله** صلى الله عليه وسلم مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب(172 -364هـ/789 -975م) عاصمتها فاس. دامت فترة حكمه نحو قرنين من الزمن. كان له الفضل في نشر الإسلام في المغرب بين البربر وتحريرهم من بطش الحكام، وتأسيس جامع القرويين.

تلقى تعليمه الابتدائي الأولي التقليدي على يد والده **الشيخ عمر** وعمه الشيخ **محمد المكي الإبراهيمي**؛ مرجع الناس و طلاب العلم آنذاك، الذي أشرف على تعليمه وتحفيظه القرآن الكريم حفظاً متقناً في سنٍ مبكرة في الثالثة من عمره.

تولى تربيته وتكوينه، فأخذ عنه مختلف العلوم والمعارف ودرسها دراسة دقيقة، وحفظ المتون في الفقه واللغة والشعر **لابن الرومي، أبي تمام، البحتري، وأبي نواس،** والأدب الكامل، البيان، أدب الكاتب، وهو في سن السابعة، حيث يقول الإبراهيمي بشأن ذلك:"فكنت لا أفارقه لحظة حتى في ساعات النوم، فكان هو الذي يأمرني بالنوم، وهو الذي يوقظني منه، على نظام مضطرد في الأكل والنوم والدراسة، وكان لا يخليني من تلقين حتى حين أخرج معه وأماشيه للفسحة، فحفظت فنون العلم المهمة في ذلك السِّن مع استمراري في حفظ القرآن"[1].

كما حفظ بتوجيه من عمه أربعة كتب ساهمت في تنمية ملكته اللغوية: كتاب"**كفاية المتحفظ**" لـ**الأجدابي الطرابلسي**، وكتاب **للهمداني**، وكتاب"الفصيح" لـ**ثعلب**، وكتاب"**إصلاح المنطق**" لـ**يعقوب السكيت.**

امتلاكه لذاكرة قوية وحافظة عجيبة، وحرص عمه على تحميلها بما ينفع من ثروة معرفية، وتميزه عن أقرانه؛ أهله لأن يخلف مكانه في التدريس بعد أن أجازه بذلك مقابل اجتهاده في التحصيل والجمع، وذلك قبل وفاته سنة 1903م وعمره آنذاك لم يكن يتجاوز أربع عشرة سنة.

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: " أنا "، ص(13)..

بعد أن توفي عمه قبل الحرب العالمية الأولى(1911 - 1920م)، شدّ الرحال إلى بـــلاد الحجاز سنة 1911م لمواصلة تعليمه، ملتحقاً بوالده الذي فر من بطش الاســتعمار ســنة 1908م. في طريقه نزل بالقاهرة وأمضى بها ثلاثة أشهر، حيث حــضر فيهــا محاضــرات ودروس لنخبة من علماء أجلاء أمثال: **سليم البشرى**، و**محمد نجيب المطيعي**، و**يوســف الدجوي**، وزار صاحب المنار **رشيد رضا** بدار الدعوة والإرشاد، والتقى بــ**أحمد شــوقي** و**حافظ إبراهيم** من فحول الشعر العربي المعاصر.

بعدها انتقل إلى المدينة المنورة مكان تواجد والده. هناك بالمسجد النبوي درس علـــى يد علماء عمالقة يشار لهم بالبنان في العلم والتقوى، مثل: المحققان في علوم الحديث وفقه السنة **الشيخ العزيز الوزير التونسي** الذي أخذ عنه**"موطأ" الإمام مالك**، والشيخ **حسين أحمد الفيض أبادي** الهندي الذي أخذ عنه **"صحيح مسلم"** الذي قال عنهما:"وأشهد أني لم أر لهذين الشيخين نظيراً من علماء الإسلام إلى الآن،...، لم أر مثل الشيخين في فصاحة التعبير ودقة الملاحظة والغوص عن المعاني واستنارة الفكر، والتوضيح للغوامض، والتقريب للمعاني القصية"[1].

كما أخذ علم التفسير عن الشيخ **إبراهيم الاسبوكي** ، وعلم الجرح والتعـــديل عـــن الشيخ **أحمد البرزنجي الشهرزوري**، وعلم أنساب العرب والسيرة النبوية عن الشيخ **محمد عبد الله زيدان الشنقيطي**، وعلم المنطق عن الشيخ **عبد الباقي الأفغاني**. إلى جانب إلقاءه لدروس في النحو والصرف والعقائد والأدب، وعكف على مطالعة الكتب الثمينة القديمـــة منها والحديثة والمخطوطات النادرة مدة إقامته في مكتبات المدينة العامة والخاصـــة. كمـــا تعرف على الشيخ **عبد الحميد بن باديس** عندما قدم لأداء فريضة الحج عام 1913م.

في تلك الأثناء، جاء أمر من طرف الحكومة العثمانية ينص على ضـــرورة ترحيـــل سكان المدينة إلى دمشق الفيحاء، بسبب ثورة **الشريف حسين بن علي**. هناك عين أستاذاً للآداب العربية واللغة بالمدرسة السلطانية المدرسة الثانوية الأولى والوحيدة في ذلك الوقت

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(05)، ص(275).

بدمشق. تخرج على يديه طليعة من المثقفين المتفوقين يعدون من رواد النهضة العربية الحديثة، ويعملون في حقل العروبة، منهم: الدكتور جميل صليبا...

كما ألقى دروساً في الوعظ والإرشاد في المسجد الأموي بدمشق، والتقى بعلمائها وأدبائها يتذكرهم بعد ثلاثين سنة من عودته إلى الجزائر؛ فيكتب في"**البصائر**" العدد(64) عام 1949م:"ولقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً، فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وأنها هي الجزء العامر في عمري الغامر، ولا أكذب الله، فأنا قرير العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن(الجزائر) ولكن ... مَن لي فيه بصدر رحب، وصحب كأولئك الصحب... فكم كانت لنا فيها من مجالس نتناقل فيها الأدب، ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية...".

في عام 1920م عاد إلى وطنه متجها نحو مدينة سطيف، مسقط رأسه أين باشر مشروعه الإصلاحي، بعد أن تأكد من أن الأمة لا تتقبل الأفكار الصالحة وهي على هاته الحال، من جهل وفقر وتخلف واستعمار. عمد إلى تهيئتها عن طريق العلم من خلال عقد ندوات علمية، وإلقاء محاضرات تاريخية، وتنظيم دروس دينية، وفتح مدارس لتعليم الناشئة، وبناء مساجد حيث تمكن من تأسيس مساجد بالمدينة وضواحيها، بالرغم من الملاحقات البوليسية والمراقبة المشددة لتحركاته وتنقلاته ما بين المدن والقرى، حيث يقول:"وكانت أعمالي هذه في التعليم الذي وقفت عنايتي عليه فاترة أحياناً لخوفي من مكائد الحكومة الاستعمارية، إذ ليس لي سند آوي إليه كما لأخي ابن باديس،... فكان بوليسها يلاحقني بالتقارير ويضيق الخناق على كل من يزورني من تونس أو الحجاز، كل هذا وأنا لم أنقطع عن الدروس لطلاب العلم بالليل"[1].

وفي سنة 1931م تم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بعد المدارسات الطويلة والعميقة التي جرت بينه وبين ابن باديس، والزيارات المتواصلة التي كانا يتبدلانها بين الفينة والأخرى الداعية إلى تخريج جيل يناصر جهودهما، مشبع بأفكارهما، يؤمن بالعروبة والإسلام و الحرية. وقد تحقق ما كان يسعيان له، وأصبح لدى الجمعية جيش من الخطباء

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: " أنا "، ص(21).

والكتاب والشعراء ... يجمعهم إيمان واحد، وفكرة واحدة، وحماس متأجج، وغضب حادّ على الاستعمار[1].

تولى محمد البشير الإبراهيمي مهمة الإصلاح في المقاطعة الغربية من أرض الوطن متخذاً بذلك مدينة تلمسان؛ واحة الثقافة العربية في الناحية الغربية مركز نشاطه"البلد الأول الذي كان الأمام الخالد الشيخ عبد الحميد بن باديس يناجي فيه الإمام محمد البشير الإبراهيمي في مدى عشر سنين من الزمن، ومها معاً يحكمان الخطط للنهوض بالوطن السليب، وللإجهاز على المحتل الغاصب"[2]. انطلق الإمام يصول ويجول بين أرجاءها وما جاورها من مدن وقرى يلقي الدروس، ويعرف بالإسلام، ويصلح بين الناس ويؤلف بين قلوبهم، ويحث على التعاون، ويكشف البدع وأهلها، ويدعو إلى تأسيس المساجد وبناء المدارس وإنشاء النوادي وتكوين الجمعيات، ويهدي الكبار إلى فعل الخير والانتهاء عن المنكر، ويوجه الشباب إلى صالح العمل، ويعلم الصغار مبادئ دينهم ولغتهم.

تكللت جهوده بالنجاح إثر تأسيسه **مدرسة دار الحديث** سنة 1937م، بنيت على نسق هندسي أندلسي أصيل، فكانت مركز إشعاع ديني وعلمي وثقافي، احتوت على مدرسة ومسجد وقاعة محاضرات. وكذا إنشاءه لنوادي مثل نادي السعادة، ونادي الشبيبة الإسلامية، ونادي الرجاء، ونادي الشباب الإصلاحي. وفتحه لأربعمائة مدرسة إسلامية، تضم مئات الآلاف من البنات والبنين، وبناءه لأكثر من مائتي مسجد لأداء الصلوات وإلقاء المحاضرات.

ويحدثنا الشيخ عن يومياته فيقول:"كنت ألقي عشرة دروس في اليوم، أبدؤها بدرس في الحديث بعد صلاة الصبح، وأختمها بدرس في التفسير بين المغرب والعشاء وبعد صلاة العتمة أنصرف إلى أحد النوادي فألقي محاضرة في التاريخ الإسلامي... وفي فترة العطلة

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: " أنا "، ص(21).

[2] - محمد الطاهر فضلاء: الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ص(116).

الصيفية أختم الدروس كلها وأخرج من يومي للجولان في الإقليم الوهراني مدينة مدينة وقرية قرية، فألقي في كل مدينة درساً أو درسين في الوعظ والإرشاد،..."[1].

تسبب هذا النشاط المكثف في إثارة حفيظة المشعوذين والخرافيين والاستعمار الفرنسي وأقلقهم؛ مما أدى بالسلطات المتسلطة إلى اعتقاله ونفيه إلى آفلو سنة 1940م. وقبل وفاة ابن باديس بثمانية أيام أُختير اعتبارياً كرئيس للجمعية، حيث كان يدير شؤونها ويطلع على أخبارها بطريق المراسلة، عن طريق زوار تسمح بهم فرنسا. كما كتب في تلك الفترة كتاباً حول رفيق دربه في النضال عبد الحميد بن باديس. "فقد روى فضيلة الشيخ **عبد الرحمان شيبان** أنه اطلع على رسالة بعثها الإمام الإبراهيمي من منفاه إلى الشيخ بلقاسم بن رواق المشرف على الحركة الإصلاحية تعليماً وإرشاداً في مدينة بلعباس، يخبره فيها بانكبابه على تأليف ذلك الكتاب. ولا شك أن خسارة العلم والتاريخ بضياع هذا الكتاب لا تعوَّض، لأنه ليس هناك من هو أعرف بالإمام ابن باديس، وأقدر على الكتابة عنه مثل أخيه الإمام الإبراهيمي"[2].

ولما أفرج عنه سنة 1943م، عاود مزاولة نشاطه في الجمعية بشكل إداري فعلي كقائد للجمعية، حيث قال:"كنت أقوم للجمعية بكل واجباتها، وأقوم للجريدة بكل شيء حتى تصحيح النماذج، وأكتب الافتتاحيات بقلمي، وقد تمر الليالي ذوات العدد من غير أن أطعم النوم، وقد أقطع الألف ميل بالسيارة في الليلة الواحدة، وما من مدرسة تفتح إلاّ وأحضر افتتاحها وأخطب فيه، وما من عداوة تقع بين قبيلتين أو فردين إلاّ وأحضر بنفسي وأبرم الصلح بينها، وأرغم الاستعمار الذي من همه بث الفتن، و إغراء العداوة والبغضاء بين الناس، فكنت معطلاً لتدبيراته في جميع الميادين"[3].

ولكن ما لبث أن اعتقل مرة ثانية عام 1945م، بعد تشكيله تجمع أحباب البيان لجمع الأحزاب، و أحداث 08 ماي1945م المريعة التي نظمتها فرنسا عقب هزيمتها النكراء أمام

---

[1] - محمد الطاهر فضلاء: الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ص(26).
[2] - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(2)، (1940 - 1952)، ص(16).
[3] - محمد البشير الإبراهيمي :" أنا "، ص(29).

القوات النازية،"والتي قتلت فيها عشرات الآلاف من أنصار جمعية العلماء واعتقلت مثلهم، وأغلقت مدارس الجمعية كلها بدعوى أنها قلاع للعمل ضدها، ومزارع لغرس بغضها في قلوب الجزائريين، وهذان الوصفان رسميان من كلام الحكومة في تبرير عملها الفظيع، وسجنت كاتب هذه السطور في السجن الحربي تمهيداً لمحاكمته عسكرياً بتهمة الثورة، وقد كان رجال جمعية العلماء آخر من سرَّحتهم من المعتقلات نكاية فيهم حقداً عليهم"[1].

عاد بعد أن أطلق سراحه إلى مزاولة نشاطاته بالجمعية، وقام بإنشاء معهد ثانوي يواصل فيه خريجو مدارس التعليم الابتدائي الحر تعليمهم. أطلق عليه اسم **معهد عبد الحميد بن باديس** بقسنطينة، المعترف بشهادته في جامعات المشرق العربي، والذي أنجز في ظروف مادية وإدارية صعبة للغاية.

وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية(1952 - 1962م)، أوكل إليه أعضاء الجمعية مهمة السفر إلى المشرق العربي وذلك يوم 1952/3/7م بغرض:

-السعي لدى الحكومات العربية للحصول على عدد من المنح الدراسية لطلبة الجمعية المتخرجين من المعهد الثانوي الباديسي؛ لاستكمال الدراسة في جامعاتها ومعاهدها على حساب نفقاتها.

-التماس مساعدات مادية تعينها على مواصلة مسيرتها التعليمية، والتصدي للسياسة الاستعمارية الرامية إلى تحطيم مقومات الشخصية الجزائرية وفرنسة البلاد.

-تعريف الحكومات العربية والإسلامية والرأي العام العربي والإسلامي بالقضية الجزائرية، بمراحل كفاحها ضد الاحتلال، بحقيقة الوضع المأساوي الذي يعاني منه الشعب الجزائري على جميع المستويات الثقافية منها، والسياسية، والاقتصادية، و...، ومصوراً محنتها.

وقد سعى لتحقيق هذه الأهداف مغتنماً بذلك المؤتمرات الصحفية والتجمعات، ومستغلاً المحاضرات ومتصلاً بمختلف الهيئات والمنظمات، والشخصيات العربية الإسلامية والمسئولين السياسيين في مصر وبغداد وسوريا، والكويت والأردن، وباكستان في شبه القارة الهندية؛ أين أذاع كلمة في الإذاعة الرسمية أخبر فيها مستمعيه:"أنه جاء في رحلة

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(175).

استطلاعية بدأها بمصر، لدراسة أحوال المسلمين والتعرف على قياداتهم وأنماط تفكيرهم في الحكم، ومخالطة مجتمعاتهم لربط الصلات وإقامة التعارف الحق والتعاون مع القادة على مـــا فيه خير للإسلام"[1] قصد الحصول على منح جديدة للطلبة الجزائريين الذين توفدهم الجمعية قصد الدراسة. كما يحثهم على ضرورة تقديم المساعدات للشعب الجزائري، ويـــدعوهم إلى الضغط على فرنسا، ويطالبهم بمقاطعتها اقتصادياً، وتأييد شعبه في مواقفه.

تمكن بفضل مساعيه المجدية الحصول على المنح التعليمية للطلاب الجزائريين في البلاد العربية، التي كانت في البداية قاصرة على مصر، حيث بلغ عدد الطلبة المتوجهين إليها آنذاك في نوفمبر 1951م أي قبل انتقاله إليها 16 طالباً، وارتفع هذا العدد بعد نجاح الجمعية مـــن تشكيل مكتب خاص بها بالقاهرة إلى 25 طالباً وطالبة واحدة. وتوســـعت بـــذلك رقعـــة استقبال البعثات العلمية بالبلاد العربية، حيث قبلت العراق 15 طالباً، ودولة الكويـــت 15 طالباً، وسوريا 30 طالباً، ومصر نحو 50 طالباً[2] فضلاً عن تونس والمغرب التي استقبلت سنة 1953م 1200 طالب.

لاقت هذه البعثات الرعاية والاهتمام من طرفه، كان يوجهها توجيهاً عربياً وإسلامياً ووطنياً؛ حيث" نجح ما يقرب من (90%) من أفرادها في دراســـاتهم الثانويـــة والجامعيـــة، وعندما نشبت ثورة الفاتح من نوفمبر سنة 1954م كانوا من جنودها وساهم عدد كبير من أفرادها بفكرهم وثقافتهم في مختلف أجهزة الثورة"[3]. كما حصل على مـــساعدات ماليـــة لجمعية العلماء من مختلف الأقطار العربية في أوقات متفاوتة.

ولعل العاملين الأساسيين اللذين ساعدا في إفهام الرأي العام والمـــسؤولين العـــرب في مختلف البلاد التي زارها؛ موهبته الخطابية التي حباه الله بها والتي أهلته لأن يلقب بأمير البيان

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: عالمان مغاربيان في شبه القارة الهندية -الثعالبي والإبراهيمي - (البصائر: أسبوعية إصلاحية شاملها شـــعارها الإســـلام ديننـــا. والعربية لغتنا. والجزائر وطننا، الإثنين 02 - 09 ذو الحجة 1421هـــ/ 26 فيفري 05 مارس 2001م، العدد(40).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة(1954 - 1964)، ص(97).

[3] - رابح تركي: البشير الإبراهيمي في المشرق العربي(مجلة الأصالة، العدد(08)، السنة الثانية، ربيع الثاني، جمادى الأولى 1392هـــ، ماي - جوان 1972م، ص(263).

العربي في العالم العربي الإسلامي، و"غزارة علمه، وبلاغة قلمه، وقوة حجته، وفصاحة لسانه، ولباقته في الحديث إلى مستمعيه مهما كانت درجاتهم الثقافية والاجتماعية"[1].

هناك بالمهجر، عرضت عليه مناصب كثيرة، منها مشيخة الأزهر التي رفضها لأنها لا تتناسب مع الغاية التي جاء من أجلها. وقبل منها منصب عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي يضم خيرة رجال الفكر والعلم والثقافة في العالم العربي؛ لأنها توافق مكانته العلمية واللغوية"عرضت عليه مناصب رفيعة، كمشيخة الأزهر، فأباها كلها في شمم، ورضي منها العضوية في المجامع اللغوية العربية، كالمجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية حالياً) سنة 1945م، ومجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1954م ومجمع اللغة العربية في بغداد، وكانت ثقة المجمعيين به، وبعلمه، وحفظه، وروايته، وأدبه بلا حدود.."[2].

وفي عام 1954م، انتخب كعضو مراسل للمجمع حتى سنة 1961م، أين تم تعيينه عضواً كامل العضوية في مجمع اللغة العربية ممثلاً للجزائر بالمجمع المذكور. كما قبل الانضمام إلى"ندوة الأصفياء"؛ وهي جمعية أدبية، اجتماعية، فلسفية، دينية تضم رجالات الفكر والأدب العرب، تعالج موضوعات تهم الفكر الإسلامي مثل موضوع "مشكلة العروبة في الوطن العربي" الذي قام بعرضه أثناءها. كما نال عضوية المجمع العلمي بدمشق ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

وقد اعتبر الأستاذ **موسى الأحمدي** في محاضرة ألقاها بقاعة الأفراح بمدينة سطيف في حفلة الذكرى الأولى لفقيد الجزائر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يوم الأحد 1966/5/22م، أن رحلة الإبراهيمي إلى الشرق ما هي إلاّ مرحلة تمهيدية للثورة البطولية التي اعتز بها أحد الزعماء الساسة فقال:"إن الثورة التحريرية هي الثورة الثانية بعد ثورة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يرو لنا التاريخ العربي عن ثورة عربية قلبت المفاهيم وأعادت للعرب شخصيتهم وإيمانهم بأنفسهم وقوتهم مثلما فعلت ثورتنا بالجزائر"[3].

---

[1] - رابح تركي: البشير الإبراهيمي في المشرق العربي(مجلة الأصالة، العدد(08)، السنة الثانية، ربيع الثاني، جمادى الأولى 1392ه ماي - جوان 1972م، ص(592).

[2] - عبد الله الطنطاوي: المجاهد الشيخ البشير الإبراهيمي. http://www.odabasham.net/show.php?sid=12857

[3] - محمد الطاهر فضلاء: الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى(الجزائر: مطبعة البعث، 1387هـ/1967م)، ص(93).

وبعد حصول الجزائر على الاستقلال سنة 1962م، عاد الإبراهيمي إلى وطنه بعد أن غاب عنها أكثر من 20 سنة، وألقى خطبتي أول صلاة جمعة من مسجد(كتشاوة) بقلب العاصمة الجزائرية. حضرها شخصيات سياسية ووطنية، ووفود من مختلف أقطار العالم العربي الإسلامي. وقد أوصاهم بالاتحاد وعدم التفرقة، وحذرهم من الانزلاق واتباع الهوى والتشتت والغرور حيث قال:"يا إخواني إنكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر واليابس، وإنكم اشتريتم حريتكم بالثمن الغالي وقدمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدمه شعب من شعوب قديماً ولا حديثاً، وحزتم في سبيلها من إعجاب العالم بكم ما لم يحزه شعب ثائر، فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستزلكم الشيطان، فتشوهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة"[1]. كما حذرهم من مخلفات الاستعمار وخطورتها على مستقبل العباد والبلاد فقال:" قد خرج من أرضكم، ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم، و لم يخرج من ألسنتكم، و لم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلاّ فيما اضطررتم إليه"[2].

كل ما جاء في الخطبة من تنبيه وتحذير ظهرت بوادره فيما بعد، و عاش جزء من أحداثها من تنكر البعض لجهوده، وانحراف الحكومة عن الإسلام وتبنيها النظام الاشتراكي؛ فأصدر يوم 16 أفريل عام 1964م بيانا جاء فيه:"إن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية لا من مذاهب أجنبية"[3] .

آثاره: كرَّس الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حياته للإصلاح وتكوين الرجال قارناً القول بالفعل والعلم بالعمل، فلم يكن له متسعاً التأليف بسبب كثرة الأعمال حيث قال:" لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلاً، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالاً، وعملت لتحرير عقوله تمهيداً

---

[1] - محمد الطاهر فضلاء: الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى، ص(308).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(05)، ص(52).

[3] - عبد الكريم بوالصفصاف: رواد النهضة و التجديد في الجزائر (1889 - 1965)، ص(61).

لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلماً عربياً، وصححّت لــه مــوازين إدراكه فأصبح إنساناً أبياً، وحسبي هذا مقرباً من رضا الرب، ورضا الشعب"[1].

رغم هذا، فقد ترك مجموع أوراق اكتتبها، تناولت موضوعات متنوعة مست مختلف المجالات، منها ما جمع شتاها وطبع في شكل كتاب، وأكثرها ضاع إبان الثورة التحريرية. أشرف نجله **أحمد طالب الإبراهيمي** على جمع آثار والده العلمية والفكريــة والأدبيــة في خمسة مجلدات تحمل عنوان **"آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمــي"**، وذلــك بمــساعدة تلميذي الشيخ الإبراهيمي **حمزة بوكوشة ومحمد خمار** بعد ســنتين قــضوها في البحــث والتنقيب. اشتمل الجزء الأول (1929 - 1940م) على بعض المقالات والمحاضرات والرسائل التي نشرت في الشهاب ابتداء من عام 1929م، والبصائر في سلسلتها الأولى عقب عودتــه من المشرق سنة 1920م، والذي صدر سنة 1978م. أما الجــزء الثــاني (1940 - 1952م)، احتوى على بعض المقامات و الروايات والرسائل ومقالات كتبها في جريدة البــصائر في سلسلتها الثانية. أما الجزء الثالث – عيون البصائر -؛ يضم مجموع مقالات افتتاحية متنوعة كانت تتصدر جريدة البصائر في سلسلتها الثانية بين سنوات 1947 و1953م، أشرف على طبعه محمد البشير الإبراهيمي بدار المعارف في مصر سنة 1963م، وهو أهــم مــا كتــب حسب إجماع تلامذته ورفقاءه. واحتوى الجزء الرابع (1952 - 1954م) علــى مقــالات، وخطب، ومحاضرات سجلها أثناء رحلته الثانية إلى المشرق وإقامته به، بهــدف التعريــف بالقضية الجزائرية وواقعها والتشهير بدسائس الاستعمار الفرنــسي إلى انــدلاع الثــورة التحريرية، والذي صدر سنة 1985م. أما فيما يخص الجزء الخامس (1954 - 1964م)، فقد ضمّنه مجموع الخطب والبرقيات وتصريحات وبيانات ونداءات مثل نــداء أول نــوفمبر يدور موضوعها حول الجزائر سواء أثناء ثورتها التحريرية أو بعد الاستقلال. والذي صدر سنة 1994م.

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(05)، ص(52).

وفـــــــــــــــــاته: تُوفي الإمام الشيخ يوم الخميس 19من مـــايو1965م عن عمر يناهز 76 سنة، قضاها في خدمة الإسلام والمسلمين بعد أن ضعفت صحته وكـــبر سنه.

وبعد، يتضح لنا مما تقدم أن المصلحين؛ ابن باديس والإبراهيمـــي اللـــذان فتحـــا عينهما على الوطن وهو يئن تحت وطأة الاستعمار الاستيطاني، يعدان بحق من الأسمـــاء الريادية في بلاد المغرب العربي اللذان هدفا من عملهما الإصلاحي المتكامل؛ إلى تكـــوين الشعب الجزائري وتخليصه من التبعية الثقافية وإعداده ليوم المواجهة العسكرية الفاصلة ضد المستعمر الفرنسي الذي طال ليله وكثر خبثه. استطاعا خلال مسيرتهما النـــضالية التي جمعتهما فترة العشرينات والثلاثينات أن يقوما بإنجازات كبيرة مـــست جبـــهات عديدة، ساهمت في تعبئة الشعب تعبئة شاملة استعاد من خلالها ثقتـــه بنفـــسه وثقافتـــه العربية الإسلامية الضائعة، ووطنه المستنزفة خيراته والمنتهكة حرماته بعد قرن ونيـــف، متحدياً بذلك كل هجمات ومناورات ومساومات العدو المتتالية.

الفصل الثالث: مضامين الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي

أولاً: المضمون العقدي

ثانياً: المضمون التربوي

ثالثاً: المضمون الاجتماعي

رابعاً: المضمون السياسي

يقول المولى تعالى في محكم تتريله[**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**][الأنبياء/ 25]. تبين هذه الآية بوضوح مضمون الخطاب الدعوي الذي حملته دعوات الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى البشر عن رب العزة، وهو الدعوة إلى عبادته سبحانه وحده لا شريك له، وإخلاص الدين له، وطاعته فيما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه وهي جوهر الخطاب[**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**][آل عمران/ 85]. فبالخطاب سمت مترلتهم فوق مستوى مترلة الصالحين والحكماء والناس أجمعين. والدعوة إلى الله تشمل العقائد والشرائع والأخلاق.

والعلماء ورثة الأنبياء في توجيه الناس إلى طريق الهداية، إلاَّ أن خطاهم قابل للمناقشة، ويحتمل الخطأ ويقبل الرد سواء كان خطاباً **عقدياً** بالدعوة إلى التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة [**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**][النساء/ 36]، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ونبذ الشرك بكل صوره؛ الأكبر والأصغر والظاهر والخفي. والبدء بالعقيدة أمر ثابت وتوقيفي في دعوات الأنبياء والرسل فالعلم بها"يعد من أولويات البناء في حقل الدعوة؛ لأن المفاهيم الرئيسة في العقيدة إذا لم تكن صحيحة وأصابها الانحراف، فكل ما يستند إليها سيلحق بها؛ إذ على فهمها يترتب فهم سائر الأحكام، وانطلاقاً منها توزن الأقوال والمواقف والأحداث"[1]. أو **تربوياً** بالدعوة إلى مكارم الأخلاق؛ منه ما تعلق بالفرد في سلوكه الشخصي كالشجاعة والوفاء والعفة، ومنها ما تعلق بالأسرة كالعلاقة بين الزوجين[**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**][النساء/ 19]، ومنها ما يتعلق بالمجتمع كالنهي عن التطفيف في المكيال[**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**][المطففين/ 1 - 2 - 3]. ويأتي هذا الميدان في المرتبة الثانية بعد العقيدة لما لصلاح الأخلاق من علاقة بالعقيدة؛ فكلما كانت العقيدة صحيحة كانت الأخلاق مستقيمة والعكس صحيح. أو **اجتماعياً**، أو **سياسياً**.

[1] - محمد أمحزون: منهج النبي في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة(مصر: دار السلام، ط(2)، 2003م)، ص(33).

أولاً: المضمون العـــقدي: لا يخلو زمن من الأزمنة أو عصر مـــن العـــصور، إلاّ ويبعث الله منذراً إلى أمة من الأمم حاملاً إليها شريعة الحق يعـــرفهم بهـــا، ويـــدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وحده دون أن يكون له شريك، ويحذرهم من عاقبة الكفر ويـــدعوهم إلى مجانبته. قال تعالى: [**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**][النحـــل/36]. والإيمان بكتبه وبالرسل الذين جاؤوا من قبله، والذين ســـيأتون مـــن بعـــده، وبـــشرائعه، ومصداق ذلك قوله تعالى: [**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ**][فاطر/24].

والعقيدة ضرورة من ضرورات الحياة، تلازم الإنسان في كل مكان لا يمكن العـــيش بدونها سواء كانت حقاً أو باطلاً. توجه سلوكه وتضبط غرائزه وتنظم حياته. وهي عبـــارة عن مجموعة من القضايا والمسائل التوقيفية الغيبية الحقة المسلمة بالعقل، والسمع، والفطـــرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودهـــا وثبوتها لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً[1].

تتمثل هذه القضايا المسلم بها عقلاً والمصدق عليها بالقلب والمثبتة في الكتاب والـــسنة في قوله تعالى: [**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُـــونَ كُـــلٌّ آمَـــنَ بِاللَّـــهِ وَمَلائِكَتِـــهِ وَكُتُبِـــهِ وَرُسُلِهِ**][البقرة/ 285]. وحديث سؤال جبريل عليه السلام حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتـــؤمن بالقـــدر خـــيره وشره)[2] .

دعا إليها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أهل قريش في مكة طيلة ثلاثـــة عـــشر عاما. قضاها في الدعوة إلى توحيد الله واتباعه صلى الله عليه وسلم، ومقاومة جميع أشكال وألوان الشرك وصنوف البدع، دون أن يحمل سلاحاً أو يشهر سيفاً. ركّز خـــلال هـــذه الفترة التي أخذت غالب وقته وجهده على إصلاح القلوب التي اســـتحكمتها معتقـــدات فاسدة ومحرفة سائدة، وانتزاع ما بها من تصورات وانحرافات عقدية جاهلية متبعاً بـــذلك كل ما يتنزله من الوحي الإلهـــي دون أن يلتفـــت إلى عـــادات وســـلوكيات الجمـــوع

---

[1] - أبو بكر جابر الجزائري: عقيدة المؤمن(باتنة: دار الشهاب، ط1)، ص19.

[2] - رواه الترمذي، كتاب: الإيمان عن رسول الله، باب: ما جاء في وصف جبريل للنبي عن الإيمان والإسلام، رقم الحديث: 2535.

المدعوة؛"لأنها إنما تقوم على جذور اعتقادية فاسدة، فعلاجها من فوق السطح قبل جذورها الغائرة جهد ضائع"[1]. وإلى هذا يشير حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم:"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[2].

وقد جاءت أغلب آيات القرآن الكريم تتحدث عن العقيدة، حيث جاء فيه أن آيات الأحكام الشرعية عددها أقل من ستمائة آية[3]، والباقي بيان للتوحيد والإيمان وأمور الغيب والوعد والوعيد. كما جاءت السنة النبوية مبينة ومفصلة لأحكام التوحيد. وقد عبرت عنها النصوص النقلية والأحاديث النبوية باسم(الإيمان)، كما عبرت عن الشريعة والعبادة والأخلاق باسم(العمل). ولا يقبل عمل بلا إيمان كما لا ينفع إيمان بلا عمل[4].

وهي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ومن اقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدِّين المتصفون بإتباع الكتاب والمتمسكون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجانبة البدع ومحدثات الأمور. عد شيخ الإسلام **ابن تيمية** مذهبهم مذهباً قديماً كان قبل وجود الأئمة الأربعة فقال:"مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله تعالى أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة"[5].

منهجهم في تلقي العقيدة يقوم على التسليم والانقياد لأوامر الله عز وجل وسنة رسوله دون تفريق بينهما، والإيمان بظواهر النصوص دون تأويلها وما أجمع عليه السلف الصالح في كل قضية من قضايا العقيدة، من غير اشتغال العقل الذي لا دخل له في مجال الغيب - السمعيات - من أمور العقيدة، لأن الله قد تكفل بذلك إن نحن تمسكنا بهما أن لا

---

[1] - محمد السيد يوسف: منهج القرآن في إصلاح المجتمع(القاهرة: دار السلام، ط1، 1422ه/ 2002م)، ص138).

[2] - رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث: 50.

[3] - محمد السيد يوسف: منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ص(139 - 140).

[4] - يوسف القرضاوي: الإخوان المسلمون "70" عاماً في الدعوة والتربية والجهاد(بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1422ه/2001م)، ص(346).

[5] - أحمد بن عوض الله الحربي: الماتردية دراسة وتقويما(الرياض: دار الصميعي، ط2، 1421ه/2000م، ص(59).

نضل ولا نشقى حيث يقول تعالى: [فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى][طه/ 123].

وفي ذلك يقول تعالى: [وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً][النساء/ 115].

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدٌ حبشيٌ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ"[1].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والإقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، والسنة تفسير القرآن وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء وإنما هو الإتباع وترك الهوى..."[2].

مثال ذلك قولهم في مسألة الاستواء ما يلي: الاستواء هي صفة فعلية ثابتة من صفات الله تعالى، وردت في القرآن الكريم في سبع مواضع: وردت بصيغة[ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ] في ستة مواضع: في سورة الأعراف/(54)، يونس/(3)، الرعد/(2)، الفرقان/(59)، السجدة/(4)، الحديد/(4). ووردت بصيغة[الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] في موضع واحد من سورة طه/(5). هذه الآيات تدل على أن الله عزل وجل استوى على عرشه بعد أن خلق السماوات والأرض بطريقة تليق بمقامه.

---

[1] - رواه الترمذي، كتاب: العلم عن رسول الله، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم الحديث: 2600.

[2] - أحمد بن عوض الله الحربي: الماتردية دراسةً وتقويماً، ص(63 -64).

كما جاءت السنة بإثبات هذا الاستواء في أحاديث كثيرة منها: حـديث رواه أبـو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنـده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي"[1].

وأجمع السلف الصالح على أن الله تعالى مستو على عرشه كما جاء في الكتاب والسنة مع عدم إشغال العقل بكيفية الاستواء. وفي هذا يقول الإمام مالك -رحمه الله- حين قـدم إليه رجل يسأله عن قوله تعالى:[**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**]، كيف استوى؟ فرد عليه الإمام فقال: استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء[2].

هكذا كان منهجهم رضوان الله عليهم في إثباتهم للعقائد التسليم والخضوع من غـير جدال ونقاش، لأنها من الأمور الغيبية التي يعجز العقل البشري الخوض فيها لمحدودية قدراته وطاقاته.

وكانت **جمعية العلماء** قد اتخذت من الطريقة السنية منهجاً لهـا في إثبـات عقيـدة الشعب الجزائري، الذي التقى عليه الاستعمار الروحي والمتمثل في الطرق الصوفية المنحرفة، التي أغشت سمع الضعفاء من الشعب الجزائري، وغطت بصرهم بترهات وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان. يبن لنا **محمد البشير الإبراهيمي** منهج **جمعية العلماء** في تقرير العقائـد الإسلامية :"فمن مبادئها التي عملت لها بالفعل لزوم الرجوع إلى القرآن في كل شـيء لا سيما ما يتعلق بتوحيد الله، فإن الطريقة المثلى هي الاستدلال على وجود الله وصفاته ومـا يرجع إلى الغيبيات لا يكون إلاَّ بالقرآن، لأن المؤمن إذا استند في توحيد الله وإثبات ما ثبت له ونفى ما انتفى عنه لا يكون إلاَّ بآية قرآنية محكمة، فالمؤمن إذا سولت له نفسه المخالفـة في شأن من أمور الآخرة، أو صفات الله فإنها لا تسول له مخالفة القرآن"[3].

---

[1] - رواه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، رقم الحديث: 2955.

[2] - محمد بن عبد الوهاب العقيل: منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة(الرياض: مكتبة أصول الـسلف، ط1، 1419هـــ/1998م)، مـج(2)، ج(02)، ص(350-353).

[3] - عبد الحميد بن باديس: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية(القاهرة: مطابع الكيلاني)، ص(10).

ومن أهم القضايا التي اهتمت بها في ميدان العقيدة وكانت سبباً في تشتت وتفرق الأمة الإسلامية على العموم، والشعب الجزائري على الخصوص الطرقية الصوفية المنحرفة، وبدع المتكلمين ومناهجهم.

1 -محاربة اعتقادات المرابطية الفاسدة: استطاع الاستعمار الفرنسي بعد دراسته لحقيقة الطرق الصوفية وإدراك دورهم الديني وتأثيرهم الثقافي وأثرهم التاريخي وثقلهم الاجتماعي؛ اتخذها عوناً له وأرداها آلة طيّعة في يده تنوب في القيام ببعض الوظائف . يقول **جورج هاردي** في كتابه"**المشكلة الدينية في الإمبراطورية**":"إن السياسة الفرنسية - بعد ما فهمت(حقيقة الطرق) - وجدت فيها أحلافاً نافعين لها وكانت تكافئهم على ذلك"[1]. **وقد سمَّى الإبراهيمي شيوخ الطوائف المتطرفة بأحباب فرنسا، كما سماها ابن باديس بحيوانات الاستعمار** من تسيير شؤون الشعب الجزائري المغلوب على أمره لفترة ما والعبث بمقدساته وأكل حقوقه.

كان رجال الطرق الصوفية أشد وطئاً من غيرهم على الشعب الجزائري، لما تسببوا فيه من تنفير وإبعاد الشريحة المثقفة ثقافة أجنبية، والجاهلة بحقيقة الدين الإسلامي. وقد عدّت هذه الطبقة الدين الإسلامي سبب تأخر المسلمين عن ركب التقدم والرقي وجعلهم في مؤخرته بدل مقدمته، وتضليل عقول العامة الجهال والمغفلين وإفساد تفكيرهم الذين يأتونها من كل حدب وصوب، وتعبئتهم بمفاهيم مشوهة أفسدت فطرهم، وجمدت فكرهم، وجعلت منهم عبيداً يقدسونهم ويعظمونهم"وأصبح شيخ الطريقة أو المرابط...يتصف بأوصاف الربوبية، فهو الذي يعطي وهو الذي يقبض، وهو الذي يبسط وهو منبع كل خير ومصدر كل شر"[2].

وتعاونها مع الاستعمار الفرنسي على إبقاء الشعب ضالاً، ذليلاً، جاهلاً حبيس التعاويذ والتمائم والأفكار الوثنية لا يقوى على المطالبة بحق الحرية والاستقلال ويبقى رهين تعاليمهم الزائفة التي تهدف إلى تحريف العقائد، ويلهونه عن واقعه البائس. هذا النفوذ

---

[1] - محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي(حياته العلمية ونضاله الوطني)(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001م)، ص(358).

[2] - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص(376).

العريض **دفع كل من ابن باديس والإبراهيمي** البدع بمحاربتها والتشنيع عليها، حيث يقول الإبراهيمي:**"اتفقنا على البدع بالاستعمار الروحي الداخلي**، ونحن نعلم قوته والتفاف (70%) من الأمة على الأقل حوله، ومعه الحول والطول، فالأموال وفيرة والجاه عريض، والحكومة تقارض تأييداً بتأييد، وذلك العدد العديد من الأمة يسبح بحمده، ويعتقد أن تلك الطرق كلها طريق إلى الجنة، وأن تلك البدع والضلالات هي الدين، بل هي صميم الدِّين"[1].

وبالرغم من ابتزاز المرابطين لأموال العامة لأجل تقديم القرابين والنذور وتنظيم الزيارات لإرضاء قبابهم وأوثانهم المنتصبة هنا وهناك والتي تعدها من الواجبات؛ إلاَّ أن العامة لا يزالون متمسكين بطلاسمها، حيث يصف الإبراهيمي هذه المأساة فيقول:"إن هذه البدع والمنكرات التي يريد الإصلاح أن يكون حرباً عليها هي أمور طال عليها الأمد وشاب عليها الوالد وشبَّ عليها الولد، وهي بعد شديدة الاتصال بمصالح ألفها الرؤساء حتى اعتبروها حقوقاً لهم، وأنس بها العامة حتى اعتبروها فروضاً عليهم"[2].

وعدت الشبهات التي أوهمت بها العامة من الدِّين؛ بحجة أن العلماء المتقدمين عايشوها و لم يعترضوا عليها. وكان ابن باديس قد رد عليها رداً علميا موضوعياً أفحم من خلاله زعمها الباطل بقيامه بعملية بحث وتحري مؤيد بالحجج؛ فبحث في تاريخ العلماء متتبعا بذلك سيرهم وردود فعلهم تجاه البدع والخرافات على مر العصور بدءاً بالإمام **القشيري** صاحب **"الرسالة القشيرية"** من القرن الخامس، ثم الإمام **أبي بكر الطرطوشي المالكي** من أهل القرن الخامس والسادس، ثم الإمام **أبي حيان الأندلسي** من أهل القرن السابع والثامن، ثم الإمام **القلصادي** من أهل القرن التاسع، ثم الشيخ **عبد الرحمان الأخضري** الجزائري من أهل القرن العاشر، ثم الشيخ **عبد الكريم الفكون** القسنطيني من أهل القرن الحادي عشر، وختم بالشيخ **مصطفى العروسي** من أهل القرن الثالث عشر؛ فانتهى إلى أنه لم يخلُ عصر

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج4، ص(344).

[2] - المصدر نفسه، ج1، ص(118).

من عصور الإسلام من قائم لله بحجة[1] إلاَّ وأنكرها. وبذلك يكون ابن باديس قد كـــشف عورهم، وسفَّه حججهم وأقام على أعمالهم الباطلة البرهان، ووصفهم بالمبتدعة، ومروجين للأوهام والضلالات.

هذه الغلبة، دفعت ابن باديس لأن تكون انطلاقته التغييرية بشن غارة ســاخنة علــى المبتدعـــــة دون الإســـــاءة إلـــــيهم أو جـــــرح عـــــواطفهم؛ وذلك بتبيينه أركان العقيدة الإسلامية وتناولها علميــاً وشـــرحها وتبـــسيطها وإيجازهـــا وإيضاحها للعامة والخاصة على الطريقة القرآنية والسلفية ولم يتحـــرج في كـــشف زيـــف ترهات هذه الفئة الغالبة الضالة. فقد ألف لذلك **"رسالة العقائد الإسلامية مـــن الآيـــات القرآنية والأحاديث النبوية"** تناول فيها بيان قواعد الإسلام الخمس معنى الإسلام، والإيمان والإحسان، وعقائد الإيمان، ومنها عقيدة الإيمان بالله، عقيدة الإثبات والتتريـــه، والإثبـــات والوحدانية والتوحيد، ثم يتناول موضوع الإيمان بالقدر، ثم الملائكة عليهم السلام، ثم الإيمان بكتب الله تعالى الذي تولى حفظ القرآن الكريم الذي هو هداية للبشر دون غـــيره وجعـــل الإيمان بالسنة إيمان بالقرآن، ثم تناول عقائد الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام مركـــزاً على تأييد الله لهم بالبينات والآيات وتمام عبوديتهم وعلو مرتبتهم، وتأدبنا معهم فيما عوتبوا عليه واستغفروا منه. وختم رسالته بالحديث عن عقائد الإيمان باليوم الآخر، انتهاء الوجـــود الدنيوي وحدوث الوجود الأخروي، الميعاد والبعث، وزن الأعمال والجزاء عليها، الصراط، دار العذاب، ودار النعيم.

هدف ابن باديس من خلال دراسته للعقائد الإســـلامية إلى إفهـــام الـــشعب الـــدِّين الإسلامي فهماً صحيحاً، وتصحيح المعتقدات الخاطئة، والأفكار المنحرفة والمفاهيم المشوهة والبدع المضللة التي انتشرت بين الأغلبية من عامة المـــسلمين بـــسبب جهلـــهم بالـــدين، وابتعادهم عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن منهج السلف الصالح

[1] - عبد الحميد بن باديس: إنكار العلماء المتقدمين على المبدعين المنتدعين، جريدة السنة النبوية المحمدية، سنة 1933، العدد(04)، الاثـــنين 6 محـــرم الحرام 1352هـــ.

رضوان عليهم"حض المسلمين ودفعهم إلى التمسك بأهداف الدين الحنيف واستلهام آيات الكتاب العزيز والأحاديث النبوية الشريفة وتطبيقها في شؤون الحياة، تطبيقاً يضمن لهم التفوق في دنياهم والسعادة في آخرتهم، وذلك بعد أن لمس بنفسه أن صورة الإسلام في أذهانهم وفي حياتهم تختلف عن الصورة الأصلية الصحيحة بما دخل عليها من عناصر غريبة، وما اعتراها من تشويه وانحراف غيرت معالم الإسلام الأساسية وأدت إلى ضعف المجتمع الإسلامي، ونفور الكثيرين من أبنائه وابتعادهم عن الإسلام"[1].

ومن مظاهر الشرك التي دعت إليها الطرقية وردّ عليها ابن باديس والإبراهيمي:

***الدعاء:** الدعاء عبادة من العبادات التي يتلقى الداعي مقابلها أجراً. معناها استمداد العون والنصرة من الله تعالى وحده لا شريك له. وقد حثنا النبي صلى الله عليه وسلم على الدعاء، فعن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء"[2].

ودعاء غير الله؛ شرك وكفر آمنت به المرابطية وآثرته على دعاء الله وحده، فتجد أعيانهم ومريديهم يقولون في دعائهم"يا ربي يا سيدي عبد القادر الجيلاني اغفر لي" "يا الله يا سيدي عبد القادر". يحكى أن شيخاً من شيوخ الطرق الصوفية كان على متن سفينة رفقة مريديه، وفجأة هاج البحر وتلاطمت أمواجه؛ فرفعوا أيديهم إلى السماء يدعون الله الفرج والسلامة وكان من عادة الشيخ أنه كلما دعا إلاَّ واستجيب له على الفور. لكن هذه المرة استبطأ به دعائه فأنكر على مريديه دعاء الله وأمرهم أن يلجؤا إليه بالسؤال ثم هو وحده يتوجه إلى الله فانكشفت بعدها الغمة وسلمت السفينة[3].

ناقش ابن باديس هذه المسألة متخذاً من النصوص النقلية من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية وأقوال السلف الصالح منهجاً في تفنيد شركياتها التي ألصقتها بعقيدة التوحيد. وقد شهد له بذلك نائبه البشير الإبراهيمي:"إن الشيخ بن باديس كان يلقي دروساً في

---

[1] - حسن عبد الحميد سلوادي: عبد الحميد بن باديس مفسراً(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988)، ص(75-76).

[2] -رواه الترمذي، كتاب: الدعوات عن رسول الله، باب: ما جاء في فضل الدعاء، رقم الحديث: 3292.

[3] - مبارك بن محمد الميلي: رسالة الشرك ومظاهره(الجزائر: شركة الشهاب،)، ص(191 -192).

أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن على الطريقة السلفية التي اتخذها جمعية العلمـــاء الجزائريين منهاجاً لها بعد ذلك وبنت عليها جميع مبادئها ومناهجها في الإصلاح الديني"[1]

فقال أنه من دعا غير الله، فقد عبد ما دعاه وهو في عبادته من الخاسرين بدليل قولـــه تعالى: [قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً .أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً][الإسراء/ 56-57]. تدل هذه الآية على أن دعاء غير الله لدفع الضر، ومثله جلـــب النفـــع، **عبـــادة للمدعو**. كما دلت أيضاً على انه لا يجوز دعاء غير الله من المخلوقين، أي مخلـــوق كـــان لدفع الضر، ومثله جلب نفع؛ لأن الآية نعت على المشركين دعاءهم من لا يملك كـــشف الضر ولا تحويله، وهذا أمر يشترك فيه جميع المخلوقين فلا مخلوق يستطيع كشف الـــضر أو تحويله عن نفسه ولا عن غيره. **فلا مخلوق يجوز دعائه**[2].

وقال صلى الله عليه وسلم في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: (إذا سألت فاســـأل الله)[3]. مثله مثل الذي يحلف بغير الله في الشرك "من حلف بغير الله فقد أشرك"[4].

هكذا، جاء حكمه على دعاء غير الله، وهو حكم لا يخرج عن تقرير القرآن الكـــريم والسنة النبوية وحكم السلف الصالح. وقد حذَّر الناس من دعاء غير الله وأرشدهم إلى دعاء الله وحده لا شريك له فقال: "ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس أمثال هذه الدعوات والجمل الآثمة "ياربي والشيخ"، "يا ربي وناس ربي"، "يا ربي والناس الملاح" وقـــد تعلمهـــا بعـــض الدهماء من مشايخ الطرق المضلين. وهذا من غير دعاء غير الله، فإياك أيها المـــسلم وإيـــاه، وادع الله ربك وخالقك وحده وحده وحده، وأنف الشرك راغم[5].

---

1 - إبراهيم التهامي: الجانب العقدي في جهود ابن باديس، مجلة الموافقات، ص(243).

2 - تفسير بن باديس، ص(181-182).

3- رواه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، الباب منه، رقم الحديث: 2440.

4 - رواه أبي داود، كتاب: الأيمان والنذور ، باب: في كراهية الحلف بالآباء، رقم الحديث: 2829.

5 - تفسير ابن باديس، ص(362 - 363).

ومن صور الشرك بالله الذبح لغير الله وإقامة الولائم الذبائح والزردات:

أ - **الذبح الديني(النسك):** وهي عادة عرب الجاهلية قديماً، حيث كانوا يتقربون إلى الأصنام والنصب والتي كانت على شكل أحجار قرب الكعبة بالذبائح؛ فيشرحون اللحم ويجعلونها على النصب، والدم ينضحون به أسوار الكعبة. وللذبائح ضربين منها ما يكون للجن ويسمى عند العامة بالنُشرة؛ وهي" في لسان عوامنا طعام يتخذ على ذبيحة من الذجاج غالباً تقرباً إلى الجن كي يرفعوا داءهم عن المصاب بهم. ولا يذكرون اسم الله على الذبيحة إرضاء للجن...وعدَّها الفقهاء من الشرك الأكبر"[1]. ومنها ما يكون على الأضرحة والمزارات ويسميه بعض الناس اليوم بـــ"الزردة".

ب -**الزردات:** جمع زردة وهي عبارة عن طعام تتخذه المجموعة الزائرة على ذبائح من بهيمة الأنعام عند ضريح ولي يعتقدون فيه الصلاح قصد التقرب منه، فيسمون تلك المأدبة باسمه"طعام أو زردة سيدي عبد القادر". تنظم هذه الوليمة أو الحفلة الموسمية مرتين في العام، الأولى في فصل الخريف والثانية في فصل الربيع راجين نزول الأمطار أو حفظ المحصول[2].

سمَّاها محمد البشير الإبراهيمي **بأعراس الشيطان** واعتبرها مخالفة للشرع"وكل ما يقع فيها من البداية إلى النهاية كله رجس من عمل الشيطان، وكل داع إليها، أو معين عليها، أو مكثر لسوادها فهو من أعوان الشيطان؛ ألم تر إلى ما يرتكب فيها من فواحش ومحرمات؟ وما يهتك فيها من أعراض وحرمات؟ كل ذلك مما يأمر به الشيطان، وكل ذلك مما ذكرنا به القرآن، وبين لنا أنه من أمره ووعده، وتزيينه وإغوائه"[3].

وعقد ابن باديس مقارنة بين حال عوام المسلمين اليوم وحال عرب الجاهلين؛ فوجد أن الأمر لا يختلف، وأنهم يشتركون في نقاط كثيرة منها: الإيمان بأن الله هو مالك الكون ورازق العباد، النحر عند الأضرحة طمعاً في رضا أصحابها عنهم"فأولئك -أي عرب

---

[1] - مبارك بن محمد الميلي: رسالة الشرك ومظاهره(الجزائر: شركة الشهاب،)، ص(255).

[2] - المصدر نفسه، ص(256).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص(355).

الجاهلية - كانوا يعلمون أن الله هو خلقهم وهو يرزقهم وهو مالك لجميع مخلوقاته، ولكنهم كانوا يجعلون توجههم وتقربهم لآلهتهم على اعتقاد أنها هي التي تقربهم إلى الله، وفي الناس اليوم طوائف كثيرة تتوجه لبعض الأموات وتتضرع لهم وتناديهم على اعتقاد أنها تقربهم إلى الله. ويزيدون أنهم يتصرفون لها بقضاء الحوائج وجلب الرغائب ودفع المصائب. ومن أعمال المشركين في الجاهلية أنهم يسوقون الأنعام لطواغيتهم فينحرونها عندها طالبين رضاها ومعونتها، وفي الناس اليوم طوائف كثيرة تسوق الأنعام إلى الأضرحة والمقامات وتنحرها عندها إرضاء لها وطلباً لمعونتها أو جزاء على تصرفها وما جلبت من نفع أو دفعت من ضرّ..."[1]

فانظر إلى حالنا معشر المسلمين الجزائريين، وغير الجزائريين تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال: فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، وغير ذلك مما يسألون. ويذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب، أو ظلمت بها المساجد فيدعون من فيها، ويدقون قبورهم، وينذرون لهم. ويستثيرون حميتهم، بأنهم خدامهم وأتباعهم، فكيف يتركونهم؟؟ وقد يهددونهم بقطع الزيارة، وحبس النذور. وتراهم هناك في ذل وخشوع وتوجه، قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم!! فأعمالهم هذه من دعائهم، وتوجههم كلها عبادة لأولئك المدعوين، وإن لم يعتقدوها عبادة؛ إذ العبرة باعتبار الشرع، لا باعتبارهم[2].

كما خاطب محمد البشير الإبراهيمي الشعب الجزائري وأرشده إلى ضرورة إجابة داعي الله والتخلي عن هذه العبادات الغير شرعية فقال:"يا قومنا أجيبوا داعي الله، ولا تجيبوا داعي الشيطان، يا قومنا إن أصول هذه المنكرات مفسدة، وإن فروعها مُفسدة للعقل والمال، وإنكم مسئولون عند الله عن جميع ذلك؛ يا قومنا إنكم تنفقون هذه الأموال في

---

[1] - تفسير ابن باديس، ص(177).

[2] - المصدر نفسه، ص(183)..

حرام وإن الذبائح التي تذبحونها حرام لا يحل أكلها، لأنها مما أهل به لغير الله؛ فمن أفتاكم بغير هذا فهو مفتي الشيطان، لا مفتي القرآن"[1].

ولإيقاف زحف هذه الغارة على الشعب الجزائري، وضع عبد الحميد بن باديس مجموعة بنود سمَّاها أصول دعوة جمعية العلماء الإصلاحية. وقد حوت هذه الأصول بعض البنود التي توضح حقيقة التوحيد[2]:

1 -التوحيد أساس الدين فكل شرك في الاعتقاد أو في القول أو في الفعل، فهو باطل مردود على صاحبه.

2 -العمل الصالح المبني على التوحيد به وحده والسعادة عند الله فلا النسب ولا الحسب ولا الحظ بالذي يغني عن الظالم شيئا.

3 -اعتقاد تصرف أحد الخلق مع الله في شيء ما؛ شرك وضلال ومنه اعتقاد الغوث والديوان.

4 -بناء القباب على القبور ووقد السرج عليها والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية. ومضاهاة لأعمال المشركين فمن فعله جهلاً يعلم ومن أقره ممن ينتسب إلى العلم فهو ضال مضل.

5 -الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ إلى ما هنالك من استغلال وإذلال وإعانة لأهل الإذلال...والاستغلال... ومن تجميد للعقول وإماتة للهمم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور....

يتبين من خلال ما سبق، أن كل من المصلحين كانا شديدا اللهجة والهجمة ضد الطرقية لما لها أثر قوي في تشويه حقائق الإسلام وتفريق كلمة المسلمين. نظرا إليها على أنها حجر عثرة يجب إزالته من الطريق، ورفضا التعامل والصلح معها منذ البداية، لأن

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: أعراس الشيطان، (جريدة البصائر، ع95، سنة 1949). عيون البصائر، ص(356).

[2] -وزارة الشؤون الدينية: أصول الدعوة الإسلامية عند ابن باديس(الجزائر: مطبعة وزارة الشؤون الدينية، 1414هـ/ 1993م)، ص(20-21).

في ذلك إقرار وتأكيد على مخالفاتها الشرعية"وقبولها معناه أن تحل الجمعية نفسها"[1]. جهادهما لهذه الفئة الضالة، مكنهما من"تحقيق نتيجتين هامتين؛ أولاهما: قطع الحبل السري بين إدارة الاحتلال وهذه الطرق؛ حتى تفشل الأولى توهن الثانية. وثانيهما: تحرير ضمير الشعب الجزائري من سلطان هذه الطرق، وإخراجه من براثن الشرك، التي آل إليها في عصور الضعف والتخلف، وشدَّته إليها هذه الطرق"[2].

2 **- الاحتجاج بالقضاء والقدر:** لم يكتف سماسرة الطرقية ومريدهم بمداخيل الزيارات والمزارات، والذبائح والزردات، و...، فراحوا يحتجون بالقدر فأصدروا فتوى تنص على أن الاستعمار قضاء وقدر، وأنه ابتلاء من عند الله يتطلب الصبر، وأي محاولة للتصدي له يعد منافاة للتوكل وبالتالي للتوحيد.

وقد واجه ابن باديس هذه الفرية[3] بالأدلة الشرعية الداحضة، فعرف القدر على أنه"تعلق علم الله وإرادته أزلاً بالكائنات كلها قبل وجودها، فلا حادث إلاَّ وقد قدره الله تعالى، أي سبق به علمه وتقدمت به إرادته، فكل حادث فهو حادث على وفق ما سبق به علم الله ومضت به إرادته. لقوله تعالى: [**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**] **[القمر/ 49]** وقوله تعالى: [**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**] **[الأحزاب/ 38]**. وقال: وكما سبق الله للأشياء قبل أن يخلقها، كذلك كتبها في اللوح المحفوظ قبل خلقها. لقوله تعالى: **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**]**[الحديد/22]**. ولحديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء"[4].

الملاحظ على تعريف ابن باديس أنه لا يكاد يخرج عن تعريف القرآن وتعريف السنة للقضاء والقدر، وإذا ما أخذنا تعريفاً لرجل من رجال السلف نجده كذلك؛ والسبب في

---

[1] - إبراهيم التهامي: الجانب العقدي في جهود ابن باديس، مجلة الموافقات، ص251.

[2] - عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913 - 1940)(لبنان: دار الشهاب، ط(1)، 1999م)، ص(251).

[3] - عبد الحميد بن باديس: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، رواية تعليق: محمد الصالح رمضان(القاهرة: مطابع الكيلاني)، ص(61 - 62).

[4] -رواه مسلم، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى، رقم الحديث: 4797.

ذلك استخراجهما الأحكام من منبع صافٍ واحد؛ كتاب الله وسنة رسوله. يعرفه **الخطابي** بقوله:"معنى القدر هو الإخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم وصدورها عن تقدير منه"[1].

كما كانت الخرافات وأضاليل الطرق سبباً رئيسياً في انتشار دعوات **الإلحاد** بين الشباب المتعلم تعليماً أوروباوياً وارتفاع عدد ضحاياه، ظناً منهم أنها هي الدين وأن مريديها هم حملة الدين"وتلك الخلال من إقرار البدع والضلالات هي التي مهدت السبيل لدخول الإلحاد على النفوس، وهيَّأت النفوس لقبول الإلحاد"[2]. كما تعد عاملاً أساسياً مساعداً من عوامل اتساع دائرة **التبشير المسيحي** الذي فتح أبوابه في الجزائر **الكاردينال لافيجري** مستعيناً في ذلك بجمعيات تمولها دول غنية، مجهزة بجموع من خيرة الرهبان والراهبات والأطباء والجراحين والمدرسين. هؤلاء المعلمين الذين يقدمون للطلبة من أبناء المسلمين معلومات محشوة بكثير من المغالطات تتضمن"أكاذيب وأضاليل وتشويهات متعمدة للحقائق عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وعن القرآن الكريم وعن الحديث النبوي الشريف، وعن التاريخ الإسلامي، وعن مقاصد الشريعة وعن أحكامها، وعن كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين عرباً أو غير عرب"[3]؛ بهدف إخراج المسلمين عن حياض الإسلام ومسخهم عن قيمهم وهويتهم، وهدم كيانهم وتفريق جمعهم وتمزيق وحدتهم، بل تفريغ قلوبهم من الإيمان بالله.

3 -**إنكار المصلحين لطرق المتكلمين في تقرير العقيدة:** بدأت الأمة الإسلامية تعرف التشتت مع ظهور المذاهب الفقهية، ونشأة علم الكلام الذي ظهر أول الأمر للدفاع عن الإسلام وتفنيد آراء ورد الشبهات التي ألصقها أصحاب الديانات المخالفة به وذلك من خلال المناظرات. وفسر السيوطي تسمية علم الكلام بهذا الاسم؛ بأن الكلام ضد السكوت

---

[1] - إبراهيم التهامي: الجانب العقدي في جهود ابن باديس، مجلة الموافقات، ص(245).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(202).

[3] - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها(دمشق: دار القلم، ط(07)، 1414هـ -1994م)، ص(79).

وأن المتكلمين قد تكلموا في المسائل الاعتقادية حيث كان ينبغي الصمت وعـدم الخـوض فيها"[1]. كما سمي بعلم التوحيد أو علم التوحيد والصفات لأن مسائله تدور حول الله.

تسبب هذا العلم في تفرق المسلمين إلى شيع وأحزاب وفرق كلامية أشهرها المعتزلـة التي حدثت بعد ظهور **واصل بن عطاء**، وهي "أول فرقة أعلنـت في الإسـلام مـذهب التأويل"[2]، والأشاعرة بعد **أبي موسى الأشعري**، والماتردية بعد **الماتردي**،... وأهم المـسائل التي خاض فيها: التوحيد والنبوة، ومسألة خلق القرآن أشهرهم على الإطـلاق. منـهجهم يخالف منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقائد. اتخذت من الاستدلال العقلي منهجاً في إثبات العقائد الإيمانية وقدمته على دليل الكتاب والسنة في حالة حدوث تعارض بين العقل والنص باعتبار أن دلالة النقل وهو الكتاب والسنة ظنية لا تفيد اليقين. أما دلالة العقل فهي قطعية"ولذلك يقولون إذا تعارض الدليل النقلي مع الدليل العقلي قدمنا الدليل العقلـي لأن دلالة النقل ظنية ودلالة العقل قطعية"[3]. وصفهم **الإمام مالك** بالمبتدعة"فقد روي عنه أنـه قال: إياكم والبدع. قيل يا أبا عبد الله. وما البدع؟ قال: أصحاب البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتـابعون لهم بإحسان"[4].

ولعل هذا المثال في مسألة **رؤية الله يوم القيامة** يوضح منهج أهل الـسلف الـصالح والمتكلمين —وعلى التحديد المعتزلة باعتبارها المؤسـسة الأولى لعلـم الكـلام والمنـاهج الكلامية[5] - في إثبات العقيدة:

[1] - أحمد محمود صبحي: في علم الكلام(بيروت: دار النهضة، ط(05)، 1405هـ/1985م)، ج(1)، ص(22).

[2] - المرجع نفسه، ص(173).

[3] - محمد بن عبد الوهاب العقيل: منهج الإمام الشافعي رحمه الله في إثبات العقيدة(الرياض: مكتبة أصول السلف، ط1، 1419ه/1998م)، ج(1)، ص(73).

[4] -أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، مصدر سابق، ج(1)، ص(21).

[5] - أحمد بن عوض الله الحربي: الماتردية دراسة وتقويما، ص(502).

*السلف الصالح[1]:

ثبتت رؤية الله تعالى يوم القيامة في القرآن الكريم في سورة القيامة الآية[22-23]: [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ]، في سورة يونس الآية[26]: [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا]، وفي سورة المطففين الآية[158]: [كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ].

كما ثبت في السنة النبوية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناساً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟. قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم. هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا. قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلاَّ كما تضارون في رؤية أحدهما"[2].

وروى البيهقي عن الربيع بن سليمان قال: كنت ذات يوم عند الشافعي -رحمه الله- وجاءه كتاب من الصعيد* يسألونه عن قوله تعالى: [كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ][المطففين/15]. فكتب فيه أنه لما حجب الله قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا. قال الربيع: أو تدين بهذا يا سيدي؟؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا.

*المعتزلة[3]: ينفي المعتزلة رؤية الله بالأبصار يوم القيامة. وقد استدلوا على ذلك بعدة أدلة منها قوله تعالى: [لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ][الأنعام/103]، ومعنى ذلك أن الله نفى عن نفسه إدراك الأبصار له... وسبب قولهم بنفي الرؤية هو زعمهم بأن إثبات الرؤية يؤدي إلى أن يكون سبحانه وتعالى جسماً محدوداً في جهة ومكان مخصوص.

---

[1] - محمد بن عبد الوهاب العقيل: منهج الإمام الشافعي رحمه الله في إثبات العقيدة، ج1، ص(384-388).

[2] - رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: إن الله لا يظلم مثقال ذرة يعني زنة ذرة، رقم الحديث: 4215.

* اسم مكان.

[3] - عامر النجَّار: علم الكلام عرض ونقد(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1463هـ/ 2003م)، ص(142 - 154).

هذا المنهج الكلامي الذي اتخذه الفلاسفة منهجاً لأبحاثهم، ويشترطون دراسة علم المنطق لإثبات وجود الله؛ ساهم بشكل كبير في صد الناس عن فهم كلام الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم المدون في كتب التفسير والحديث المتأثر بهذا المنهج الجدلي العقيم القائم على النظر والاستدلال العقلي. وهو عكس منهج السلف الصالح في تقرير العقيدة.

وقد أرجع ابن باديس سبب عجز الطلبة عن فهم العقائد الإسلامية، وانتشار الجهل بين أوساط العامة وهجر المسلمين للقرآن؛ إلى اعتماد مناهج المتكلمين في التدريس لما يتضمنه علم الكلام من مصطلحات غامضة ومعقدة يصعب تفكيكها. هذا العلم الذي عدّه الجزائريون الذين يتبنون عقائد الأشعري، وهي عقائد أهل السنة والجماعة من أشرف العلوم، حيث عرّفه **مصطفى الرماصي** في القرن الثاني عشر بمايلي:"علم الكلام أوثق العلوم دليلاً، وأوضحها سبيلاً، وأشرفها فوائد، وأنجحها مقاصد، إذ به تعرف ذات الحق وصفاته، ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته"[1]. ولعل مؤلفات **محمد بن يوسف السنوسي:** كتاب"**العقيدة الصغرى**"، كتاب"**العقيدة الوسطى**"، وكتاب"**العقيدة الصغرى**"، ومنظومة **أحمد بن عبد الله الجزائري**، وكتاب"**إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة**" لـ**أحمد المقري**؛ هي المصادر المحلية لدراسة علم التوحيد أو علم الكلام خلال العهد العثماني[2].

يرى ابن باديس أن أسهل وأسلم طريقة لأخذ وتلقين العقيدة الصحيحة وتقريبها إلى عقول وقلوب العامة والخاصة تكون من القرآن"بسط القرآن عقائد الإيمان بأدلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها وقلنا: تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة وإشكالاتها المتعددة واصطلاحاتها الصعبة مما يصعب أمره على الطلبة فضلاً على العامة"[3].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998)، مج(09)، ج(02)(1500-1830)، ص(91).

[2] - المرجع نفسه، ج(02)، ص(92).

[3] - عبد الحميد بن باديس: تفسير ابن باديس، ص281-282.

وقد كان مقتنعاً بأن نصوص القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وحدها كافية لتقرير العقائد الإسلامية، مذ أن كان طالباً بجامع الزيتونة أين كان ينكر على مشائخه طريقة عرضهم للعقائد على منهج المتكلمين الجامد والجاف.وتمنى على الله يوم يصبح معلماً أن يتخذ من الطريقة القرآنية منهجاً في تقرير أصول العقائد الإسلامية وبسطها كما بسطها القرآن الكريم ووضحتها السنة النبوية تخرج العباد من ضلال وبدع العقائد والعبادات وتقضي على العادات والتقاليد التي استحكمت في النفوس واستولت عليها. وقد كان له ذلك حيث قال الإبراهيمي:"وقد بلغه الله أمنيته فأخرج للأمة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية قاموا بحمل الأمانة من بعده ووراءهم أجيال أخرى من العوام الذين سعدوا بحضور دروسه ومجالسه العلمية. وقد تربت هذه الأجيال على هداية القرآن فهجرت ضلال العقائد وبدع العبادات. فطهرت نفوسها من بقايا الجاهلية التي هي من آثار الطرائق القديمة في التعليم"[1].

يبين لنا منهجه في تقرير العقيدة في كتابه في **"مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"** قائلاً:"أدلة العقائد مبسوطة في القرآن الكريم بغاية البيان، ونهاية التيسير، وأدلة الأحكام وأصولها مذكورة كلها فيه، وبيانها وتفاصيلها في سنة النبي ع الذي أرسل ليبين للناس ما أنزل عليهم فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية، وأدلة تلك العقائد من القرآن الكريم، إذ يجب على كل مكلف أن يكون في كل عقيدة من عقائده الدينية على علم...ولن يجد العامي الأدلة لعقائد سهلة قريبة إلاَّ في كتاب الله، فهو الذي يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد للمسلمين إليه"[2].

والعقيدة توقيفية غيبية لا مجال للاجتهاد فيها كما هو معلوم. مثلاً قول أهل السنة في الصفات إجمالاً وتفصيلاً، فهو لا يزال واحداً، وقولهم في كلام الله، والقرآن، والاستواء، والنزول والرؤية، وقولهم في القدر، والإيمان، والشفاعة، والتوسل، وغيرها كله لا يزال كما نقل عن السلف والقرون الفاضلة.

---

1 - ابن باديس: العقائد الإسلامية، ص(6).

2 - تفسير ابن باديس، ص(158).

جمع تلميذه **محمد الصالح رمضان** دروسه التي كان يلقيها على طلبته في الجامع الأخضر في كتاب"**العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية**". وهذا نموذج من دروسه يعرضه على الطريقة السلفية يدور حول بيان معنى الإحسان[1]:

الإحسان في اللغة: "الإتيان بما هو حسن. والإحسان في الشرع هو الإتيان بالحسنات؛ والحسنات هي فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، وفعل أو ترك المباحات لأنها مباحات، مع التصديق بذلك لله تعالى والإخلاص له فيه، ومع استحضار رؤية الله تعالى له وإطلاعه على ظاهره وباطنه لقوله تعالى: [**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**] [الكهف/110]، وقوله تعالى: [**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**][البقرة/ 112] وقوله تعالى: [**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**][يوسف/ 90]، ولقوله عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل عليه السلام، قال:(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[2].

كما نظر **البشير الإبراهيمي** إلى علم الكلام الذي كان موضوعه البحث في وجود الله وإثبات صفاته نظرة تشاؤمية لما جلبه على المسلمين من خسارة وإضاعة للوقت والجهد، وعده سبباً من أسباب تفرق المسلمين. وهو علم كان التعمق فيه من شأن الخواص دون العوام لما يحتاج"منتحله إلى براعة ولِسن ومران على المنطق ومقدماته ونتائجه وأقيسته وأشكاله"[3]. وقد تلاشت هذه الفرق و لم تبق إلاَّ معاركها الجدلية وآراءها مدونة في كتب التاريخ تدرس في الكليات الراقية كالأزهر والزيتونة"ولا تزال تذكر فيها أسماء تلك الفرق التي لم تبقى لها وجود. ويستعرض سيدنا المدرس تلك الآراء ثم يدحضها ويقيمها ثم ينقضها. وتقتطع أوقات الطلبة المساكين في ذلك. ويا ضيعة الأعمار"[4].

وقد أعيت المذاهب الكلامية نفسها حينما ذهبت لتقرر التوحيد"فتوحيد الله مقرر في القرآن أجلى بيان وأكمل برهان. وصفاته لا يطمع طامع أن يأتي في إثباتها بأكمل مما أتى

1- عبد الحميد بن باديس: العقائد الإسلامية من الآيات والأحاديث النبوية، ص(44 - 45).

2- رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث: 48.

3 - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج(01)، ص(166).

4 - المصدر نفسه، ج(01)، ص(167).

به القرآن. وطريقة القرآن في التتريه أقوم طريقة، وقد جرى عليها الصحابة فكانوا أكمل الناس توحيداً مع أنهم لا يعرفون الجوهر والعرض"[1].

وتأسف البشير الإبراهيمي على جهود العلماء التي صرفت جهدها في مسائل وقضايا لا ينتظر منها فائدة"واحسرتاه على ذلك الذكاء الذي كانت تكاد تشف له حجب الغيب، ذكاء **أبي بكر الباقلاني** و**فخر الدين الرازي** و**أبي الهذيل** و**ابن المعلم**، وقد ضاع فيما لا تعود على الإسلام منه عائدة، ولا تنجرُّ له منه فائدة...ويميناً لو أن تلك الجهود التي تفرقت على الكلام تألفت على جهة عقلية أخرى لفتحت في العلم فتحاً أغر زاهراً، ولتعجلت به الفخر للإسلام وأهله"[2].

المنهج نفسه الذي اتبعه أهل السنة والجماعة التي أنكرت على المؤولين علماء الكلام والفلاسفة الخوض في أمور الغيب مستخدمة الاستدلال العقلي بدل النقل والعقل معاً.

عاب على الكليات الإسلامية تدريسها لعلم الكلام لما فيه من مضيعة للوقت والجهد"ومن المحزن أن دراسة علم التوحيد حتى في كلياتنا الراقية كالأزهر والزيتونة لا تزال جارية على تلك الطرائق وفي تلك الكتب، ولا تزال تقرر فيها تلك الآراء ولا تزال تذكر فيها أسماء تلك الفرق التي لم يبق لها وجود. ويستعرض سيدنا المدرس تلك الآراء ثم يدحضها ثم يقيمها ثم ينقضها، وتقطع أوقات الطلبة المساكين في ذلك، ويا ضيعة الأعمار"[3].

وتمنى لو أن جهود العلماء صرفت في ميادين أخرى لأثرت الفكر الإسلامي بدل الجدل الفارغ والمناظرات العقيمة"لو كان هذا العلم المستحدث ذا قواعد طبيعية لا تنقض كقواعد الحساب أو الهندسة لخفف على الإنسان ما يلقى في تعلمه من عناء، ولكننا رأينا تلك القواعد تتهاوى في المناظرات القولية أو القلمية كفقاقيع الماء فلا يكاد يبني الباني حتى ينبري له هادم ينقض ما بنى ويتبر ما علا"[4].

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج(01)، ص(167)

[2] - المصدر نفسه، ج(01)، ص(167)

[3] -المصدر نفسه، ج(04)، ص(199).

[4] - المصدر نفسه، ج(04)، ص(200).

وكان **الإبراهيمي** قد نهى طلبته عن الخوض في قضايا الإلهيات والعقائد التي نهاها الله عز وجل عن الخوض فيها لعجز العقل عن ذلك ولأنها أمور لا تعنينا. وهذا الأمر قد تسبب حسب رأيه في تفرق المسلمين بسبب وجدالاتهم العقيمة في قضايا كان يفترض بهم تحاشيها، والانتهاء عن مناقشتها"وغلت طوائف أخرى في تجميد العقل فاستشرفت إلى ما وراء الحدود المحددة له، ونجمت لذلك ناجمة علم الكلام، وما استتبعه من جدل وتأويل وتعطيل، وتشابهت السبل على عامة المسلمين لكثرة هذه الطوائف، فكان هذا التفرق الشنيع في الدين أصوله وفروعه"[1].

نجحا في كفاحهما ضد المنظمات المرابطية (القوى الظلامية)، واختارا البدء بها لما خلفته من أوهام وضلالات في عقول وأنفس العامة من الناس. وعدا الخرافات التي ألصقتها بعقيدة التوحيد التي عداها أساس البناء وأس العمل الإصلاحي؛ من الكبائر. حاملين شعار الإسلام ديننا. غايتهما؛ عرض الإسلام في صورته الحقيقة والرجوع به إلى منابعه الأصيلة الأصلية من كتاب الله وسنة رسوله، وسيرة السلف من خلفائه وأصحابه، وتوحيد صف الشعب وتأليبه على الوضع العام المتردي والمتخلف.وعن موقفه من الطرقية وصحفها يتحدث الإبراهيمي فيقول:"أما الطرقية فقد فرغنا منها هدماً وتخريباً، واقتحمنا عليها معاقلها الحصينة، ودككنا صياصيها المنيعة، واستبحنا حماها بكلمة الله، وأقمنا على أنقاضها بناء الحق. بدأنا ذلك كله بإزالة هيبتها الباطلة من الصدور، ومحو سلطتها الكاذبة من النفوس، ثم كشفنا عن نسبتها المزورة إلى الدين الحنيف. فما تم لنا ذلك حتى انهارت من أساسها، وتلك عاقبة كل بناء بني على الوهم والتزوير. وقد أحيانا الله حتى شهدنا جنازتها بلا ردة ، وهلنا عليها التراب بأيدينا غير آسفين...ماتت -لا رحمها الله- بين سنة كذا وكذا"[2] وعدا المذاهب الصوفية والمذاهب الكلامية من أسباب تفرق المسلمين.

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج4، ص(204).
[2] - المصدر نفسه، ج(1)، ص(407).

وفي ذلك يقول الإبراهيمي:"نجحت في دعايتها إلى العلم النافع الصحيح وفي دعايتها إلى الأخوة الإسلامية الحقيقية -وبأنها انتصرت في حملتها على الخرافات والأوهام والدجل وانتصرت أو كادت في حربها للجمود والعوائد الضارة والتقاليد السخيفة - وبأنها أفلحت في تربية الأمة على عدم الخوف إلاَّ من الله والرهبة منه وأن تواصل فيه وتقاطع فيه وأن تبني حياتها على الأعمال والأسباب، وفي تربيتها على تقدير الكفايات وتقديم الأكفاء لشؤونها العامة، وفي إرشادها إلى وجوه البذل المشروعة المعقولة بعد أن كانت تبذر أموالها فيما يضر ولا ينفع، وفي تحبيب الدين وشعائر الدين إلى طوائف من الشباب المهمل وإشرابهم معنى العزة الإسلامية وكرامة النفس"[1].

ثانياً: المضمون التربوي:

1 -**الأخلاق الفاضلة:** أولى القرآن الكريم اهتمامه بالأخلاق الحسنة، مجدها ورغب فيها وحث على الالتزام بها، لما لها من قيمة وأثر في الدنيا والآخرة بدليل قوله تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**][الحج/77]. وهي مجموع صفات المؤمنين وجميعها علامة حسن الخلق، وقد وصفهم الله تعالى: [**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**][الأنفال/ 2 - 3 - 4]، وقال: [**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**][التوبة/112].

ونفَّر من سيء الأخلاق وذم المتصفين بها، وحذّر من سوء عاقبتها في الدنيا والآخرة، [**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**][الأعراف/33]. وأثنت السنة النبوية الصحيحة على الأخلاق الكريمة ودعت إلى تثبيتها في النفس بعد تنظيفها من رواسب الجاهلية والابتعاد عنها، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم:"ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج(01)، ص(286).

من خلق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذئ"[1]، وقال:"إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً"[2]. وحثت المسلم على تزكية نفسه بمكارم وفضائل الأخلاق وحذّرته من الأخلاق الرديئة والصفات القبيحة حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم:"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك زان، وعائل مستكبر"[3]. وقوله صلى الله عليه وسلم:"وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"[4].

عُني ابن باديس والإبراهيمي بميدان إصلاح أخلاق الجزائريين نتيجة لفساد العقيدة في صدورهم. وأولياه مكانة رفيعة لما لمحاسن ومساوئ الأخلاق من ارتباط وثيق بصلاح أو فساد المجتمع، فمتى سادت الفضيلة في الوسط الاجتماعي اهتدى أفراده واستقامت سلوكهم، ومتى استفحلت الرذيلة اضطرب نظام المجتمع واهترى بنيانه ف"**الأخلاق** والآداب والأفكار والإحساسات والاتجاهات العامة والمشخصات الخاصة -هي الأمتعة التي يرثها جيل عن جيل، ومنها يتكون مزاجه صحة واعتلالا"[5].

علل ابن باديس سبب تركيزه على التربية بهذه القوة أن الأخلاق تنبع من داخل الفرد؛ فكلما كان باطن الفرد صالحاً ومستقيماً كان ظاهره كذلك والعكس صحيح، لهذا وجب اقتران إعداد الجماهير بالتربية والتوجية والمتابعة حتى يكون أثرهم في التغيير إيجابياً:"إن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا، هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر وفي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله"[6].

وأضاف أن الطريقة السديدة لإصلاح أخلاق الناس وتقويم سلوكهم لا يكون إلاّ بالتربية فهي العاصم لهم من الانحرافات، حيث يقوم العلماء والمصلحون بتربية الأمم

---

[1] - رواه الترمذي، كتاب: البر والصلة عن رسول الله، باب: ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث: 1925.

[2] - رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث: 1941.

[3] - رواه أحمد، كتاب: باقي مسند المكثرين، باب: باقي المسند السابق، رقم الحديث: 9837.

[4] - رواه البخاري، كتاب: الآداب، باب: قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا، رقم الحديث: 5629.

[5] - عيون البصائر، ص(301).

[6] - حسن عبد الرحمان سلوادي: عبد الحميد بن باديس مفسراً، ص(135).

بإصلاح عقائدها وتهذيب نفوسها وتوجيهها نحو الكمال، وتزكيتها بخلال عالية؛ من شجاعة وعدل وحكمة وصدق ووفاء وأمانة وإيثار وتضحية؛ لما لهذه التربية من دور كبير في بناء شخصية الفرد وإعداده لمواجهة الاستعمار، الذي ركز جهوده على محاولة نشر الميوعة، والتخنث، والفساد، والفسق، والفجور في صفوف الجزائريين عن طريق أوكار الفساد والحانات التي زرعتها في كامل البلاد، بقصد إفساد أخلاق الجزائريين حتى لا ينصرفوا إلى محاربته ويخرجوه من أرضهم. هذا ما جعل ابن باديس يولي اهتماماً بالغاً للتربية وإصلاح أخلاق الجزائريين التي تدهورت تدهوراً كبيراً، وفي ذلك يقول الإبراهيمي:"كان - ابن باديس - رحمه الله يؤثر التربية على التعليم، ويحرص على غرس الفضائل في نفوس تلامذته قبل غرس القواعد الجافة في أدمغتهم"[1].

وكان ابن باديس قد دعا إلى التحلي بأخلاق القرآن في دروسه ومقالاته ومحاضراته، لأنها تحفظ تماسك المجتمع، وتعصمه من التميع والانحلال وبها يستتب الأمن والاستقرار فيه. وحث على الابتعاد عن الأخلاق الذميمة مثل العجب الذي يدعو إلى الكبر. اعتبره أساس الرذائل وحاجزاً يصد الإنسان العاقل عن الارتقاء وبلوغ الكمال؛"تربية النفوس تكون بالتخلية عن الرذائل، والتحلية بالفضائل، والعجب هو أساس الرذائل، فأول الترك تركه، وهو المانع من اكتساب الفضائل، فشرط وجودها تركه كذلك، ومن لم يكن معجباً بنفسه كان بمدرجة التخلق بمحاسن الأخلاق، والتتره عن نقائصها، لأن الإنسان مجبول على محبة الكمال وكراهة النقص، فإذا سلم من العجب فإن تلك الجبلة تدعوه إلى ذلك التخلق والتتره، فإذا نبه على نقصه لم تأخذه العزة، وإذا رغب في الكمال كانت له وإليه هزة، فلا يزال بين التذكيرات الإلهية والجبلة الإنسانية الخلقية يتهذب ويتشذب حتى يبلغ ما قدر له من كمال"[2]. وذلك مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم من المهلكات:"ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متَّبع، وإعجاب المرء بنفسه"[3].

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج4، ص(336 - 340).

[2] - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(1)، ص(677).

[3] -حسن لغيره وهو عند الطبراني في الأوسط عن أنس وابن عمر.

والمدرسة إلى جانب البيت والمسجد والمجتمع هي العاصم للفتى والفتاة من الانحرافات الدينية والخلقية والوطنية. أهمية هذه المؤسسة التربوية دفعت الإبراهيمي لمخاطبة المعلمين المربين مشيداً بدورهم الإيجابي في تربية الناشئة تربية إسلامية عربية في كلمات واعظة، مؤكداً لهم فيها على ضرورة التركيز على غرس الأخلاق الفاضلة أكثر من التركيز على تعليم النشء العلوم والمعارف لما تعانيه الأخلاق في المجتمع الجزائري من ضعف وتدهور:"لا يضيركم ضعف حظكم من العلم إذا وفر حظكم من **الأخلاق الفاضلة** فإن أمتكم في حاجة إلى الأخلاق والفضائل أشد من حاجتها إلى العلم لأنها ما سقطت هذه السقطة الشنيعة من نقص في العلم، ولكن من **نقص في الأخلاق...** فأنتم حراس هذا الجيل الجديد والمؤتمنون عليه، والقوامون على بنائه وأنتم بناة عقوله ونفوسه فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة. وابنوا نفوسه على صخرة من **الفضائل الإنسانية**"[1].

ويواصل الإبراهيمي في توجيهه للمعلمين ويصارحهم ويذكرهم بمهامهم ومسؤولياتهم في التربية وأن تكون دروس التزكية المقدمة لأبناء الأمة توافق تصرفاتهم وسلوكاتهم فقال:"ثم احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال، منطلقاً على ما يرونه ويشهدونه منكم من أعمال، فإن الناشئ الصغير مرهف الحس، فإذا زينتم له الصدق فكونوا صادقين، وإذا أحسنتم له الصبر فكونوا من الصابرين، واعلموا أن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشاً في نفوسكم فهو زائل. وأن كل صبغ تنفضونه على أرواحهم من قبل أن يكون متغلغلاً في أرواحكم فهو لا محالة ناصل"[2].

وغاية غاياته من التربية هي:"توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وتصحيح نظراته إلى الحياة، ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه، إلى مضطرب أوسع منه دائرة، وأرحب أفقاً، وأصح أساساً...وتفقيهه في دينه ولغته، وتعريفه بنفسه ومعرفة تاريخه"[3].

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص(296 -299).

[2] - محمد الطاهر فضلاء: الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى(قسنطينة: مطبعة البعث، 1387ه/1967م)، ص(115).

[3] -عيون البصائر، ص(303).

وقد أثمرت جهودهما في تخريج جيل على خلق، وقد أبدى ذلك الشيخ الإبراهيمي متحدثاً عن نجاح الجمعية في تحقيق ذلك فقال الإبراهيمي:"وإذا رجعنا إلى الأخلاق، أيها الإخوان، وجدنا نجاح الجمعية ظاهراً في جمهرة من الأخلاق الفاضلة غرستها في نفوس الأمة الجزائرية، فجمعية العلماء هي التي علمت الأمة خلق التضحية في الصالح العام، وخلق الصبر عليه ومطاولته وخلق القصد في الاعتقاد والتفكير وخلق الاعتماد على النفس، وخلق الصراحة في القول والجرأة في الرأي والكلام إلى ما يتصل بهذه الأخلاق من فروع ولوازم"[1].

ثالثاً: المضمون الاجتماعي: تعاني الأمة الإسلامية منذ أمد بعيد وإلى يومنا هذا، جملة المفاسد المتنوعة المتعددة التي تنخر في كيانها، فتؤثر على بنائها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي والإداري، مما يحطُّ من مكانتها، ويضعف من شأنها، ويعرقل مسيرتها في الداخل والخارج. والمجتمع الجزائري جزء منها، عاش إبان الاحتلال الغازي تدهوراً اجتماعياً. عانى من الطرقيين الخرافيين الذين استحوذوا على عقول العامة وسخروها لأغراضهم الشخصية، ومن الموظفين الدينين التابعين للمستعمر تبعية مطلقة والباثين الدعاية للسلطات الحاكمة. و من أهم القضايا التي استرعت انتباه المصلحين واقفين عندها مشخصين عللها وناظرين في حالها، واصفين علاجها: هي قضية تعليم المرأة الجزائرية المسلمة، والشباب الجزائري المسلم.

1 -المرأة المسلمة الجزائرية المتعلمة ودورها في صناعة النهضة: عاشت المرأة في ظل الحضارات القديمة كالحضارة اليونانية والرومانية والهندية والمجتمع العربي الجاهلي وغيرها عيشة الدون، والمهانة والحرمان من أبسط حقوقها، حيث كان ينظر إليها نظرة احتقار وازدراء على أنها شيطان تسند إليها أحقر الأعمال، وظيفتها استيلاد الأطفال وحضانتهم.كما كان ينظر لها على أنها سقط متاع، وقد غلت الأديان الوثنية القديمة في الإهدار من شأنها فقالوا: "إنه أولى لها أن تخجل من أنها المرأة". وقد تحدث البشير

---

[1] - آثار الإبراهيمي، ج(1)، ص(286).

الإبراهيمي عن مكانة المرأة قبل انبثاق فجر الإسلام الدِّين الصادق فقال: "فقد كانت المرأة في العالم كله في مترلة بين الحيوانية والإنسانية بل هي إلى الحيوانية أقرب، تتحكم فيها أهواء الرجال وتتصرف فيها الاعتبارات العادية المجرَّدة من العقل، فهي حيناً متاع يُتخطف، وهي تارة كرة تتلقف، تعتبر أداة للنسل أو مطية للشهوات"[1].

ولما انبلج نور الإسلام،كرَّمها المولى تعالى وأعزها ورفعها مكاناً علياَ وصانها وهي بنت وأخت و زوجة. شغلت قضيتها حيزا كبيرا من الدستور الرباني (قرآن وسنة). حبَاها الله عزّ وجل بحقوق وأملى عليها واجبات توافق استعداداتها الخلقية وقدراتها الفطرية، ورتب على ذلك جزاءً واحداً ثوابا كان أو عقابا. فرض عليها طلب العلم، الذي لا قيام لحياة الإنسان بدونه؛ فبفضله يتنور القلب، ويستقيم العقل، ويتهذب السلوك، وترتقي النفس.

قرر لها حق التملك بالميراث؛ فشّرع لها الوصية والإرث مثلها مثل الرجل. كما قرر أهليتها الاجتماعية في قبول أو رفض من يتقدم لخطبتها، والتصرف الكامل في مالها. أشركها بالدعوة مع شقيقها الرجل في أصول التكاليف الشرعية. وقد فرق المولى تبارك وتعالى بينها وبين الجنس الآخر في أمور أخرى؛ وذلك لاختلاف الدور الذي يقوم به كل منهما، ولاعتبارات تكوينية وفوارق طبيعية، لا انتقاصا لحقها ولا محاباة للرجل؛ فالله تعالى لا يفضل أحداً على غيره إلا بما كسبت يمينه.

وهذا، ما ذهب إليه ابن باديس حين تحدث عن الشراكة التي تجمع بين الجنسين فخص الله تعالى المرأة بمزايا نفسية فطرية من عواطف وصبر وقدرة على الاحتمال، عكس الرجل الذي جُبل على القسوة والشدة لمواجهة المخاطر خارج البيت، فقال:"إن العناية بالرجل تستلزم العناية بالمرأة شقيقته في الخلقة والتكليف وشريكته في البيت والحياة. هما زوجان متلازمان لا تكمل الوحدة البشرية إلا بكمالهما مصداقا لقوله تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)[1952 -1954]، ص(360).

خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] [الروم/ 21]. وقال تعالى: [**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ][البقرة/187].** وهذا دليل الخلقة على ما بين المرأة والرجل من لحمة اتصال، وما لكل واحد منهما على الآخر من موقف لبلوغ الكمال"[1].

والتراث الإسلامي حافل بنماذج لنساء داعيات وقفن إلى جانب الرجال وساهمن في إنشاء جيل متخلق متطلع وأمة ثابتة الأركان. نساء نذرن أنفسهن لخدمة دعوة الإسلام، فعملن جاهدات على دحض وتفنيد افتراءات الأعداء الزائفة ذاكرين فضل الإسلام على المرأة وخضن غمار معتركات الصراع في مختلف مجالاته، فكانت المفكرة، الفقيهة، المجاهدة، السياسية، والمربية...

هذا على عكس ما كانت تعيشه المرأة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي من ظروف اجتماعية قاسية للغاية، منها الجهل الذي تخبطت في غياهبه وأضر بعقلها وحجبها عن معرفة حقيقة الدين ودورها الوظيفي في المجتمع وإسهامها الإيجابي في عملية الإصلاح والتغيير. ويعد الجهل مظهراً من مظاهر التخلف وعقبة من العقبات التي تقف في وجه التقدم، فالمجتمع الجاهل يلد ويفرخ أفراداً أميين على عكس المجتمع المتعلم الذي لا يلد ولا يفرخ أناساً أميين بالضرورة[2]. وقد عمل الاستعمار منذ احتلاله أرض الوطن على حرمان الشعب الجزائري من العلم والمعرفة؛ حتى يسهل السيطرة عليه وتوجيهه كيفما يشاء، رافعاً بذلك شعار"عدو جاهل خير من عدو متعلم".

اهتمت بعض الأقلام الجزائرية حيال قضية تعليمها وتربيتها وتثقيفها، فدعاة السفور والتفرنج المغالين المتأثرين بالأفكار الغربية الهدَّامة، دعوا إلى المساواة بينها وبين الرجل، وطالب بتحريرها من أسر الدين بدعوى الدفاع عن حقوقها كحق الميراث وحق الطلاق، لأن الإسلام حرمها منها ورافعين شعارات براقة. وهذا ما نزع إليه المستشرق الفرنسي

[1] - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(3)، ص(467-468).

[2] - رابح تركي: مشكلة الأمية في الجزائر(الجزائر: مكتبة الشعب، 1981م)، ص(09).

كارادي فو الذي ادعى بأن الإسلام "هضم حق المرأة: حيث أعطاها نصف نصيب الرجل من الميراث، وجعل الرجل يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع ، وجعل الطلاق بيد الرجــل، ومنحه سلطة ليست للمرأة فحرمها كثيراً من الحقوق التي يتمتع بها الرجل"[1].

كما حرضوها على نزع حجابها؛ بدعوى أنه يعيق نهضتها الفكرية والثقافية، ويــضيع لها فرص للزواج الناجح. وقد حمل لواء هذه الدعوة في المشرق قاسم أمين في كتابين "**تحرير المرأة**" سنة 1899م "**المرأة الجديدة**" سنة 1900م. وراحوا يدعونها إلى تقليد المرأة الغربيــة في كل كبيرة وصغيرة، وإدماجها في الحياة الأوروبية، وخاصة الاقتصادية؛ وذلك باستغلالها في مصانع النسيج حيث المطروزات التقليدية التي تحيكها، ثم تصدر إلى أوروبــا علــى أنهــا منتوجات فرنسية[2]. هذه الدعوات المضللة الخبيثة التي قصدت من وراء ذلك تقويض دعائم الأسرة المسلمة ونشر الرذيلة في المجتمع؛ وبالتالي الإطاحة بالإسلام.

وفريق من بعض الفقهاء المتعصبين المتزمتين والدجالين المتاجرين بالدين، أوصد البــاب في وجهها وأقعدها في البيت حبيسة الجهل والخرافات والتقليد الأعمى وأنكر عليها تخطــي عتبة الباب، مستندين في ذلك إلى أدلة واهية لا أساس لها من الصحة "أن الإسلام لا يشجع على تعليم المرأة، وأنه يفضل أن تبقى جاهلة أو أقرب إلى الجهل"[3]. هذه الفكــرة عرفــت رواجاً كبيراً مست جميع الأقطار الإسلامية متجاهلين بأن في إبقائها على ما هي عليه مــن الجهل والقعود تأخير عجلة السير والنهوض؛ فالمرأة كما يقرر الإبراهيمــي "إذا تعطلــت عطَّلت الرجل وإذا تأخرت أخرته، ولا سبب لانحطاط المرأة عندنا إلاَّ هذا الضلال الــذي شوَّه الدين وقضى على المرأة بالخمول فقضت على الرجل بالفشل، وكانت نكبــة علــى المسلمين. وما المرأة المسلمة الجزائرية إلاَّ جزءاً من المجموعة الإســلامية"[4] دائــرة الــدين

[1] - حسن حسن سليمان: الشباب المسلم والحضارة الغربية(دار الشروق، د. ط، د. ت.)، ص(85).

[2] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج(6)(1830 -1954)، ص(91)

[3] - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكــر الثلاثــة وخوافيهــا(التبــشير -الاستــشراق - الاســتعمار)(دمــشق: دار القلــم، ط(07)، 1414هـ/1994م)، ص(586).

[4] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)[1952 -1954]، ص(364).

والقومية والأخلاق. يتمثل دورها بالأساس في حفظ النسل وتربية النشء وخدمة الـــزوج وتدبير شؤون البيت ورعاية الأسرة. وهي الوظيفة الإنـــسانية الطبيعيـــة والاجتماعيـــة في الداخل التي خلقت مكملة لوظيفة الرجل في الخارج لها يحقق نهضة شـــاملة ولا ســـبيل إلى معرفة دورها إلاَّ بالتعلم لأن"الأمة كالطائر لا تطير إلاَّ بجناحين، وجناحيها الرجل والمـــرأة، فالأمة التي تخص الذكر بالتعليم تريد أن تطير بجناح واحد؛ فهي واقعة لا محالة"[1].

انتفض الإبراهيمي وابن باديس لوضعية المرأة المسلمة الجزائرية، وأنصفاها من الفريقين اللذين وصفهم الإبراهيمي بالمجحفين، وعدّ حرمان المرأة من التعليم"علَّة العلل في الحالة التي أفضت بالمرأة المسلمة إلى هذه الدرجة، التي ما زالت عقابيلها سارية في المجتمع الإســـلامي، وما زالت لطخة عار فيه، وإنَّ المرأة إذا تعطَّلت عطَّلت الرجل، وإذا تأخَّرت أخَّرتـــه، ولا سبب لانحطاط المرأة عندنا إلا هذا الضلال الذي شوَّه الدين وقضى على المرأة بـــالخمول، فقضت على الرجل بالفشل، وكانت نكبة على المسلمين"[2].

وأوجبا -ابن باديس والإبراهيمي - تعليمها تعليما لا يخرج عن دائرة الدين والأخلاق يليق بطبيعتها ووظيفتها الأسرية من معاشرة الزوج وتربية الأبناء التي خلقت لأدائها وهي أشـــرف الوظائف الإنسانية. هذه الوظيفة لا تؤدى على وجهها الصحيح إلاَّ بالعلم"فـــإذا جهلـــت المرأة أتعبت الزوج، وأفسدت الأولاد، وأهلكت الأمة"[3]. كما كان بن باديس قد رد على النخبة المثقفة بالفرنسية -دعاة السفور من أهل التغريب - التي أرادت صرفها عـــن دينـــها وتغريبها في أفكارها وإفسادها في أخلاقها وسلخها عن عروبتها وإسلامها وحيائها وهـــدم أخلاقها، وطالبت بترع حجاب الستر عنها فقال" إذا أردتم إصلاح المرأة الحقيقي فـــارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن حجاب الجهل هو

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(170).

[2] - علي محمد الغريب: البشير الإبراهيمي يدعو إلى تقدم المرأة حتى لا يتأخر الرجل!
www.binbadis.net/al-ibrihimi/articles_etudes.htm33 - k

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(50).

الذي أخرها وأما حجاب الستر فإنه ما ضرها في تقدمها. فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكاناً في العلم وهن متحجبات"[1].

كما رد الإبراهيمي على دعاة حبس المرأة في البيت باعتبار أن خروجها للتعلم فيه مضرة وإخلال بواجبها وخروج عن فطرتها مستندين بذلك إلى أدلة ضعيفة أو واهية الأسانيد، فقال :"المرأة المسلمة موضوع ذو شعب: جهلها، تربيتها، تعليمها، حجابها، وظيفتها في البيت... كانت المرأة المسلمة في الجزائر -إلى عهد قريب لا يتجاوز أربعين سنة -، محرومة من كلّ ما يسمَّى تعليماً إلا شيئاً من القرآن يؤدِّي إلى معرفة القراءة والكتابة البسيطة، وهذا النوع على سذاجته خاص ببعض بيوت العلم، ولا يجاوزون بالبنت فيه الثانية عشرة من عمرها....، والسبب في هذه الحالة نزعة قديمة خاطئة راجت بين المسلمين، وهي أنَّ تعليم البنت مفسدة لها، ويلوك أصحاب هذه النزعة آثاراً مقطوعة الأسانيد، مخالفة لمقاصد الشريعة"[2].

هكذا إذن، كان حال المرأة الجزائرية المزري التي حرمت من حقها الطبيعي وهو طلب العلم الذي فرضه الله على كل مسلم ومسلمة، وأمر النبيε بأخذه ولو في أقاصي الصين؛ إلاَّ بعض بيوتات أهل العلم والصلاح التي كانت تعلم بناتها دون 12 سنة القرآن قصد أخذ مبادئ القراءة والكتابة لا غير. هذا النوع من التعليم غير كافي لتخريج جيل من النساء متعلم يستطيع أن يحدث نهضة شاملة يرقي بالوطن الجزائري إلى مستوى البناء والتعمير.

مما جعل ابن باديس يدعو نفسه وغيره من العلماء إلى تنظيم حملة توعية واسعة تطالب الأولياء بضرورة تعليم الفتاة العلم الديني الذي يجعلها أماً صالحة ومربية ناجحة تساهم في صناعة رجال يحبون بالجزائر ويحمونها من أي تدخل أجنبي يحاول المساس بمقدساتها أو العبث بخيراتها، فهب يقول"نشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا في رجالنا ونسائنا على أساس ديننا وقوميتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نصل إليه من العلم الذي هو تراث البشرية جمعاء،

[1] - عبد الحميد ابن باديس: آثار ابن باديس، ج(3)، ص(464-465).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)[1952-1954]، ص(263-264).

وثمار جهادها في أحقاب التاريخ المتطاولة، وبذلك نستحق أن نتبوأ مترلتنا اللائقة بنا والتي كانت لنا بين الأمم"[1].

وكان قد عرَّف المرأة المسلمة الجزائرية صمام أمان البيت ومستقر الزوج والأولاد بدورها من حفظ النسل، وتربية الأولاد تربية إيمانية تغرس فيهم حب الله والخوف منه والالتجاء إليه وحده لا شريك له...، عبادية كتعليمه الصلاة وتعويده على الصيام، النفسية العاطفية وذلك بالاهتمام به والعطف عليه، فكرية عقلية كتعويده على الاستنباط وربط الأشياء بعضها ببعض،خلقية وسلوكية. ومربية الزوج وراعية شؤون البيت ومديرته. تقديم الحماية، وتربية الأطفال، وإشباع بعض الحاجات الاجتماعية لأعضائها وفي هذا تحذيرا إياها من تقليد الأوربيات، وذلك من نواحيها الثلاثة أيضا[2]:

المرأة:"خلقت لحفظ النسل، وتربية الإنسان في أضعف أطواره:[**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً**]**[الأحقاف/ 15]**، فهي ربة البيت وراعيته، والمضطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به، فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها، ونربيها على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة امرأة لا نصف رجل ونصف امرأة، فالتي تلد لنا رجلاً يطير خير من التي تطير بنفسها.

المسلمة: وأما من الناحية الثانية فهي كونها مسلمة فيقول"فعلينا أن نعلمها ما تكون به مسلمة، ونعرفها من طريق الدِّين ما لها وما عليها ونفقِّهها في مثل قوله تعالى:[**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيما**] **[الأحزاب/ 35]**.

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(2)، ص(203).

[2] - آثار ابن باديس، ج(3)، ص (468 -470).

الجزائرية: أما عن الجزائرية فيقول بأنها:"بدينها، ولغتها، وقوميتها، فعلينا أن نعرِّفها حقائق ذلك لتلد لنا أولاداً منا ولنا، يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم بأسره، ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر الناس أجمعون.

ويرى ابن باديس أن الطريق المؤدي إلى تحقيق ذلك هو طريق التعليم الديني الذي يحفظ عليها دينها وقوميتها وأخلاقها لا التعليم الأجنبي الذي هدفه إخراج جيل مشوه، يحتقر دينه وشعبه ويتنكر لأصله وأمته :"تعليم البنات تعليماً يناسب خلقتهن ودينهن وقوميتهن، فالجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا -عليهن الرحمة - خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها، تعليم كل واحد لأهله بما عنده من علم. ويوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة نكون -بإذن الله، قد نهضنا نهضة صحيحة نرجو من ورائها كل خير وكمال"[1].

هذا التعليم الذي كان البشير الإبراهيمي قد سمّاه بالفجر الكاذب وذلك"لأمران، الأول: أنه بدأ بتعلّم اللغة الفرنسية وهي لغة ليست من روحها ولا من تقاليدها، واللغة الأجنبية إن حسنت فإنما تحسن بعد اللغة المتصلة بالروح والتاريخ والمقومات الأصيلة فهي بالنسبة للجزائرية ربح، أما رأس المال فهو اللغة العربية، والثاني: أنها بدأت في المدن الحديثة الحضارة، ونعني المدن التي عمرت في عهد الاستعمار الفرنسي مثل سكيكدة وسطيف وسيدي أبي العباس"[2].

ثم يسترسل الكلام متحدثاً عن نتائج هذا التعليم قائلاً:"إنه لم يأت بنتيجة تذكر، لأن معظم المتتبعات لهذا التعليم يقفن عند حد الشهادة الابتدائية ثم يلزمن بيوتهن، وفي الغالب يقبلن على الحرف النسوية اليدوية وقليلات منهن ينتقلن إلى التعليم الثانوي، وأقل من القليل يجاوزنه إلى العالي. وكانت النتيجة إلى هذا العهد أن بضعة آلاف لا تجاوز جمع القلة من البنات المسلمات يحملن الشهادة الابتدائية الفرنسية، وعشرات يحملن الكفاءة للتعليم

[1] -ابن باديس: آثار ابن باديس، ج(03)، ص(471).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)[1952 -1954]، ص(264).

فهن معلمات في المدارس الابتدائية الفرنسية الحكومية وعدد قليل منهن يحملن ليسانس آداب إحداهن أستاذة في مدرسة ثانوية...، وتوجد بالجزائر دكتورة واحدة ممتازة في الطب...، واثنتان صيدليتان، وواحدة محصلة على شهادة التبريز في الآداب الفرنسية....، والصنف الوحيد من أصناف العلم الذي كثرت حاملات شهادته من الجزائريات هو القبالة. فالقوابل المسلمات كثرن في العهد الأخير ولعلهن جاوزن المئة"[1].

ثم إن ابن باديس يحمل الأولياء مسؤولية تعليم النساء ويدعوهم إلى الإقتداء بالنبيε الذي كان يعين لهن يوماً خاصاً يختاره هو بنفسه فيعظهن في أمور تخصهن"تخصيص مجالس لهن تعالج فيها أمورهن، وتوجه لهن فيها الأحكام والمواعظ بحسب خصائصهن النفسية والفكرية والخلقية والاجتماعية، وبحسب مسؤوليتهن في الحياة، داخل أسرهن وخارجها ولكل هذه الأمور طالبت هذه المرأة بتخصيص أيام للنساء يتلقين فيها ما يخصهن من معارف دينية، ومن أجل ذلك استجاب لها الرسول صلوات الله عليه"[2] فقال"إن الجهالة التي فيها نساؤنا اليوم هي جهالة عمياء، وإن على أوليائهن المسئولين عنهن إثماً كبيراً فيماهن فيه، وإن أهل العلم والإرث النبوي مسئولون عن الأمة، رجالها ونسائها، فعليهم أن يقوموا بهذا الواجب العظيم في حق النساء بتعليمهن خلف صفوف الرجال، وفي يوم خاص بهن إقتداء بالمعلم الأعظم: عليه وعلى آله الصلاة والسلام"[3]. فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه -: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم:"غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: ما منكن امرأة تُقدم ثلاثة من ولدها إلاَّ كان لها حجاباً من النار فقالت امرأة: واثنتين. فقال: واثنتين"[4]. يبين هذا الحديث مدى حرص النساء زمن النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم أمور الدِّين عكس ما عليه نحن اليوم.

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)، ص(265).

[2] - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها(التبشير -الاستشراق - الاستعمار))، ص(590.591).

[3] - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(3)، ص(199 -200).

[4] - رواه البخاري، كتاب: العلم، باب: هل يجعل للنساء يوم على حده في العلم، رقم الحديث: 99.

وقد لاقت دعوة رمزي الإصلاح في الجزائر بإنشائهما لمدارس تظم البنات والبنين، حيث يقول الإبراهيمي"أما الفجر الصادق لتعليم الفتاة فهو يبتدئ من سنة 1931م، أي منذ اثنتين وعشرين سنة يوم تكونت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لإحياء العروبة والإسلام بالقطر الجزائري، ومغالبة الاستعمار عليهما، وخطت خطواتها المشكورة في التعليم العربي الإسلامي على نظم عصرية...ولهم اليوم نحو مئة وخمسون مدرسة عربية حرة تحتوي على نحو خمسين ألف تلميذ من بنين وبنات، ولهم معهد ثانوي يحتوي على ألف وخمسمائة تلميذ، وقد رأينا نتاجه في القاهرة فرأينا آثار الحزم والجرأة والإخلاص"[1].

وجاء في التقرير السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد في شهر أكتوبر من عام 1951م أن عدد مدارسها غير معطلة إدارياً بلغ 125مدرسة. يدرس فيها 36.286 تلميذاً وتلميذة منهم 16.286 نهاريين أي يدرسون بالنهار. ومن هؤلاء 10.590 ذكور، و05.696 إناث[2].

كما لم تحرم من الدراسة خارج الوطن في الجامعات العربية، حيث قامت جمعية العلماء بإرسال بعثة علمية إلى كليات وثانويات مصر تضم طالبة واحدة وخمسة وعشرين طالباً من أجل الدراسة وكان ذلك في العام الدراسي1951 -1952م. وتعد أول بعثة خارج المغرب العربي(تونس -الجزائر -المغرب الأقصى). وفي سنة 1955م وصل عدد بعثاتها في معاهد الشرق العربي(مصر، سوريا، الكويت، والمملكة العربية السعودية) إلى 109 طالباً وطالبة. وارتفع عددهم بعد اندلاع الثورة التحريرية المسلحة بسنوات قلائل إلى عدة مئات[3].

وكان ابن باديس قد فكر في إرسال بعثات طلابية علمية من البنات إلى سورية، فبعث رسالة بخط يده في أوت 1938 إلى رئيسة مدرسة **"جمعية دوحة الأدب للبنات"** بسوريا مبدياً إياها رغبته في الحصول على موافقة رسمية لقبول بعض البنات للدراسة بالجمعية جاء

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)[1952 -1954]، ص(266).

[2] - رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية[1931 -1956](الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط(02)، 1981م)، ص(208).

[3] - المرجع نفسه، ص(217).

فيها ما يلي:"وبعد، فاسمحي لي يا سيدتي أن أتقدم إلى حضرتك بهذا الكتاب عن غير تشرف سابق بمعرفتكم، غير ما تربطنا به الروابط العديدة المتينة التي تجمع بين القطرين الشقيقين، الشام والجزائر. يسرك يا سيدتي أن تعرفي أن بالجزائر نهضة أدبية تهذيبية تستمد حياتها من العروبة والإسلام غايتها رفع مستوى الشعب العقلي والأخلاقي. ومن مؤسسات هذه النهضة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة. ولما علمت إدارتها بجمعيتكم المباركة بما نشرته عنها مجلة الرابطة العربية رغبت أن ترسل بعض البنات ليتعلمن في مدرسة الجمعية، فهي ترغب من حضرتكم أن تعرفوها بالسبل إلى ذلك. تفضلي سيدتي بقبول تحيات الجمعية وإخلاصها والسلام"[1].

كما اتصل بأولياء الطالبات وأقنعهم بضرورة السماح لهن بمواصلة الدراسة في الخارج. كل ذلك كان في أواخر الثلاثينيات. إلاّ أن المنية حالت دون ذلك[2]. واضطلع بتخصيص درس خاص بالنساء يوم الجمعة من كل أسبوع وذلك اقتداءاً بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يجالسهن على انفراد مرة كل أسبوع يسألهن في شؤون تعنيهن....وكان قد أسقط الرسوم المدرسية على البنات سواء كنّ قادرات على الدفع أو عاجزات، دون الأولاد القادرين تشجيعاً لهن على الالتحاق بمدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة التي أنشأها سنة 1931م، كما أسقطها البشير الإبراهيمي بمدرسة دار الحديث بتلمسان، والطيب العقبي بمدرسة الشبيبة الإسلامية الجزائرية بالعاصمة.

وخص الحديث عنها في الشريعة والتاريخ الإسلامي والواقع الجزائري بباب خاص في مجلة الشهاب عنوانه رجال السلف ونساؤه، حيث أوقفه على الترجمة لخيرة رجال ونساء السلف الصالح؛ تأكيداً للفكرة التي يدعو إليها"تربية المراة وتعليمها"

[1] -فهمي سعد: حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في يقظة الجزائر(لبنان: دار الرحاب، ط(01)، 1983م)، ص(106 - 107).

[2] - رواية سمعها محمد بن سمينة من الشيخ محمد الصالح رمضان ببيته بتاريخ 25 مارس 1995. أنظر؛ محمد بن سمينة: قضية المرأة في منظومة فكر الإمام عبد الحميد بن باديس.

- www.binbadis.net/Dirasat/article4.htm72 - k

هكذا كان رأي المصلحين التي نشأت دعوتهما في ظل الاستعمار تعليم المرأة المسلمة الجزائرية الذي لا يكاد يخرج عن ما أمرت به الشريعة المرجع الأول في رسم حياة الإنسان يوافق تماما ما جاء في كتاب الله العزيز وسنة المصطفى الكريمε وقد تكللت جهودهما بالنجاح في صناعة امرأة أسهمت بشكل كبير في حماية الشباب المثقف من الوقوع في شراك النساء الأجنبيات والظفر به، وبالتالي ظهور جيل يعتز بدينه وقوميته ووطنه وتاريخه . ليس كما هو عليه نحن النساء الموكول إلينا صلاح أو فساد وضياع المجتمع من فتور الهمة والتفات إلى سفاسف الأمور التي لا تغني ولا تسمن من جوع. والتي آثرت الإغراءات من عالم الموضى والأزياء بكل أشكالها وألوانها على التفكير في نهضة البلاد الغارقة في وحل التبعية في كل المجالات.

2 -**الشباب الجزائري ذخيرة الأمة وأمل المستقبل:** يعد الشباب عنصر الحركة والحيوية، العمود الفقري في أي أمة من الأمم. به تحدث النهضة لما له من طاقة منتجة، وحماس وعطاء متجدد. وما انتشرت رسالة الإسلام في ربوع المعمورة إلاَّ بفضل جهود ركب من الشباب المسلم المجاهد العامل أمثال **مصعب بن عمير، خالد بن الوليد** وغيرهم من الذين تربوا على يد سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، و تلقوا منه النصح والإرشاد، وأعانوه باليد واللسان والسنان لإعلاء كلمة الله. حملوا ألوية الجهاد وسارت جيوشهم رافعة راية لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله.

كما بهم يحصل الركود والتأخر، فما التشتت والأوجاع التي تعانيها الأمة الإسلامية والجزائرية على الخصوص إلاَّ بسبب غياب دور الشباب الإيجابي التغييري عن المجتمع. فبدل من أن يكون هناك شباب فعَّال يعمل لبناء مستقبل الأمة وبالتالي تحويل واقعها إلى واقع زاهر زاخر حي، وجد شباب همه الأكبر إرواء غرائزه وتقليد كل ما تبثه الفضائيات الأجنبية من سموم قاتلة تهوي به إلى مسلك الشيطان: الفن ونجوم الغناء والرقص وغيرها من الأمور التافهة وصرفه عن الأمور الجليلة تهدف إلى مسخ هوية الشباب باعتباره لا يزال غضاً طرياً يستهويه كل ها هو قائم على الإثارة الجنسية فـ"فتحت الخمارات في كل

مكان حتى وصلت إلى الأرياف وأحياء العمال، وافتتحت دور البغاء المرخصة... وتجرأ الناس على ارتكاب الموبقات"[1].

يصوِّر لنا **ابن باديس** واقع الشباب الذي التف عليه الجهل والفرنسة فيقول:"ولم يكن يومذاك من شباب إلاَّ شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته، وتاريخه، ومجده، وقبَّح له دينه وقومه، وقطع له من كل شيء -إلاَّ منه -أمله، وحقَّره في نفسه تحقيراً. وإلاَّ شباب أكلته الحانات، والمقاهي، والشوارع، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه إلاَّ آلة متحركة في ذلك العمل لا هم له من ورائه في نفسه، فضلاً عن شعوره بأمر عام، وإلاَّ شباب حفظه الله للإسلام والعروبة، فأقبل على تعلمها، لكنه تعلم سطحي خال من الروح، (وإلاَّ شباب) لا يعتز بماض، ولا يألم لحاضر، ولا يطمح لمستقبله، اللهم إلاَّ أفراداً قلائل جداً هنا وهناك"[2].

هكذا إذن، وجد ابن باديس الشباب يوم عاد أدراجه إلى أرض الوطن؛ متحللاً أخلاقياً، ضائعاً، تائهاً، منهاراً سلوكياً، تتخطفه الدعوات التغريبية الهدَّامة والتي تشجعه على ممارسة المخالفات الشرعية مدعمة بذلك صفها ومستغلة طاقة الشباب المتدفقة والمتجددة فيما لا يرضي الله. هذا الوضع الحرج دفعه إلى العمل الدؤوب والمستمر للأخذ بأيديهم إلى قارب النجاة وإخراجهم من العتمة التي سُلطت عليهم وحبست عقولهم عن التفكير في تحرير البلاد من مغبة الاستعمار والتصدي لمحاولاته التي تهدد أرض الوطن، ودعاه إلى الالتزام بأحكام الإسلام وآدابه وغرس فيه حب الاعتزاز بالانتماء الوطني على عكس ما عليه الشباب اليوم الكاره لذلك والاعتداد برموزه، معتمداً على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.

وقد عرَّفه **محمد البشير الإبراهيمي** بأنه الدم الجديد الضامن لحياة أي أمة من الأمم واستمرار وجودها، وهم الامتداد الصحيح لتاريخها، وهو الوارث والحافظ لمآثرها،

[1] - حسن حسن سليمان: الشباب المسلم والحضارة الغربية(دار الشروق، د. ط، د. ت)، ص(128).

[2] -عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(4)، ص(364 -365).

والشباب هم المصحِّحون لأغلاطها وأوضاعها المنحرفة، وهم الحاملون لخصائصها إلى من بعدهم من الأجيال[1].

إلاَّ أن حال الشباب بالأمس القريب تغير بعد أن لاقى اهتماماً ورعاية من طرف الغيورين على مصلحته الذين قاموا بتأسيس مرافق اجتماعية تلم شملهم وتثقفهم وتفهمهم دينهم وتبث فيهم الحماس وترفع من معنوياتهم وترد إليهم ثقتهم بنفوسهم التي غيبتها فرنسا، حيث يقول ابن باديس:"أما اليوم فقد تأسست في الوطن كله جمعيات ومدارس ونواد باسم الشباب والشبيبة والشبان ولا تجد شاباً -إلاَّ نادراً- إلاَّ وهو منخرط في مؤسسة من تلك المؤسسات وشعار الجميع: الإسلام، العروبة، الجزائر"[2].

خصه ابن باديس بعناية خاصة يتجلى ذلك في تخصيص دروس له يومي السبت والأحد، وتنظيمه ضمن هياكل شبابية كالجمعيات. ومن الجمعيات والنوادي التي أسسها الشيخ ابن باديس سواء أكانت موسيقية أو كشفية أو إصلاحية، نذكر جمعية الشباب الفني للموسيقى العربية التي كان رئيسها الشرفي. جمعية الإصلاح التي تتولى رعاية الطلبة الوافدين إلى قسنطينة. تأسيس فوجي"الرجاء" و"الصباح" الكشفيين بقسنطينة الذين خصهما بنشيد:

يا نشء أنت"رجاؤنا" وبك "الصباح" قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

هدف من خلال هذه الجمعيات والنوادي إعداد الشباب وتكوينه تكويناً ثقافياً، وعقائدياً، وسياسياً، وأخلاقياً.. وهذه إحدى محاضراته ألقاها أمام شباب وهران تبين ما كان يصبو إليه:"لقد كنت منذ خمسة عشر يوماً أحاضر الشباب بالعاصمة، ومنذ أسبوع أحاضر في قسنطينة، وإني اليوم أحاضر بوهران وقد كلمت شباب الجزائر في الاتحاد، وقلت إن الخلاف لا بد من وجوده في الأمة. وهو دليل حياتها ونشاطها، ولا يكون ضاراً إلاَّ إذا كنا مختلفين في الغاية والقصد.." ويضيف في نفس الخطاب قوله:"وكلمت شباب قسنطينة

---

1 - محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)[1952-1954]، ص(120).

2 - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(4)، ص(365).

على خلق المقاومة، فبينت كيف أن المقاومة لازمة للبقاء..فلا بد إذن من المقاومة لنبرهن على وجودنا، واستحقاقنا لحقوقنا، واستبسالنا في سبيل شرفنا"[1].

وحثه على ضرورة أخذ العلم بأي لسان وعن أي شخص ويطبعه بطابع الإسلام لينتفع به فقال:"فأرجوكم أيها الشبان الحازمون أن تأخذوا العلم بأي لسان كان وعن أي شخص وجدتموه وأن تطبعوه بطابعنا لننتفع به الانتفاع المطلوب كما أخذه الأوروباويون من أجدادنا وطبعوه بطابعهم النصراني وانتفعوا به"[2].

ويحث الإبراهيمي الشباب على أن يكونوا إيجابيين"ليحرص الشباب على أن يكونوا كمالاً في أمتهم لا نقصاً، وأن يكونوا زيناً لها لا شيناً، وأن يضيفوا إلى تليد مكارمها طريفاً، وإلى قديم محاسنها جديداً، وأن يمحوا كل سيئة لسلفهم بحسنة"[3].

ويوصي الشباب -السلف الجديد في بناء الأمة - العلماء مسئولون عن الشباب وإخراجهم إلى بر الأمان بالتمسك بدين الله وكتابه، عدم الانقطاع عنه قيد أنملة، في محاضرة ألقاها في أحد أندية الشباب بمصر جاء فيها:"أيها الشباب: إن الشباب نسب بينكم ورحم وجامعة، ولا مؤثّر في الشباب إلاّ الشباب، فليكن بعضكم لبعض إماما، ولْيعلّم المهتدون الضُّلال. دينكم -أيها الشباب -لا يفتنكم عنه ناعق بإلحاد، ولا ناع بتنقّص. وربكم -أيها الشباب - لا يقطعنكم عنه خنَّاس من الجنَّة والنَّاس. وكتاب ربّكم - أيها الشباب - هو البرهان والنور، وهو الفَلج والظهور، وهو الحجَّة البالغة، والآية الدامغة، فلا يزهّدنكم فيه زنديق يؤول وجاهل يعطل ومستشرق خبيث الدخلة، يتخذه عضين، ليفتن الغافلين، ويلبِّس على المستضعفين"[4].

ويواصل البشير الإبراهيمي في وصيته إياهم ويحثهم على أن يفهموا الدين ويُفهِّموه الناس على حقيقته كما فهمه السلف الصالح من الأمة لا كما حرّفت الطرق الصوفية

---

[1] - عبد الرزاق قسوم: ابن باديس والشباب(الرسالة: مجلة تربوية جامعة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، جمادى الأولى والثانية 1400هـ/ أبريل -ماي1980م، السنة الأولى، العدد2 -3)، ص(44 -45).

[2] - ابن باديس: آثار ابن باديس، مج(04)، ج(04)، ص(340).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي،ج(4)[1952 -1954]، ص(120).

[4] - المصدر نفسه، ج(4)، ص(270).

معانية متعمدة وأفهمته الناس على أنه هو الدين الصحيح فيقول:"إن دينكم شوَّهته الأضاليل، وإن سيرة نبيكم غمرتها الأباطيل، وإن كتابكم ضيَّعته التآويل، فهل لكم يا شباب الإسلام أن تمحوا بأيديكم الطاهرة الزيف والزيغ عنها، وتكتبوهُ في نفوس الناس جديداً كما نزل وكما فهمه أصحاب رسول الله عن رسول الله، إنكم قد اهتديتم إلى سواء الصراط فاهدوا إلى سواء الصراط، إنكم لو عبدتم الله الليل والنهار لكان خيراً من ذلك كله عند الله وأقرب زلفى إليه أن تجاهدوا في سبيله بهداية خلقه إليه"[1].

لهذا، حرص الإبراهيمي على تنبيه الطلبة من خطر الوقوع في حبائل السياسيين، وحذرهم من الجري وراء شعاراتهم، وإهمال طلب العلم الذي يرى فيه السبيل الوحيد الذي يمكن الشعب الجزائري من الانفلات من الاستعمار وويلاته:"العلم ...العلم...أيها الشباب لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب ينفخ في ميزاب، ولا داعية انتخاب، في المجامع الصخاب، ولا يلفتنكم عنه معلل بسراب ولا حاو بجراب، ولا عاو في خراب يأتم بغراب...فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلاب وساحر كذاب، إنكم إن أطعتم هؤلاء الغواة، وانصعتم إلى هؤلاء العواة، خسرتم أنفسكم وخسركم وطنكم، وستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا ولات ساعة ندم"[2].

وبهذا، يكون الشيخان قد نجحا في الوقوف في وجه التحديات التغريبية التي استهدفت هوية الشباب وعقيدته من الغزو الفكري والثقافة الغربية الهابطة غير المنضبطة. وهذه شهادة أحد الزعماء السياسيين القائد عبد الله التل حاكم القدس سابقاً فقال:"ونجح الإبراهيمي في خلق جيل من الشباب الجزائري المؤمن بعروبته ووطنه ودينه، وكان ذلك الجيل هو نواة جيش التحرير الجزائري الذي خاض معركة المليون شهيد، وحرر الجزائر من استعمار مدمر دام 132عاماً، ولولا جهود (جمعية العلماء) في الجزائر وكفاح رئيسها ابن باديس والإبراهيمي - لما قامت ثورة الجزائر في غرة نوفمبر 1954م. ولولا الجيل الذي رباه البشير الإبراهيمي ومعاونوه من علماء الجزائر -لما

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)[1952-1954]، ص(270 - 271).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص350-351.

استطاع الشعب الجزائري أن يقدم للثورة وقودها من شباب محمد ع الذين انتظموا في قوافل لا عد لها ولا حصر، باذلين دماءهم وأرواحهم في سبيل الله وفي سبيل الوطن"[1].

نلاحظ من خلال ما تقدم، أن ابن باديس والإبراهيمي قد أوليا اهتماماً بالغاً بالشباب باعتباره عصب الحياة إلاَّ أن البشير الإبراهيمي كان قد ركَّز على تحميس وتوعية وتوجيه الشباب بالخارج بعد وفاة ابن باديس؛ نظراً لطول مكوثه هناك لأجل مهام كلف بها من طرف إخوانه بالجمعية. على عكس ابن باديس الذي كاد جهده لا يخرج عن أرض الوطن لاقتناعه بأن أهل وطنه أولى به من أي بقعة من بقاع العالم العربي والإسلامي.

رابعاً: المضمون السياسي: من أهم القضايا التي لاقت اهتماماً كبيراً في المجال السياسي من طرف المصلحين قضية الاستعمار، والمسألة الفلسطينية.

1 -**الاستعمار* رجس من عمل الشيطان:** من أساليب الاستعمار المهدمة للشخصية الجزائرية؛ تشجيعه للطرق الصوفية على ممارسة السلوكيات العقدية المنحرفة من بدع وضلالات، يبث عن طريقها أفكاره المسمومة ومؤامراته الدنيئة، من تمزيق الوحدة الوطنية والقومية للشعب الجزائري بإثارة النعرة العصبية والقبلية أو التفريق بين أبناء الشعب الواحد، فزعمت أن البربر لهم كيان مستقل ووجود متميز عن العرب. محاربة مقومات الشخصية الوطنية(الدين الإسلامي؛ فكراً وممارسة، اللغة ، والتاريخ).

وكأي إنسان يحمل ضميراً حياً في داخله، يدافع عن وطنه برباطة جأش، وكغيره من المصلحين والدعاة الذين لهم غيرة على وطنهم يرفضون الاستعمار بكل صوره وأشكاله المختلفة، ويقفون منه موقف المناهض له ولأوزاره ولأعماله التخريبية التي زرعت الرعب في العالم ولأنه يعيش على دماء الشعوب المنهكة الضعيفة، وجلب على الأمم الأمراض والأوبئة.

وهكذا، كان موقف **ابن باديس** من القوة الكولونيالية الرفض والكره لما يتميز به من مواصفات الاستبداد والظلم والحقد والطمع والجشع والتكالب والاستغلال والاستعباد

---

[1] - محمد الطاهر فضلاء: من جوامع الكلم لحكيم العلماء وعالم الحكماء الشيخ البشير الإبراهيمي(الثقافة: مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، السنة الخامسة عشرة، العدد87، شعبان/ رمضان 1405ه. مايو/ يونيو 1985م)، ص(401).

* الاستعمار: آتية من "عمر" ضدَّ "خرب" مع أن التفسير العملي لهذه الكلمة هو الخراب والتخريب، وليس فيها من شيء من معنى الإعمار والتعمير" أنظر؛ محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(380).

والسيطرة... تأباها النفس البشرية العادية؛ فما بالك المتعلقة بحبل الله. ونجده في مقال من مقالاته الملتهبة يحدد لنا موقفه بصراحة من هذا الداء مفرقاً بين فرنسا كدولة وقوة حضارية، وبين فرنسا كقوة استعمارية فيقول:"إننا نفرق بين الروح الإنسانية و**الروح الاستعمارية**، في كل أمة، فنحن بقدر ما **نكره هذه ونقاومها**، نوالي تلك ونؤيدها، لأننا نتيقن كل اليقين إن كل بلاء العالم هو من هذه، وكل خير يرجى للبشرية إنما يكون يوم تسود تلك! **فلتسقط الروح الاستعمارية ولتندحر**، ولترتفع الروح الإنسانية ولتنتشر"[1].

وكان قد وجه نداء للشعب الجزائري الأبي يحذره فيه من خداع الإدارة الجزائرية الاستعمارية، وإخلافها لوعودها ومماطلتها في تنفيذ بعض مطالبهم المستعجلة المقدمة من طرفه باسم الشعب، ويوصيه بضرورة اليأس من فرنسا ووعودها الكاذبة، فقال:"أيها الشعب الجزائري! أيها الشعب المسلم! أيها الشعب العربي الأبي! حذار من الذين **يمنونك ويخدعونك**، حذار من الذين **ينومونك ويخدرونك**، حذار من الذين يأتونك بوحي من غير نفسك وضميرك، ومن غير تاريخك وقوميتك، ومن غير دينك وملتك وأبطال دينك وملتك. استوح الإسلام ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك. اعتمد على الله ثم على نفسك"[2].

وأرجع **البشير الإبراهيمي** سبب التخلف والتراجع الفكري والمادي والروحي الذي يعاني منه الشعب الجزائري إلى الاستعمار الفرنسي وأعماله الشنيعة التي تهدف إلى سلخه من مقوماته الشخصية، وتزييف تاريخ أجداده المجيد، وإنهاء وجود الإسلام وإخراجه من صدورهم وأرضهم، وتذويبهم وصهرهم في بوتقة الكيان الفرنسي"فهو قد عمل في مئة سنة على محو آثار الإسلام من النفوس بقتل أخلاقه المتينة وعقائده الصحيحة، وعلى محو عزة العروبة من النفوس، ومحو بيانها من الألسنة والقرائح، وقد كاد ينجح، ولو نجح لتم له ما يريد بعد مئة سنة أخرى من فرنسة الجزائر وجعلها مسيحية الدين لاتينية الجنسية"[3]. ورأى الإبراهيمي أن الحل الوحيد للانتهاء مما في المجتمع من جمود وانكماش هو التخلص من

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(3)، ص(406).

[2] - المصدر نفسه، ج(3)، ص(365).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج(4)(1952 - 1954)، ص(88).

الاستدمار اللائكي الأجنبي،"وهذا لا يتأتى إلاّ بنشر الوعي الكامل وتعميم الثقافة الحقة والتمسك بالتقاليد الإسلامية والتعلق بالشخصية العربية"[1].

عمدت فرنسا لتحقيق حلمها إلى الاستعانة والاستنجاد بمعاونين من الأسلحة البشرية من بني جلدتها متفاوتة التأثير، مختلفة الميادين، لها أثر وهدف واحد وهو تثبيت وتمكين أركان الاستعمار في أرض الجزائر. فكان منهم الجندي، والمعلم، والطبيب والراهب. جاءت بهم بعد أن حقنتهم بحقن تحتوي على مادة مركزة اسمها"**الاستعمار**" التي من مميزاتها تعقيم الخصائص؛ فجردت المعلم من العلمية، والطبيب من الإنسانية، والراهب من الروحانية.

جاءت فرنسا **بالجندي** الذي يخرس الحق لا يحرس الحق؛ ففتح بالقوة الجزائر، وسكن فيها بالقوة، وهدَّمَ وقتل وذبَّح واغتصب وحرَّق وفعل أفعالاً نكراء تقشعر منها الأبدان وتأباها النفس البشرية لم يفعلها الشيطان.

وجاءت **بالمعلم الاستعماري**؛ لتفسد على النشء عقولهم، وتزهدهم في لغتهم العربية وآدابها، ويملي عليهم مادة التاريخ الإسلامي، والجزائري على الخصوص في قالب سحري يتضمن كثيراً من المعلومات غير الصحيحة منها أن الدين الإسلامي دين إرهاب، انتشر بحد السيف، وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم رجل مسحور والقرآن من إنشائه الخاص لا وحي مترل من عند الله. وبالتالي ينشأ الطفل وهو كاره لدينه، محب لما عرضه عليه معلمه الأجنبي في الصغر.

وجاءت **بالطبيب الاستعماري**؛ ليداوي العلل والأمراض من كوليرا وتيفوييد...، التي تفشت بين أوساط أفراد الشعب الجزائري نتيجة سوء التغذية الذي مس نسبة عالية من المواطنين بسبب السياسة الاستعمارية التي استولت على ممتلكاتهم. فإذا بالطب الاستعماري لم يقض على المرض بل قضى على الصحة، ودليل ذلك وجود نسبة ما يقارب أربعمائة ألف من مجموع الأمة مصابون بداء السل، وعشرات الآلاف من الأجنة تجهض لغياب العناية والمتابعة الطبية، وعشرات الآلاف من الأطفال يموتون بسبب الجوع.

---

[1] - محمد الطاهر فضلاء: الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى، ص(92).

جاءت **بالراهب المبشر الاستعماري** الذي يؤمن بالهدي العيسوي المحـــرَّف ؛ لتفـــسد على الشعب الجزائري المسلم دينه وتجرده منه، وتشككه في عقيدته السمحة، وتغـــرس فيـــه تعاليم العقيدة المسيحية ؛ وذلك باستغلال اليتامى والأيامى، والبؤر التي تنتشر فيها المجاعات.

ويبقى الاستعمار **أقبح باطل وأشنع ظلم** على وجه الأرض، فهو **أشبه بحيوان له أربـــع قوائم** يمشي عليها(الجندي، المعلم، الطبيب، ، الراهب). هذه القوائم أتت على عشرة ملايين من البشر هم رأس مال الأمة في نشر الخير والمنفعة ؛ فعطلت مواهبهم، وجمدت عقـــولهم، ورمت أذهانهم بالركود وأفكارهم بالعقم. فما أشأم الاستعمار على الإنسانية!..[1]

كان شديد اللهجة في وصف إياه **بالشيطان الملعون**[2]، وفضح أعماله التخريبية والتشنيع بدسائسه الحاقدة وكشف نواياه الخبيثة سواء داخل الوطن من خلاله ما تجود به قريحتـــه في الصحف الخاصة به أو التابعة للجمعية من خلال مقالاته النارية، والمحاضرات العامة التي تنظم في النوادي العامة، والمؤتمرات واللقاءات الخاصة بأعضاء الجمعية، ودروس الوعظ والإرشـــاد في المساجد، وفي الخارج من خلال المحافل الدولية والمجامع، المحاضرات العامـــة واللقـــاءات الخاصة مع رؤساء وزعماء سياسيين ورجال أعمال كبار وغيرها.

ومن أهم الأوصاف التي وصفه بها:**"الاستعمار كله رجس من عمل الشيطان**؛ يلتقـــي القائمون به على سجايا خبيثة، وغرائز شرهة، ونظرات عميقـــة إلى وســـائل الافتـــراس، وإخضاع الفرائس، وأهم تلك الوسائل قتل المعنويات وتخدير الإحساسات الروحية؛ ولكـــن هناك تفاوتاً بين استعمار واستعمار، فاستعمار يباشر وسائله بالحقد ويـــشربها معـــاني مـــن الانتقام؛ وآخر يباشر بنوع من التسامح واللين؛ والاستعمار الفرنسي من النوع الأول، وبين النوعين فرق، وإن كانا -بغيضين ممقوتين، لأنهما استغلال للأموال، واســـتعباد للأجـــساد، ويزيد أحدهما بأن فيه ترويحاً على الأرواح؛ ولولا ما بلوناه من شر الاستعمار الفرنسي على ديننا ولغتنا، وما تجرعناه في سبيل إحيائها من غصص، وما كابدنا في إنقاذهما منه من بلاء-

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص(83 - 85 - 86).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج(5)(1954 - 1964)، ص(95).

لما ذكرنا الاستعمار بخير، ولما أجريناه على ألسنتنا إلاّ مقروناً باللعنة مصحوباً بالسخط، ولكن في الشر خياراً لا يقدره قدره إلاّ المبتلى بالأشد من أنواعه"[1].

كما وصفه بأنه"أفظع أنواع الاستعمار التي عرفها البشر في مراحل التاريخ، لأنه ظلم صريح الأثر وحشي الأسلوب حيواني النزعة متوقح الوجه، ولأنه لا يتصل بالنفوس بحبل أو بخيط من الإحسان إليها ينتهك حرمات الله وحرمات الإنسان على السواء، وهو يحمل للإسلام والعربية حقداً دفيناً يستره بأقواله، فتكفر به الأفعال القبيحة والمعاملات الشنيعة وانتهاكه لحرمات المساجد وابتلاعه لأوقاف المسلمين واحتكاره التصرّف في الشعائر الدينية كالحج"[2].

وبهذا، يكون الإبراهيمي قد صنف الاستعمار الفرنسي الاستيطاني ضمن النوع الأول الذي يتميز بالشدة والحقد واللصوصية التي ما قوت إلاّ لضعف الفريسة وغفلتها عن الحق، وجميع الموصفات الشيطانية. وبالتالي، لم يسعف الاستعمار الحظ مع الإبراهيمي العدو الثاني بعد عبد الحميد بن باديس.

إن المتتبع لمسيرة ابن باديس والإبراهيمي مع الإدارة الاستعمارية أو بالأحرى مع الاستعمار، يجد أن الأول كان أكثر هدوء في تعامله معه، اتبع في ذلك سياسة المهادنة والملاينة قصد العمل في هدوء وتجنب المتابعات والمضايقات التي تعوقه عن تنفيذ مشروعه الإصلاحي"ولهذا وجدناه يرفع في بداية عمله الصحفي بعض الشعارات التي تتشدق السلطة الاستعمارية بحمايتها والانتصار لها وهو يعرف يقينا أن مثل هذه الشعارات خالية من أي مضمون"[3]. إلاّ أنه ولظروف سياسية معروفة ومفهومة نجد أن بن باديس يتخذ مواقف حادة كموقفه من المتجنس وهل تجوز الصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين أم تحرم؟[4].

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)، ص(94).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(87).

[3] - حسن عبد الرحمان سلوادي: عبد الحميد بن باديس مفسراً(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988)، ص(212).

[4] - الزواوي بغورة: التسامح وثقافة السلم عند ابن باديس.

www.binbadis.net/Dirasat/article4.htm72 - k

ونفس الشيء بالنسبة للطرقية، فالبرغم من نقده لبدعها النقد العلمي البنَّــاء الحكــيم البعيد عن السخرية والشتم إلاَّ أن علاقات مع أفرادها كانت حسنة، حيث كان يقوم يــزور الزوايا مقدراً دورها في نشر الإسلام والحفاظ عليه. وهذا نص مقتطع من مقال لــه جــاء فيه:"حاربنا الطرقية لما عرفنا -علم الله- من بلاء على الأمة من الداخل والخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب، وقد بلغنا غايتنا والحمد لله وقد عزمنا أن نترك أمرها للأمة هي التي تتولى القضاء عليها ثم نمد يدنا لمن كان على بقية من نسبته إليهــا لنعمل معها في ميادين الحياة على شريطة واحدة وهي: أن لا يكونوا آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم، فكل طرقي مستقبل في نفسه عن التسخير فنحن نمد يدنا له للعمــل في الصالح العام"[1].

وطريقته العلمية في مناقشة أباطيل الطرقية البعيدة عن المهاترة والمغامزة؛ تعد سبباً كافياً في قلة كتابته حول موضوع الطرقية عدا ما ورد أثناء تفسيره للقرآن الكريم.

في حين، نجد الإبراهيمي أكثر صرامة وأقوى لهجة لا وهن فيها، عنيف وحاد في توجيه الضربات للاستعمار حيث استعمل في وصفه ألفاظاً قوية مثل الشيطان الملعــون، رجــس. وكان"**يرسل قلمه شواظاً من نار** على الاستعمار ووحشيته، وأساليبه في القهــر والإذلال، ومحاولة طمس الهُوية، وتغيير معالم الشخصية الجزائرية"[2]. هذه المواجهة الشديدة التي طالــب من خلالها المستعمر بإعادة ما انتزع من الشعب الجزائري من ممتلكات وخيرات، جلبت عليه الملاحقات البوليسية التي كانت دائماً له بالمرصاد، تراقب تحركاته وتعتقله؛ مــرة في ســجن تحت الأرض، ومرة في منفى. كل هذا جعل نشاطه متقطعاً. ونفس المعاملة مع رجال الطرق الصوفية، فكان"شديد الوطأة، حار الهجوم، حديد اللسان، على التصوف والصوفية"[3].

2 -القضية العربية الفلسطينية؛ جرح لا يندمل: شغلت القضية الفلسطينية حيزاً كبيراً من فكر ابن باديس والإبراهيمي، وأولياها اهتماماً بالغاً، وكرّسا جهودهما من أجل الــدفاع

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(4)، ص(369).

[2] - يوسف القرضاوي: مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي(بيروت: المكتب الإسلامي، ط(01)، 1428هـــ/ 2007م)، ص(30).

[3] - يوسف القرضاوي: مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص(37).

عن الأراضي المحتلة المغتصبة من طرف اللوبي الصهيوني وأعوانه الغربيين زعماء الحلف الأطلسي على رأسهم إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية الذين نظموا مؤتمرات شرّعوا من خلالها حق إسرائيل في إقامة دولة مستقلة لها كيانها.

تعود جذور فكرة إنشاء وطن قومي إسرائيلي مستقل إلى اليهودي الإيطالي **يوسف ناسي** -1530م - الذي حاول بناء مستعمرة تجمع اليهود الفارين من بطش الغرب؛ وذلك بشراء الأراضي من السلطان العثماني التي كانت فلسطين يومئذ تحت حمايتها، إلاَّ أنه فشل في تحقيق ذلك بسبب تعنت الأهالي ورفضهم لهذا المشروع[1].

وعاود اليهود المحاولة إثر المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في **بال** بسويسرا عام 1897م، رتبه **تيودور هرتزل**، وطالبوا إثرها بتكوين دولة يهودية تجمع شتات اليهود وتلم شملهم، وذلك في فلسطين التي كانت أول موجة هجرة إليها عام 1882م. كانت لا تزال تحت الحكم العثماني طيلة أربعة قرون.

وتوالت المعاهدات والمؤتمرات المساندة للمطلب اليهودي(اتفاق **سايس بيكو** الذي جعل فلسطين تحت الانتداب البريطاني، اتفاقية **فيصل وايزمان**، **وعد بلفور** في 2 نوفمبر1917م الذي جاء إثر مساندهم للقوات البريطانية في حربها ضد ألمانيا)؛ والذي نتج عنه صدور قرار الأمم المتحدة في 29 نوفمبر 1947م ينص على تقسيم الأراضي إلى دولتين؛عربية، ويهودية. وأعلن الصهاينة في 05/15/ 1948م عن قيام دولة إسرائيل بعد انتهاء الانتداب البريطاني بسويعات والذي صوت ممثلوه بالإيجاب ومثيلاتها التي تدين بالديانة المسيحية لميلاد الكيان الصهيوني.

لاقت مسألة احتلال إسرائيل لفلسطين مسرى النبي صلى الله عليه وسلم انفعالاً شديداً وحزناً عميقاً على الفعل الشنيع الذي افتعلته الدول الأجنبية المدبرة لشؤون العالم من تدنيس المسجد الأقصى، واعتبرها ابن باديس وصمة عار في جبين العرب والمسلمين. ففي خطاب له ألقاه في الاجتماع العام بمركز الجمعية بنادي الترقي بالعاصمة، يوم 11رجب 1355هـ و27

[1] - القضية الفلسطينية

ar.wikipedia.org/wiki/324 - k

سبتمبر 1936م، تحدث عن فلسطين الجريحة معرباً عن استياءه عما يحدث في رحاب القدس الشريف ببالغ من الحزن والأسى ومستنكراً صمت العالم رافعاً احتجاجه إلى كل أمم العالم عن كف عادية صهيون"ثم أسكب عبرة الأسى على ما تلقاه أرض القدس الشريف من عسف الاستعمار الغاشم الذي فرق بين الإخوة الذين عاشوا في هناء وصفاء منذ قرون كما لطخ تاريخهم من هذه الفعلة بكل نقيصة مخزية ومردية، ولطخ تلك الرحاب المقدسة، بالدماء البريئة. فبلسانكم ولسان الجزائر كلها من الأجنة في بطون الأمهات إلى الذين في بطون الأجداث أرفع الشكوى إلى الله ثم الاحتجاج إلى كل من فيهم إنسانية من جميع الأمم"[1]. أصبح ومنذ عام 1935م ينهي كل مؤتمر من المؤتمرات التي تعقدها الجمعية بالتذكير بقضية فلسطين.

كما كان لجريدتي البصائر والشهاب دور هام في إبراز أخبار فلسطين ومازال مقاله في 1936م يحذر العرب والمسلمين من مغبة تغافلهم عن فلسطين قائلاً:" أيها العرب إما فلسطين وإما الموت"، كما كانت جريدة البصائر تنشر الإشعار والاستغاثات لفلسطين ورسائل الحاج أمين الحسيني وكل ما يتعلق بفلسطين..

وفي مقال له بالشهاب، كتب فيه تحت عنوان"**فلسطين الشهيدة**" تحدث فيه عن حال اليهود في ظل الإسلام وما كانوا ينعمون به من حرية المعتقد ورخاء العيش ومن حماية الإسلام لمقدساتهم؛ إلا أن حالهم اليوم تغير بين الأمم المسيحية، وما لاقته من اضطهاد وحظر دخول"وها هم اليهود اليوم قد شردتهم ألمانيا ومن قوانينها الجديدة عليهم بيع أملاكهم ببرلين بالمزاد العام ومنعهم في المستقبل من الامتلاك، ومنعهم من صناعة الطب بتاتاً، والحكومة اليونانية منعتهم من دخول أرضها ولو على سبيل السياحة، وإيطاليا أخذت في اضطهادهم بأساليب علمية دقيقة وسياسية قاتلة، وفرنسا أيضاً قد هبت عليها هبات من هذه السموم ستصيب اليهود أو قد أصابهم شيء من لفحها"[2].

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(3)، ص(551).

[2] - المصدر نفسه، ج(3)، ص(415).

إلاَّ أن هذه الأمم، ولخوفها على مكتسباتها وامتيازاتها من المد الصهيوني، تغير تعاملها تجاه اليهود خاصة منهم إنجلترا ووعدتهم بمنحهم مكاناً يستوطنون فيه. هذان الزوجان المشؤومان الصهيونية والاستعمار الإنجليزي تمكنوا وبعد تخطيطات دقيقة من تثبت أركانهم في رحاب القدس الشريف الذي يعدل قداسة رحاب مكة والمدينة"تزاوج الاستعمار الإنجليزي الغاشم بالصهيونية الشرهة فأنتجا لقسم كبير من اليهود الطمع الأعمى الذي أنساهم كل ذلك الجميل من طرف العرب وقذف بهم على فلسطين الآمنة والرحاب المقدسة فأحالوها جحيماً لا يطاق وجرحوا قلب الإسلام والعرب جرحا لا يندمل"[1]

قام -ابن باديس- برفع احتجاج ضد تقسيم فلسطين، من خلال برقية قام بتوجيهها باسم الأمة الجزائرية إلى وزير الخارجية الفرنسية، جاء فيها:"باسم الأمة الإسلامية الجزائرية أرفع احتجاجي الشديد ضد مشروع تقسيم فلسطين، ذلك القطر العربي الذي ضمنت له العهود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله، واعتبر هذا المشروع ضربة قاضية على حياة شعب ضعيف دافع طيلة سنين عديدة، دفاع الأبطال عن شرفه وحريته، واعتداء شنيعاً على جميع الشعوب العربية الإسلامية وانتهاكاً لحرمة الأماكن المقدسة عند سائر المسلمين، ولي الأمل في تدخل الحكومة الفرنسية بكل سرعة لمنع هذا التقسيم"[2].

وأبرق في أكتوبر1938ببرقية باسم جمعية العلماء إلى المؤتمر البرلماني بالقاهرة، جاء فيه ما يلي:"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - باسم المسلمين الجزائريين -تحيي في شخصكم مؤتمركم العظيم، وتضم صوتها إلى صوتكم، وتوافق على ما يستقر عليه رأيكم وتؤيدكم بكل ما تستطيع في سبيل قضية فلسطين التي هي قضية الحق والإنسانية والسلم العام"[3].

كما أخذت القضية الفلسطينية* في فكر الإبراهيمي حيزا كبيرا ولاقت اهتماما بالغا من

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(3)، ص(413).

[2] -المصدر نفسه، ج(03)، ص(452).

[3] - المصدر نفسه، ج(3)، ص(459).

* أهم المقالات التي تناولت القضية الفلسطينية من خلال آثاره: الجزء الرابع(1952 -1954)[هل لمن أضاع فلسطين عيد؟، أضعنا فلسطين دعاة الحركة الإسلامية يقولون، فلسطين واليهود]، الجزء الثالث(عيون البصائر)[تصوير الفاجعة، وصف قرار تقسيمها، العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء، ماذا نريد لها وماذا يريدون، الإنكليز حلقة الشر المفرغة، واجباتها على العرب، أما عرب الشمال الإفريقي، قيمة عواطف المسلمين في نظر فرنسا، عيد الأضحى وفلسطين). فضحت هذه= =الكتابات الصحفية اليهودية والصهيونية وخططها النكراء ومساعيها الأصولية في احتلال=

طرفه، ومثلت في كتاباته.

ومن خلال استقراء كتابات الشيخ حول هذه القضية يتخذ موقفا أخيرا - لتحرير أرض الإسراء والمعراج والأقصى - بعدما تفهم برؤية عميقة أن اغتصاب فلسطين وحريتها كان بالقوة، ومحال أن يسترجعها إلا بهذه بالقوة، فهو يرى أن اغتصاب فلسطين وصمة عار في جبين الإنسان العربي والمسلم، وذنب لا يغتفر، ومهزلة تاريخية وخيمة إذا لم يعلنها العرب حربا لا هوادة فيها وجهادا في سبيل الله لفتح جديد لفلسطين[1].

وشكل شخصه مع مجموعة من إخوانه (جمعية إعانة فلسطين) عام 1948م، وشكلت لجنة مالية لجمع الهبات والتبرعات تحت إشراف الإبراهيمي، جمعت تسعة ملايين فرنك قديم، وسُلّمت إلى السفير المصري في باريس، ليقوم بتسليمها إلى جامعة الدول العربية، وقامت الجمعية بنشاط واسع لصالح القضية، وبعثت نحو مئة مجاهد ليشاركوا إخوانهم المجاهدين في فلسطين، وكتب الإبراهيمي مقالات نارية رائعة في نصرة الفلسطينيين، نشرها في مجلة (البصائر) عام 1948م ومنها وسواها من المقالات التي شرحت القضية، وفضحت اليهود والصهيونية، ونددت بتخاذل العرب تجاهها.

وحضر الإبراهيمي المؤتمر الإسلامي في القدس ممثلاً للجزائر، وكان في اللجنة التي شكلها المؤتمر برئاسة الشيخ **علي الطنطاوي**، من أجل الدعاية لفلسطين، وكلفت اللجنة بالطواف على العالم الإسلامي لتعريف المسلمين بالقضية، ودعوهم إلى دعمها مادياً ومعنوياً[2].

وكان قد حمَّل العرب مسؤولية ضياع فلسطين الذي نتج عنه شرف ومجد العرب، عز وميراث الإسلام، ورماهم بالتخاذل والخيانة والغفلة والانصياع لما يمليه عليهم الغرب من

= فلسطين. وعرّفت بمواقف مختلف الجهات العربية تجاه القضية ووصفته بالمتخاذل، كما بين واجبات الشعوب العربية، والزعماء العرب، والدول العربية، وكتّاب العرب وشعراء هم وخطبائهم تجاه فلسطين الجريحة.

[1] - محمد الطاهر شوشان: البعد السياسي والاجتماعي في فكر الشيخ الإبراهيمي

www.binbadis.net/al-ibrihimi/articles_etudes.htm33 - k

[2] - عبد الله الطنطاوي:المجاهد الشيخ البشير الإبراهيمي.

www.odabasham.net/cat.php?catid=12&page=354 - k-

أوامر، واللامبالاة، وعدم التناصح فيما بينهم، والدياثة حيث قال موجهاً خطابه اللاذع اللهجة إلى العرب:"ألستم أنتم الذين أضعتم فلسطين، بجهلكم وتجاهلكم مرة، وخذلكم وتخاذلكم ثانية، واغتراركم وتغافلكم ثالثة، وبقبولكم للهدنة رابعة، وباختلاف ساستكم وقادتكم خامسة، وبعدم الاستعداد سادسة، وبخيانة بعضكم سابعة، وبما عدوّكم أعلم به منهم ثامنة؟... ويل للعرب من شر حلّ ولا أقول قد اقترب"[1]. وفي موضع أخر من **مقالاته النارية** أرجع سبب ضياعها إلى الكلام.تساءل فقال:"بماذا أضعنا فلسطين؟، الجواب: أضعناها بالكلام"[2].

وهو ما حاصل اليوم، حيث تعقد الكثير من اللقاءات والاجتماعات الرسمية، مرة بالأمم المتحدة، ومرة بالجامعة العربية، ومرة بمصر وأخرى بالسعودية،...والتي تكاد تكون شبه يومية، تناقش أوراق القضية الفلسطينية، إلاَّ أننا لم نر أو نسمع أن الجيش الإسرائيلي يستعد لإخلاء البلاد. بل على العكس، وكأني بهذه المجالس المغلقة تقول للصهاينة: عليكم بهم، أقتلوهم، شددوا عليهم الحصار، أقطعوا عنهم الكهرباء، أوقفوا عنهم الوقود، أقطعوا دابر مسؤوليها، عززوا وجودكم في المنطقة،..

ولعل أهم شيء استطاع الإبراهيمي أن يهبه لفلسطين الجريحة مكتبته المتواضعة قائلاً:"ولكني أملك من هذه الدنيا مكتبة متواضعة هي كل ما يرثه الوارث عني، وإنني أضعها خالصاً مخلصاً، بكتبها وخزائنها تحت تصرف اللجنة التي تُشكَّل لإمداد فلسطين، ولا أستثني منها إلاَّ نسخة من المصحف للتلاوة، ونسخة من كل من الصحيحين للدراسة"[3].. وتمنى على الله لو أنه كان يملك قطعاً من الأراضي كالفلاح، أو غابات شاسعة من النخيل،...

كما شدّد على العرب الخناق واللهجة وعابهم على تخاذلهم عن نصرتهم لأبناء الحجارة وذلك يوم عيد الأضحى من سنة 1948م"أيها العرب: حرام أن تنعموا وإخوانكم بؤساء، وحرام أن تطعموا وإخوانكم جياع، وحرام أن تطمئن بكم المضاجع وإخوانكم يفترشون

1 - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(218).
2 - المصدر نفسه، ج(4)(1952 - 1954)، ص(283)).
3 - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص(523).

الغبراء. أيها المسلمون: افهموا ما في هذا العيد من رموز الفداء والتضحية والمعاناة، لا ما فيه من معاني الزينة والدعة والمطاعم، ذاك حق الله على الروح، وهذا حق الجسد عليكم"[1].

هكذا إذن، كان موقفهما من القضية العربية والإسلامية قضية فلسطين الذود عـــن حياضها وتحريض الشعوب العربية والمسلمة والجزائريين على النهوض بواجبـــهم نحوهـــا والمساندة التامة في إرجاع أراضيها المغتصبة من طرف القوى الطاغية، واللـــوم الـــشديد على الحكام العرب الرافض لتقديم المساعدات المادية والمعنوية.

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص(526).

الفصل الرابع: خصائص الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي

أولاً: المبدئية

ثانياً: الواقعية

ثالثاً: الانفتاحية

بعد أن تطرقنا لمفهوم الخطاب الدعوي في اللغة والاصطلاح، وعند بعض المفكـــرين الإسلاميين؛ آن الأوان للحديث عن بعض الخصائص والتي تراها الباحثة من صلب الدراسة. للخطاب الدعوي خصائص متعددة؛ تراوحت بين الثبات، المرونة، والعالميـــة، والتـــوازن، والصلاحية لكل زمان ومكان، والشمولية، والاعتدال، والتنوع،...و...

ومن السمات التي آثرت الحديث عنها في هذا المقام ثلاثة: **المبدئية**؛ أي العمل بمبـــادئ المصدر الإلهي(القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة)؛ منه المنطلق وإليه المرجع، المعين الذي ترتشف منه الحركات التحررية منهجها في التغيير والإصلاح. وعن **الواقعيـــة**؛ باعتبـــار أن الواقع مصدر من مصادر المعرفة؛ فالحكم الشرعي لا يترل حتى ينظر في ظروف وملابـــسات الحادثة أو القضية. أما **الانفتاحية**؛ باعتبار أن الخطاب لا يحقق النجاح ما لم ينفـــتح علـــى محاسن الآخر، الذي له مآثر وأمور إيجابية يشترك فيها مع الدين الإسلامي ويقاسمـــه فيهـــا الرأي والعمل.

أولاً: المبـــــــــــدئية: يرجع الخطاب الدعوي في إصداره الأحكام على الأحداث والوقائع، وفي توجيهه لسلوكات وتصرفات المخاطبين، وتزكية أنفسهم وتهذيب أخلاقهـــم، وإرشادهم إلى جادة الصواب، وحل المشاكل والأزمات التي تعترض سبل حياتهم اليومية إلى الكتاب والسنة.

يعد القرآن الكريم؛ الإلهي المصدر، المتره عن أي اجتهاد بـــشري، القطعـــي الثبـــوت والدلالة، المشرع الأول لأحكام الحلال والحرام وما بينهما. المترل علـــى خـــاتم الأنبيـــاء والمرسلين بلسان عربي مبين؛ ليكون للعالمين نذيرا. جامع أصول الهداية الإلهيـــة، والتوجيـــه الرباني، في العقائد والشعائر والآداب والأخلاق، وجامع أصول التشريع الإلهي في العبـــادات والمعاملات وشؤون الأسرة وعلاقات المجتمع الصغير والكبير، المحلي والدولي[1].

كما تعد السنة النبوية الشريفة؛ المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن، الإلهية المـــصدر في معناها دون لفظها، الشارحة له، والمفصلة والمبينة للنصوص المتضمنة موضوعات تخص الحياة

---

[1] - يوسف القرضاوي: ثقافة الداعية(لبنان: دار الرسالة، ط(14)، 1417هـ/1997م)، ص(17).

البشرية جاءت في معظمها مجملة، وأغلب أحكامها غير مفهومة.

تضمنت أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته و"حوت من جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وكنوز المعرفة، وأسرار الدِّين، وحقائق الوجود، ومكارم الأخلاق، وروائع التشريع، وخوالد التوجيه، ودقائق التربية، وشوامخ المواقف، وآيات البلاغة -ثروة هائلة - لا تنفذ على كثرة الإنفاق، ولا تبلى جدقما بكر الغداة ومر العشي، ولا يستغني داعية يريد أن يحدث أو يدرس أو يحاضر أو يخطب أو يكتب، عن الرجوع إلى هذا المصدر الغني، والمنهل العذب، ليستقي منه -بقدر ما يتسع واديه - فيرتوي ويروي"[1].

وعلى هذا النهج الرباني حذت القرون الثلاثة الأولى التي شهد لها المعصوم صلى الله عليه وسلم بالخيرية حذو الوحي، واستجابت لتعاليمه وأحكامه دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، ومارست التدين تصوراً وسلوكاً. لكن، وبعد اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية وإقدام العباسيين على ترجمة الفكر اليوناني والإغريقي إلى العربية، الذي أهم ما فيه منطق **أرسطو** الذي يعالج مشكلات وقضايا لا تمت للإسلام بصلة، وتأثرهم بأفكاره المفسدة في غالبها للعقل والدِّين والفطرة؛ مما أورث الأمة الإسلامية إصابات وأزمات وفكراً مشوشاً، مضطرباً، مدخناً، مليئاً بالأخطاء، وأدى إلى تشتتها وانقسامها إلى ثلاث فرق.

الفريق الأول، بالغ في تقدير النص وأعطاه دوراً أولياً على العقل **تمثل في: التقليديين والمتعصبين المتحجرين**، الذين نادوا بحرفيته مما أدى إلى تعطيل حركة الفكر نتج عنه إيصاد باب الاجتهاد الذي أقفل منذ القرن الخامس الهجري[2]. "وهو إعلان لوفاة العقل، ومحاصرة لخلود الشريعة، وامتدادها، وقدرتها على العطاء في كل زمان ومكان، وخروج من الحاضر والمستقبل"[3]. **والفريق الثاني؛ والمتمثل في بعض الفرق الكلامية** التي وقفت وراء العقل وغالت في تقديسه وتحكيمه؛ جاعلة منه المشرع الأول والشرع فرعاً منه؛ مما أوقعها في الخوض في مسائل الغيبيات والإلهيات: أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، وهذا ما

---

[1] - يوسف القرضاوي: ثقافة الداعية، ص(52).

[2] - محمد قطب: واقعنا المعاصر(القاهرة: دار الشروق، ط(1)، 1997م، ص(147).

[3] - عمر عبيد حسنة: في النهوض الحضاري بصائر.. وبشائر(بيروت: المكتب الإسلامي،ط(1)،1417ه/1996م)،ص(90).

كان قد حذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم صحابته؛ فعن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن نفراً كانوا جلوساً ببابه فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا، وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا. فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج كأنما فُقِئ في وجهه حَبُّ الرُّمَّان فقال: بهذا أمرتم أو بهذا بعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم هاهنا في شيء انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به والذي نُهيتم عنه فانتهوا"[1]. **وفريق ثالث؛ تمثل في الجهود الإصلاحية التجديدية** التي عملت على الجمع والمزج والموازنة بين النقل والعقل باعتبارهما يكملان بعضهما البعض. وجعلت من الإطار المرجعي(الكتاب والسنة) منطلقاً لعملياتها التغييرية، ونعت على المقلدين المتعصبين الملتزمين بتقليد مذهب من المذاهب جمودهم.

وما رائدي النهضة الجزائرية **عبد الحميد بن باديس**[2]، و**محمد البشير الإبراهيمي** إلاَّ رمزين من رموز الإصلاح والتغيير في العالم الإسلامي، وداعيتين جمعتهما الأقدار لأن تشترك مسيرتهما الدعوية في إنقاذ سفينة المجتمع الجزائري من وحل الجهل والأمية. استفرغا وسعهما في تربية وتوعية الشعب الجزائري لأجل تحريره من كل ألوان الجهل والخرافة واستبداد الاستعمار، وهما عنصرين من هذه العناصر الناهضة السالفة الذكر، التي عملت على العودة بالأمة الجزائرية إلى ما كانت عليه قبل حلول المستدمر من تقدم وتدين وتعلم، وإعادة ربطها بأصول الإسلام"**الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح**" والاسترشاد بتعاليمه، وتعزيز مكانة الموروث النقلي في النفوس وتجسيده في السلوك على أساس من الفهم الصحيح والسليم.

وهذا ما صدقه اللقاء الذي جمعهما لأول مرة في البقاع المقدسة، باعتبارهما مسلمين يؤمنان بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً. وأكدا على ضرورة قيام مشروعهما

---

[1] - رواه أحمد، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم الحديث: 6550.

[2] - عدَّه المفكر الإسلامي محمد عمارة من أبرز ممثلي تيار التجديد والإصلاح، السلفي العقلاني المستنير، ببلاد المغرب العربي على الإطلاق. للمزيد أنظر؛ محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي(مصر: دار الشروق، ط(1)، 1411هـ-1991م)، ص(285-347).

التغييري الحضاري المشترك على أصول الكتاب والسنة. وهذه بعض النصوص مأخوذة من كتاباتهم توضح ذلك:

يقول ابن باديس موضحاً الأساس الهام الذي يعد ركيزة أساسية قامت عليه حركة التجديد الديني في الجزائر ودعت الشعب الجزائري إلى التمسك به، والعض عليه بالنواجذ لما فيه من فلاح ونجاة أكيدان، وطرح كل ما يخالفهما من بدع قولية وفعلية:"وليكن دليلنا في ذلك وإمامنا كتاب ربنا، وسنة نبينا، وسيرة صالح سلفنا، ففي ذلك كله ما يعرفنا بالحق، ويبصرنا في العلم، ويفقهنا في الدِّين، ويهدينا إلى الأخذ بأسباب القوة والعز والسيادة العادلة في الدنيا، ونيل السعادة الكبرى في الأخرى"[1].

وأشاد بضرورة الإفادة من سيرة المصطفىε العطرة"فمن حياة هذا العربي الصميم استمدوا أيها العرب حياتكم، وعلى ما شاده من ماضيكم، ابنوا حاضركم ومستقبلكم ومن تاريخه الحافل استوحوا مناهج حياتكم، ومن سيرته الجليلة اجمعوا عناصر نهضتكم ومواد بنائكم القومي فلسانه لسانكم وقوميته قوميتكم، وتاريخه تاريخكم، فاتخذوه مثلكم الأسمى في الحياة، تتخذكم الحياة مثلما كنتم مثلها الأسمى، وقادتها الراشدين"[2].

انتهج السلف الصالح في تبيانهم للإسلام منهج القرآن والسنة، حيث إذا ما عدت إلى"**موطأ" الإمام مالك** سيد أتباع التابعين، فإنك تجده في بيان الدِّين قد بنى أمره على الآيات القرآنية، وما صحَّ عنده من قول النبي وفعله،... ونفس الأمر بالنسبة إلى كتاب **"الأم" للإمام الشافعي** الذي بنى فقهه من الكتاب وما ثبت عنده من السنة...وهكذا كان التعلم والتعليم في القرون الفضلى، مبناها على التفقه في القرآن والسنة[3] .

وكان قد عرَّف القرآن الكريم بأنه كلام الله المعجز، نزَّله على خير البرية أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف المنقولة إلينا بالتواتر المحفوظ من التبديل

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: توفيق شاهين-محمد الصالح رمضان(ـــ: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط(3)، 1399ه/1979م).، ص(197).

[2] - ابن باديس: البصائر، العدد16، السنة الرابعة، 13ربيع الأول 1358ه.

[3] - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(4)، ص(75).

والتغيير، وهو أصل الأدلة إذ كلها يرجع إليه. فالسنة بيانه، والإجماع لا يكون إلاّ على دليل منه أو من السنة. والقياس لا يكون إلاَّ عن دليل منه أو من السنة. والقياس لا يكون إلاَّ على أصل ثبت حكمه بالكتاب والسنة والإجماع[1].

كما عرَّف السنة بأنها كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو عمـــل أو تقرير، وهي حجة في دين الله بالإجماع، لقوله تعالى:[**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُــوا اللَّـــهَ وَأَطِيعُــوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**] [النساء **59**]. أو تجيء السنة لبيان الكتاب لقوله تعالى:[**وَأَنْزَلْنَــا إِلَيْــكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**][النحــل/**44**]. وتستقل بالتشريع لقوله تعالى:[**وَمَــا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**][الحشر/**7**].

وقد روى الشيخان أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قـــال:(لعـــن الله الواشمـــات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيِّرات خلق الله)[2]. قال فبلـــغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب. وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حـــديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات؟ فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في كتاب الله. فقالت المرأة: لقد قرأت من بين لـــوحي المـــصحف فمـــا وجدته. فقال لها: إن كنت قرأتيه لقـــد وجديتـــه. قـــال تعـــالى:[**وَمَــا آتَــاكُمُ الرَّسُــولُ فَخُذُوهُ**][الحشر/**7**]. فقالت: إني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن. فقال: اذهبي وانظـــري. قال: فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئا، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئا. أما لـــو كان ذلك لم أجامعها[3].

وفي المقابل، نجد **محمد البشير الإبراهيمي** قد خطا خطوات رفيق دربه عبد الحميد بن باديس في تمثل الكتاب والسنة إطاراً مرجعياً لإصلاح الأمة الإسلامية، والمحفوظان من طرف العناية الربانية؛ منبعاً يستقي منه الأحكام"فالذي صلح به أول هذه الأمة، حتى أصبح ســـلفاً

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: مبادئ الأصول، تحقيق: عمار طالبي(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980)، ص(21).

[2] - رواه البخاري، كتاب: اللباس، باب: الموصولة، رقم الحديث: 5487.

[3] - عبد الحميد بن باديس: مبادئ الأصول، ص(21 -22 -23).

صالحا، هو هذا القرآن الذي وصفه منزله بأنه إمام وأنه موعظة، وأنه شفاء لما في الصدور، وأنه يهدي للتي هي أقوم، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه قول فصل، وما هو بالهزل. ووصفه من أنزل على قلبه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بأنه لا يخلق جديده ولا يبلى على الترداد ولا تنقضي عجائبه، وبأن فيه نبأ من قبلنا وحكم ما بعدنا، ثم هو بعد حجة لنا أو علينا"[1].

كما حثّ على التمسك بالسنة القولية والفعلية:"ومنها الإطلاع الواسع على السنة القولية والعملية التي هي شرح وبيان للقرآن كله عند التوجه إلى فهم آية منه أو إلى درسها، لأن القرآن كله لا يختلف أجزاؤه، ولا يزيغ نظمه، ولا تتعاند حججه، ولا تتناقض بيناته، ومن ثم قيل: أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، بمعنى أن مبينه يشرح مجمله، ومقيده يبين المراد من مطلقه، إلى آخر الأنحاء التي جاء عليها القرآن في نظمه البديع، وترتيبه المعجز"[2].

ولعل القرون الثلاثة الأولى خير القرون على الإطلاق من حيث عملها بالكتاب والسنة، وتجسيدها فهوم الصحابة والتابعين؛ وهي أصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة، وأقربها إلى المراد الإلهي"...لذلك غلب صوابهم على خطئهم في الفهم وفي الاجتهاد، ولذلك أصبحت فهوههم للدين وسائل للوصول إلى الحق، وآراؤهم في الدنيا موازين للمصلحة، وما هم بالمعصومين لكنهم لوقوفهم عند الحدود وارتياض نفوسهم على إيثار رضا الله وشعورهم بثقل عهده، وفقهم الله لإصابة الصواب"[3].

وأرجع سبب تفوق هذا الجيل المتفرد إلى فهم القرآن الكريم وتدبر معانيه وجدية العمل به، فكان العامل الأكبر في بناء نفوسهم وتحليتها بمعاني الفضيلة والصدق التي تربوا عليها، والتزموا بها، ونهلوا من معين الكتاب الذي لا ينضب، واهتدوا بهديه فتوهج الحق في صدورهم"فتدبر القرآن واتباعه هما فرق ما بين أول الأمة وآخرها وإنه لفرق هائل فعدم التدبر أفقدنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل. وإننا لن ننتعش من هذه الكبوة إلاّ بالرجوع

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(94).

[2] - المصدر نفسه، ج(4)، ص(205).

[3] - المصدر نفسه، ج (4)، ص(149 -150).

إلى فهم القرآن واتباعه، ولا نفلح حتى نؤمن ونعمل الصالحات..."[1].

ودعا الشعب الجزائري إلى التمسك به والاهتداء بهديه كما كان عليه السلف الصالح، الذي أبهرنا بتوجيهه العبادة لله وحده دون إشراكه مع غيره من الخلق وإفراده بالألوهية والربوبية، والالتزام بما أنزل سبحانه وتعالى من أحكام الحلال والحرام، والحسن والقبيح، والمباح والممنوع، وكان على درجة رائعة من الصدق لأنه عاش مع القرآن لفترة طويلة من حياته"ما كان الصدر الأول من سلفنا صالحاً بالجبلة والطبع، فالرعيل الأول منهم كانوا في جاهلية جهلاء كبقية العرب، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته، واهتدوا بهديه، ووقفوا عند حدوده، وحكَّموه في أنفسهم، وجعلوا منه ميزاناً لأهوائهم وميولهم، وأقاموا شعائره المزكية، وشرائعه العادلة في أنفسهم، وفيمن يليهم، كما أمر الله أن تقام، فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين، سادة في غير جبرية، قادة في غير عنف"[2].

تمثل هذه النصوص المقتبسة من كتابات الشيخان، كتعبير صادق عن رأي صبا إليه كل منهما وهو جزء من تفكيرهما ومشروعهما الإصلاحي التغييري. هذا التعبير الذي يكاد ينطبق على مما سبقهم من فهم الأولين. وهو كذلك ما دام مصدر الشرع واحد أصدره رب واحد، ولو وجد هناك اختلاف أو حدث غير هذا الاتفاق لقلنا بأن الشخصيتين لا تفكران بطريقة صحيحة. ونصل إلى القول بأن هذه النصوص النموذجية تفيد أن الكتاب والسنة هما أساس أي بناء أعمدته متينة.

وإلى جانب دعوتهما إلى التمسك بالكتاب والسنة والعمل بما يكون بين دفتي القرآن الكريم من تطبيق للأوامر واجتناب للنواهي، عمدا إلى دعوة أهل العلم والصلاح الجهابذة إلى الاجتهاد فيما لا نص فيه لا من الكتاب أو من السنة أو من الإجماع، خاصة وأن الوضع العلمي يومها بالجزائر كان قد تميز بالركود والجمود، والتقليد الأعمى لاقتناع أهلها بأن الاجتهاد محظور؛ نتج عنه تحجر العقول وجفاف العلم. وأن الحركة العلمية يومها شقها الأول تميز بالجمود وشقها الثاني تميز بالتيه والضلال؛ حيث يصفها لنا عبد الحميد بن باديس

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(1)، ص(232).

[2] - المصدر نفسه، ج(4)(1952 - 1954)، ص(227 - 228).

بقوله:"العلوم في الجزائر كما أظنها في غيرها، منها علوم تؤخذ باللسان العربي وهي علوم الدين واللسان، ومنها علوم تؤخذ باللسان الأجنبي وهي علوم الأكوان والعمران، وقد كان الذين يزاولون العلوم الأولى على جمود تام، كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه وضلال، فهؤلاء يعتبرون الآخرين أحجاراً، وأولئك يعتبرون هؤلاء كفاراً..."[1].

هذا الوضع المزري دفعهما إلى النظر في قضية **الاجتهاد** الذي لا يأتي بالأمنيات والرغائب والاندفاع والحماس؛ وإنما يتطلب المعرفة الواسعة والخبرة والإدراك والفهم، وإعمال النص في واقع الناس المعاش، مقدراً استطاعاتهم ومدركاً للنوازل والمتغيرات الاجتماعية الحاصلة، ومستوعباً للنصوص، حيث يعرف ابن باديس **الاجتهاد** أنه"بدل الجهد في استنباط الحكم من الدليل الشرعي بالقواعد، وأهله هو المتبحر في علوم الكتاب والسنة ذو الإدراك الواسع لمقاصد الشريعة، والفهم الصحيح للكلام العربي"[2].

لا التقليد الذي كثيراً ما يغرق في أحكام الماضي ويجتر قصصه، ويغيب عن القضايا والموضوعات المعاصرة ولا يكترث بهموم الناس. وهو"أخذ لقول المجتهد دون معرفة لدليله، وأهله هو من لا قدرة له على فهم الدليل وهو العامة غير المتعاطين لعلوم الشريعة واللسان"[3].

وعرّف **الاتباع** بأنه"أخذ قول المجتهد مع معرفة دليله ومعرفة كيفية أخذه للحكم من ذلك الدليل، حسب القواعد المتقدمة، وأهله هم المتعاطون للعلوم الشرعية واللسانية الذين حصلت لهم ملكة صحيحة فيهما، فيمكنهم عند اختلاف المجتهدين معرفة مراتب الأقوال في القوة والضعف، واختيار ما يترجح منها، واستثمار ما في الآيات والأحاديث من أنواع المعارف المفيدة في إنارة العقول وتزكية النفوس وتقويم الأعمال. ولهذا كان حقاً على المعلمين والمتعلمين للعلوم الشرعية واللسانية أن يجروا في تعليمهم وتعلمهم على ما يوصل

---

[1] -عبد الحميد ابن باديس: آثار ابن باديس، ج(4)، ص(332).

[2] -[3] عبد الحميد بن باديس: مبادئ الأصول، ص(47).

إلى هذه الرتبة على الكمال"[1].

والاجتهاد لا يقوم به إلاَّ الراسخ في العلم والمستنير العقل، هذه الآلة الطبيعية -العقل- حصر الله وظيفتها في التفكر والتدبر والتفقه والنظر في الأكوان والأنفس. هذه القدرة الربانية هي تكريم إلهي ونعمة، وهبه إياه لتكون أداة توصله إلى معرفته تعالى من خلال تفكره في آيات صفحة الكون فتزيده إيماناً وينتفع بها؛ "غير أن استجلاء هذه الحقائق، واستحصال هذه الفوائد من الآيات الكونية -على نفاستها وعظيم نفعها- محفوف بخطر الإعجاب بذلك العقل، حتى يحسب أنه محيط بالحقائق كلها، وأن مدركاتها يقينيات بأسرها. فيؤديه حسبانه الأول -الإحاطة بالحقائق- إلى الفتنة بالمدركات، فيحسب أن لا شيء بعدها فقد يخرج إلى إنكار خالقها. ويؤديه حسبانه الثاني - يقينية مدركات العقل وثبوتها - إلى الذهاب في ظنونه وأوهامه وفرضياته، إلى غايات لا نسب بين اليقين وبينها. فكان من لطف الله بالإنسان أن وضع لعقله حداً يقف عنده، وينتهي إليه، ليسلم من هذا الخطر: خطر الإعجاب بالعقل"[2]...

ثم إن العقل البشري يتحرك في إطار محكوم بضوابط وقيود جاء بها الوحي ويقف عند حد معين من التفكير لا يستطيع تجاوزه أو يطرق بابه، لأنه يفوق طاقته واستعداده وإدراكه وهو التفكير في ذات الله "ففي آيات الله الكونية حقائق كثيرة تقف العقول حيارى أمامها، وقد تشهد آثارها ولا تستطيع أن تعرف كنهها كحقيقة الكهرباء في الكون، وحقيقة الروح والعقل في الإنسان، فمثل هذه الحقائق المنغلقة التي يرتد عقل الإنسان إليه خاسئاً وهو حسير هي التي تعرفه بقدره...فيقف عند حد النظر، والاعتبار والاستدلال"[3].

والقرآن لا يلغي وظيفة العقل البشري والتي هي البحث والتأمل والنظر؛ وهي عملية لا يقوم بها إلاَّ أولو الألباب الراسخون في العلم"فالقرآن الذي أنزله الله لهداية الخلق وإصلاح البشرية، وعمارة الأرض، يدعو قبل كل شيء إلى التوحيد والاعتقاد في ألوهية الخالق

[1] - عبد الحميد بن باديس: مبادئ الأصول ، ص(47-48).

[2] - عبد الحميد بن باديس: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،ص(469).

[3] -المصدر نفسه، ص(360).

وتفرده بصلح ما فسد من عقائد الدِّين، وينفي كل تحريف وقع في شرائع الأنبياء السابقين، مقيماً على ذلك من الحجج العقلية، والبراهين الكونية ما يفتح باب الفكر والنظر، وما يزيل عن بصيرة الإنسان كل غواية وضلال، ويعلم الإنسان عدم قبول أي ادعاء ما لم يقم عليه دليل وتلك أعظم الخطوات في تحرير الإنسان ورفع مستواه العقلي والاجتماعي"[1].

فما على الطالب إلاَّ أن يفكر فيما يفهم من المسائل وفيما ينظر من الأدلة تفكيراً صحيحاً مستقلاً عن تفكير غيره ليستعين به ثم لا بد من استعمال فكره هو بهذا التفكير الاستقلالي يصل الطالب إلى ما يطمئن له قلبه ويسمى -حقيقة - علماً وبه يؤمن فيما أخطأ فيه غيره[2].

كما نعى محمد البشير الإبراهيمي الفرقة المتعصبة الجامدة على النصوص بدون فهم التي لا تؤمن بالفكر والتحليل العقلي ولا تفرق بين الاستدلال والاجتهاد، ووصفهم بأسراء المألوف وأحلاف الجمود، الذين هالهم مصطلح الاجتهاد وإحالته إلى لفظ الاستدلال:"ولقد هالت هذه النزعة القوية -نزعة الاستدلال -(طلب الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح)،أسراء المألوف وأحلاف الجمود فأكبروها ووسموها بأنها دعوى اجتهاد ودعوة إليه، واتخذوا منها غميزة يزنون بها رجال الجمعية وذريعة لصرف الأغرار من الطلبة عنها وتحريك العامة عليها: يهولون عليهم من أمر الاجتهاد ويعظمون من حرماته... فيحجرون الاجتهاد على الأحياء والأموات إلاَّ على طائفة معينة كانت في زمن معين وقد مضت ومضى زمانها وجف القلم بأقوالها ويبنون على هذا أنه لم يبق من سبيل في تعلم الدِّين إلاَّ التقليد"[3].

وصفهم بالمقلدين وضمهم إلى خانة الجامدين والمتحجرين"علماء يقرأون ويحفظون وينقلون ولكنهم لا يفقهون..هذا العديد المتشابه الذي كأنه نسخ من طبعة واحدة من

---

[1] - مولود سعادة:التجديد العقدي عند الإمام ابن باديس(الموافقات: العدد السادس، السنة السادسة،1418هـ/(1997-1998م)، ص(281).

[2] -عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(4)، ص(204).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي ، ج(1)، ص(74-75).

كتاب لا يقع التحريف في واحدة منها إلاَّ وقع في جميعها، ولا يزيد واحد منهم في العدد إلاَّ كما يزيد كتاب في المكتبة، لا كما يزيد فارس في كتيبة...ويقول عنهم أيضاً..مستهزئاً:"أصبحوا كأدوات التصدير التي يسبقها حرف الجر فيدخل عليها ويعمل فيها"[1].

وأرجع سبب هذا التقليد الأعمى والجمود في الحركة الفكرية والجهل بأسرار الشريعة وغياب الفهم المقاصدي للإسلام إلى جهل المسلمين بحقائق الدِّين؛ "جهل المسلمون حقائق دينهم، وجهلوا الحكم المنطوية تحت أحكامه، ومن أسباب ذلك جفاف الفقه عند الفقهاء لأخذهم إياه من كتب تعلم الأحكام ولا تبين الحكم، فأثر ذلك في نفوس المتفقهة وهم مرجع العامة في سياسة الإفتاء آثاراً سيئة، منها اعتبار تلك الأحكام تعبدية تحفظ ألفاظها، ولا يتحرك الفكر في التماس عللها، وطلب حكمها، وتعرف مقاصد الإسلام منها، وتصفح وجوه المصلحة والمفسدة فيها"[2].

لذلك نجده يوجّه سهام النقد لأولئك الذين وصفوهم **بالتقليدية والحرفية والجمود** الذين"نصبوا من الأموات هياكل يفتتنون بها ويقتتلون حولها ويتعادون لأجلها، وقد نسوا حاضرهم افتتاناً بماضيهم، وذهلوا عن أنفسهم اعتماداً على أوليهم، ولم يحفلوا بمستقبلهم لأنه -زعموا -غيب، والغيب لله، وصدق الله وكذبوا، فما كانت أعمال محمد وأصحابه إلاّ للمستقبل...."[3].

يتضح من خلال هذه النصوص المقتبسة من آثارهما، أن كلاهما نهى عن التقليد والتعصب المذهبي الذي يحبس المسلمين في دائرة التخلف والانغلاق على الذات، و أهابا بالعقل أن ينهض ويعمل ويقود نفسه بنفسه لا ليقاد من طرف غيره كما تقاد البهيمة، وهذا العمل مناط به صفوة الأمة الراسخون في العلم، أصحاب العقول النيرة والبصائر الوقَّادة.

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج(1)، ص(647).

[2] -محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط -د، ت -د)، ص(329).

[3] - المصدر نفسه، ص(547).

بعد هذا العرض المتتالي للنصوص؛ يتبين لنا أن كلا المصلحين يتفقـــان في كـــثير مـــن النقاط:

-فهما ينتميان إلى مدرسة واحدة وهي المدرسة السلفية التي تعتمد الإسلام الأول الصافي من شوائب وأكدار الأزمنة والأمكنة والأعراف، إسلام القرآن الكريم والسنة الصحيحة، إسلام سلف الأمة الصالح. وهتف بضرورة العودة إليه.

-يستمدان آراءهما من مرجعية الإسلام، المرجعية الأولى والوحيدة لهما. وإنه لمن المـــستبعد -فيما نحسب- أن يختلف اثنان اختلافا جوهريا فيما يصدر عنهما من مواقف وأعمال وتكون قدراتهما الروحية والعقلية تستنير بهدي هذا الدِّين الإلهي؛ لأن التصور واحد والمنطلق واحد، ومن ثم كانت أساليب العمل متشابهة، والغاية واحدة، وكانت النتائج متقاربة.

-اعتمادهما في إصلاح المجتمع منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة والسلف الصالح؛ الـــصدر الأول من المؤمنين بهذا الدِّين"أصفى الناس فطرة وألينهم قلوباً، وأدقهم إدراكـــاً للمقاصـــد وأعرفهم بمواقع الألفاظ، والجمل والتراكيب، وأعذبهم تذوقاً لدقائق المعاني والمشاعر"[1] بعيداً عن الخوض في اصطلاحات الجدليين والكلاميين والفلاسفة والمناطقة.

-اعتمادهما في عرض الإسلام على الممازجة بين المعرفة النقلية مصدرها الـــوحي بإحداثياتـــه الكتاب والسنة، والمعرفة العقلية مصدرها الكون بشقيه الطبيعي والبشري، وذلك وفق قاعدة موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ودرء تعارض العقل والنقل.

-الاعتماد على طريقة القرآن الكريم، وطريقة الرسولε في توصـــيل العقائـــد الدينيـــة إلى النفوس، واستيلائها على المشاعر والقلوب بدون تعمق في الألفاظ، أو تشعّبٍ في البحـــوث، أو إيراد للآراء والمذاهب، أو خوض في مصطلحاتِ الفلاســـفة، والمناطقـــةِ، والكلامـــيين، والجدَليين. وتلك طريقة السَّلَفِ الصالحِ رضوانُ اللهِ عليهم. وجمعية العلمـــاء كمـــا يقـــول الإبراهيمي:"هي في حقيقتها دعوة القرآن والسنة الصحيحة فهماً وعملاً ورجوع بالمسلمين إليهما لأنهما أصل الدين ومنبعه ولأنهما سبب سعادة المسلمين وسيادتهم في العصور الأولى،

[1] - عصام أحمد البشير: شرعية العمل الجماعي وضرورته(السودان: دار النذير للنشر والتوزيع، ط(1)، 1410هـ-1990م)، ص(12).

وفي القرآن ما فيه هداية وتوجيه وتمكين للمقومات التي لا تعتزّ الأمم إلاّ بهـا ولا تقـوم إلاّ عليها"[1].

- دعودتهما إلى إعمال العقل في خلق الله، لا في الله كما ذهب إلى ذلك علماء الكلام"وليس ذلك حجراً على حرية الفكر، ولا جموداً في البحث، ولا تضييقاً على العقل، ولكنه عـصمة له من التردي في مهاوي الضلالة وإبعادٌ له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائل بحثهـا، ولا تحتمل قوته، مهما عظمت علاجها. وهذه هي طريقة الصالحين من عباد الله العارفين ذاتـه، وجلال قدره"[2]. وقد حصر ابن باديس هذا العمل في فئة "الراسخين في العلم".

-كلاهما ثار ضد التقليد والجمود الذي من آثاره السيئة؛ التعصب المذهبي بـدل الاسـتقلال الفكري القائم على أساس الرجوع إلى القرآن والسنة، وآثار العلماء المـستقلين في فهـم هذين المصدرين:"ولو أن فقهاءنا أخذوا الفقه من القرآن، ومن السنة القولية والفعلية، ومـن عمل السلف، أو من كتب العلماء المستقلين المستدلين التي تقرن المسائل بأدلتـها، وتـبين حكمة الشارع منها لكان فقههم أكمل"[3].

وبهذا يكون المصلحان، قد وفقا فيما يبدو لي إلى حد كـبير في ترسـيخ مفهـوم الكتاب والسنة في قلوب الجزائريين ولَمِّ شمل الأمة حولهما. كما أفلحت جمعية العلماء في إحياء الاجتهاد. يقول الإبراهيمي:"نجحت الجمعية أيضا في إلفات الأمـة إلى القـرآن وفي جمعها عليه على التدبر في معانيه، لتأخذ منه كل نفس على قدر استعدادها وتستنير من عبره وزواجره ما يسوقها إلى الخير ويزعها عن الشر حتى يكون المؤمن مسوقاً بـالقرآن مـدبراً به....وأفلحت في تبيين السنة النبوية المحمدية معنىً ومفهوماً، وحمل الأمة على الرجوع إليها علماً وعملاً، والتمسك بالصحيح الثابت منها فعلاً وتركاً، والاهتداء بهدي السلف الـذين هم نقلتها وتراجمتها والمؤتمنون على فهمها، والعاملون بهـا والواقفـون عنـد حـدودها،

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(212).

[2] - ماجد الدرويش: رسالة العقائد للإمام الشهيد حسن البنا(لبنان: دار مكتبة الإيمان، ط(1)، 1422هـ - 2001م)، ص(21 - 22).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص(328).

والناشرون لدقائقها والمبلوغها سهلة سمحة إلى الأمم على أنها بيان لكتاب الله توالفه ولا تخالفه، وشرح عملي لدين الله يؤيده ولا يعانده، وطريق إلى سعادة الدارين لا يضل سالكه، ولا يفلح تاركه، وسلّم موصل إلى الحياة العزيزة الكاملة المبنية على العمل المغذي للهمم والإقدام المغذي للعزائم والقوة التي هي عماد الحياة"[1].

ثانياً: الواقعية: تعرض **الطيب برغوث** إلى مفهوم الواقعية الإسلامية فعرّفها بأنها:"معرفة الواقع، كما هو من غير زيادة عليه، أو نقصان منه، وتحقيق موقف الشرع منه، ثم محاولة تغييره بوسائل مكافئة وأساليب ناجعة، تحقق المصلحتين الشرعية والمجتمعية، أو الفردية، من غير إفراط، يوقع الناس في الحرج، ولا تفريط تضيع به المحافظة على حدود الشرع ومحارمه"[2].

يفهم من هذا التعريف، أنه لتتريل أي نص شرعي موائم على أي نازلة تلم بالمجتمع أو الفرد الواحد قصد إصلاحه وتقويمه وبسط سلطان الإسلام في الواقع؛ يستدعي من المجتهد أو الداعية أن يقرأ صفحة الواقع قراءة متعمقة ويمعن النظر فيه، ويحلل أحداثه تحليلاً جيداً، ويشخص أمراض البيئة تشخيصاً صحيحاً، وينظر في موقف الإسلام الصحيح في أحواله. يقدم علاجه أو يقرر حقيقية ما انطلاقاً من تشخيصه ووصفه على الحالة التي هو عليها الواقع الكوني والاجتماعي وفق خطط وبرامج تبنى من تعاليم الشرع، ولكنها تناسب عناصر الواقع"مثل الدواء الذي يُشَكَّل في مقاديره وكيفياته على حسب الحالة الحقيقية للمريض فيكون له مفعول الانتقال به من العلة إلى الصحّة، لما يصادف الدواء من وضع علّته فيزيلها بالتدريج لينطلق الجسم في حركة الشفاء"[3].

كما يتعرف إلى حال التركيبة البيئية الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والأسرية...، ويعايش إشكالاتهم وهمومهم، ويتأثر ويتفاعل مع قضاياهم ويواجهها

---

[1] -محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي(1929 - 1940)، ج(1)، ص(284 -285).

[2] - الطيب برغوث: الواقعية في الدعوة إلى الإسلام ضرورتها - السبيل إليها(باتنة: دار الشهاب،ط(1)، 1984م)، ص(27).

[3] - عبد المجيد النجّار: الشهود الحضاري للأمة الإسلامية(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط(1)، مج(3)، 1999م)، ج(2)، ص(165).

بحلول واقعية لا خيالية؛ فيقوم بالانخراط الفعلي والواعي، وينظر في حاجات الفرد ويتعامل معها وكأنها تعنيه ويفهمها ويدرسها ويحللها تحليلاً دقيقاً وعميقاً، يمكنه فيما بعد من تشخيص الأدواء للعلل والأمراض النازلة بالناس؛ ويسهل عليه بالتالي تتريل الأحكام الشرعية الشافية والمناسبة التي توافق وتنسجم مع عرفه وبلده وقدراته ومؤهلاته وطبيعته التكوينية والتركيبة النفسية للفرد الواحد ويقتضيه حالهم، لأنه"لا فقه لنص بلا فقه لمحله"[1].

والقرآن الكريم يطفح بصور وشواهد التعامل مع الواقع؛ حيث كان يتترل على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً بدليل قوله تعالى:[**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً**][**الإسراء/106**] على حسب الحاجات، وتمشياً مع المقتضيات والوقائع والأحداث الحديثة منها والقديمة التي تخص المجتمع الإسلامي في مكة والمدينة يومها، فيشرع الأحكام على حسب إلمام النوازل قصد رفع الحرج؛ مراعياً في ذلك الوضع النفسي والفكري والاجتماعي للخلق، وفي ذلك يقول تعالى:[**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً**][**الطلاق/7**]، [**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**][**الحج/76**].

وخير دليل على ذلك القرآن المكي والمدني؛ فأما الأول منه فقد أولت موضوعاته اهتمامها بقضايا العقيدة من الإيمان بالله وتوحيده ونبذ الشرك وعبادة الأوثان، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والتحلي بالأخلاق الفاضلة حيث نجد أن موضوع العقيدة والأخلاق يشكل نسبة كبيرة من القرآن بلغ عدد آياها(**5842**) من مجموع آي القرآن البالغ(**6342**) آية[2]. فجاء التشريع المكي مجملاً:"قلما يتعرض القرآن فيه لأحكام تفصيلية"[3].

[1] - أحمد بوعود،(فقه الواقع .. أصول وضوابط)(قطر: مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلسلة كتب الأمة، العدد(75).
http://www.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=A&BabId=1&ChapterId=1&BookId=275&CatId=201&startno=0

[2] - بلحاج العربي: المدخل لدراسة التشريع الإسلامي(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ت.د، ط.د)، ص(92).

[3] - محمد الخضري بك: تاريخ التشريع الإسلامي(الجزائر: دار أشريفة)، ص(21).

في حين، نجد الثاني منه قد اهتم ببيان الفرائض والتكاليف والواجبات، ضمَّ أحكام الزكاة والطلاق والميراث، وأخرى تتعلق بالقتال والجهاد والحرب والسلم وأخرى تعبدية،... بلغ مجموع عددها(**500**) آية وبناء الدولة. فجاء التشريع المدني الذي تعرض القرآن فيه"لكثير من التفصيلات التشريعية بالنسبة للمكي ولاسيما فيما يتعلق بالمعاملات المدنية"[1].

وكذا السنة النبوية الشريفة تعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع، حافلة بوقائع تضمنت أحكاماً وإجابات على تساؤلات راعى من خلالها النبي صلى الله عليه وسلم طبائع وأفهام الخلق، كما راعى أحوالهم في المنشط والمكره وفي السراء والضراء والمناسبات؛"فقد أُثر عنه أنه كان ينظر فيما يصلح بكل مكلف في نفسه، بحسب وقت دون وقت، وحال دون حال، وشخص دون شخص، إذ النفوس ليست في قبول الأعمال على وزّان واحد.. فهو يحمل على كل نفس من أحكام النصوص ما يليق بها، بناء على أن ذلك هو المقصود الشرعي في تلقي التكاليف"[2].

وهذا مثال لسؤال أي الأعمال أفضل؟ تعددت إجاباته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمانٌ بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حجٌ مبرور[3].

وفي سنن الدارمي، سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل أو أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على ميقاتها[4].

وفي سنن ابن ماجة، سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: العَجُّ و الثَّجُ[5].

وفي سنن النسائي، عن أبي أُمامة أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟

---

[1] - محمد الخضري بك: تاريخ التشريع الإسلامي، ص(21).

[2] - الطيب برغوث، الواقعية الإسلامية في خط الفعالية الحضارية، ط01، (الجزائر، دار قرطبة، 1425ه - 2004م)، ص: 59.

[3] - رواه البخاري، كتاب الجح، باب فضل الحج المبرور، رقم الحديث 1422.

[4] - رواه الدارمي، كتاب الصلاة، باب استحباب الصلاة في أول الوقت، رقم الحديث 1197.

[5] - رواه ابن ماجة، كتاب المناسك، باب رفع الصوت بالتلبية، رقم الحديث 2915. العج: رفع الصوت بالتلبية. الثج: سيلان دماء ذبائح الحج.

قال: عليك بالصيام فإنه عِدْل له[1].

كما أولى الصحابة -رضي الله عنهم- عناية بالواقع؛ حيث بنوا اجتهاداتهم العلمية بعد انخراطهم في واقع الناس، وتعمقهم في دراسته، ونظرهم في حاجاتهم ودراستهم لإشكالاتهم. وخير مثال على ذلك: ما قام به عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن منعه تطبيق حد السرقة عام المجاعة الذي جاع فيه الناس مما دفع بهم إلى السرقة لحفظ الحياة. هذا الحدث دفع ابن الخطاب إلى تأجيل تطبيق الحكم تحقيقاً لمصلحة حفظ النفس وهو مقصد شرعي من مقاصد الشريعة[2].

وكذا، نجد **ابن تيمية**، و**ابن القيم** الذي خصص فصلاً بأكمله تحدث فيه عن تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان في إحدى كتبه، والإمام **الشاطبي** الذي وصف العمل الاجتهادي في تنزيل الأحكام على ما يليق به من الأفعال بحسب الحالات:"وهو النظر فيما يصلح بكل مكلف في نفسه بحسب وقت دون وقت، وحال دون حال، وشخص دون شخص، إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وازن واحد، "[3]. وكذا مؤسس علم الاجتماع العلاّمة ابن خلدون(ت808 هـ) الذي لم يؤلف رائعته الاجتماعية المقدمة؛ إلاّ بعد أن نظر وجاب المغرب والمشرق ورصد واقعهم الثقافي والاجتماعي والسياسي...وتولى مناصب مختلفة في تونس، مصر[4].

جاءت دعوات حركات الإصلاح الوهابية منها، والسنوسية، والمهدية،...؛ كرد فعل

---

[1] - رواه النسائي، كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أي العمل أفضل؟، رقم الحديث 2192.

[2] - عبد المجيد النجّار: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل(لبنان: الدار العربية للعلوم،1413هـ/1993م، ص(130).

[3] - الشاطبي: الموافقات، ج(3)، ص(62).

[4] - عبد المجيد النجار، في فقه التدين فهماً وتنزيلاً(قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الدوحة، سلسلة كتب الأمة، العدد(22)، المحرم 1410هـ)، مج(02)، ج(01).
http://www.islamweb.net.qa/ver2/library/ummah_ShowChapter.php?lang=A&BabId=7&ChapterId=7&BookId=222&CatId=201&startno

للانحراف العقدي والسلوكي الذي أصاب المسلمين يومئذ، وكان سبباً في تخلفهم. وفساد نظام الحكم العثماني؛ الذي كان يسيء إزاءهم التصرف. وهذا ما أكده **لوثروب** الذي وصف العالم الإسلامي إبان القرن الثامن عشر فقال:"كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة،...، وانتشر فساد الأخلاق والآداب.. واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل،... وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال... وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية"[1].

وكذلك جاءت دعوات أعلام المشروع التحرري كنتيجة لما آل إليه واقع المسلمين من تخلف في ميادين الحياة، بسبب ما صنعته أيديهم من ابتعادهم عن التدين الصحيح؛ فراحوا يبحثون في أسباب تخلفهم، ويشخصون أحوالهم. نجد على سبيل المثال لا الحصر **جمال الدين الأفغاني** الذي شاهد الاختلاف الكبير الحاصل بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي بعد الجولات التي قام بها؛ الرقي والتقدم في بلاد أوروبا، والانحطاط والتأخر في بلاد الشرق الذي عانى من النفوذ الأجنبي والحكم الاستبدادي. ورأى أنه لاسترداد هيبة المسلمين واسترجاع ما ضاع منهم لابد لهم من التخلص من الحكم الطاغي والاستعمار.

وعن حال الوضع بالجزائر إبان الاحتلال، يصور لنا **عثمان الكعاك** في كتابه "**مختصر تاريخ الجزائر**" المأساة التي عاشها الشيخ **عبد الحميد بن باديس** بكل جوارحه، وهي مأساة الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي في بضعة سطور، فيقول:"إن محنة الجزائر أشد المحن، فالحرب لم تنقطع فيها منذ عام 1830م وهي لم تكن حرباً في الأجسام فقط، بل كانت حرباً في العقيدة قام بها **الكاردينال لافيجري** وشيعة الآباء البيض وغير البيض،

---

[1] - عبد المجيد النجّار: الشهود الحضاري للأمة الإسلامية(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط(1)، 1999م)، مج(3)، ج(3)، ص(74).

وحرباً على الثقافة الإسلامية العربية قامت بها جامعة الجزائر الفرنسية وإدارة التعليم الفرنسية بالجزائر. وصليبية **هانوتو** ضد اللغة العربية لفائدة اللـهجات البربرية وحرباً في انتزاع الأراضي من أصحابها العرب، وحرباً ضد المعالم الإسلامية. فقد حُوِّلت مئات الجوامع إلى كنائس، وإلى بيع لليهود، وحرباً حتى ضد أسماء المدن الجزائرية التي حُوّلت إلى أسماء قواد، وأدباء، وعلماء من الفرنسيين، مثل: **باسكال**، **وفولتير**، **ومونتيسكيو**، **وهوجو**، **وروفيقو**، **وسنطارنو**، إلى آخره وحرباً ضد الجنسية الجزائرية بإبادة الشعب الجزائري، وحرباً ضد تاريخ الجزائر. فقد أدَّعت المدرسة التاريخية الفرنسية بالجزائر أنه لا يوجد تاريخ جزائري ولا حضارة جزائرية فضلا عن شعب أو أمة جزائرية"[1].

إن الحال التي كانت عليها الجزائر إبان الاحتلال لم يعشها ابن باديس لوحده، بل قاسمه الإبراهيمي في جل الأحداث وهو بالخارج من خلال التعريف بالقضية الجزائرية وتعقب أثر الشخصيات لقبول البعثات العلمية وتقديم المساعدات المادية والمعنوية ومساندة الشعب الجزائري والتنديد بالوجود الإفرنجي الفرنسي في البلاد.

والوضع المعيشي المتأزم الذي كان يحياه الشعب الجزائري إبان الاستعمار الاستيطاني، ليس ببعيد عن الوضع الذي كان يحياه أهل مكة قبل وبداية البعثة المحمدية، حيث كانت الأصنام المختلفة الأحجام والأشكال والمعادن تعبد، وحياة أفراد المجتمع يومها يغلب عليها الطابع الحيواني، يؤمنون بأفكار باطلة، يحوم حولهم الجهل والفساد، إسلامهم مشوب بجراثيم الخرافات والبدع التي فتكت بخلايا جسم الأمة. يعيشون البؤس والفقر المدقع بسبب سيطرة القوات الحاكمة على جميع الممتلكات الخاصة والثروات الطبيعية. نفس الشيء كان يحدث في الجزائر تقريباً؛ الأمية والجهل تلفح عقول أفراده ويخيم بظلامه على صفحات فكرهم من جهة، والأضاليل والأوهام التي جنحت به إلى أسفل الدركات من تبرك بالقبور وتمسح بأعتابها والتماس الرحمة والمغفرة والتوبة من أوليائها.

ومن هذا الوضع البائس انطلق كل من ابن باديس الذي كان له"ذرع فسيح في العلوم

[1] - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ص(139).

النفسية والكونية، وباع مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضـــه وأمراضـــه"[1]، والإبراهيمي الذي كان على"دراية كاملة بجميع ما في الوطن الجزائري، يحـــدثك حـــديث العليم الخبير عن أصول سكانه وقبائله، وأنسابه، ولهجاته، وعادات كل ناحية منه، وأخلاقها وتقاليدها وأساطيرها الشعبية وأمثالها، وإمكاناتها الاقتصادية، وثرواتها الطبيعية، إلى غير ذلك مما هو من أسرار الخبراء أصحاب الاختصاص"[2] بدعوتهما إلى التغـــيير، وجعـــلا شـــغلهما الشاغل العمل على إخراج العباد من سلطة وسطوة بلية الاحتلال الذي سطا علـــى أبـــدان الشعب، ومحنة أعوانه من قوافل رجال الطرقية الجهلة الجامدين الـــذين اســـتحكموا عقـــل الشعب الجزائري إلى عبادة رب العباد. وعدهما -الطرقية والاستعمار - مظهرين من مظـــاهر التخلف والانحطاط، ومصدر لهما.

وفي ذلك يقول **الإبراهيمي:**"كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا في المدينة المنوَّرة أن البلاء المنصب على هذا الشعب المـــسكين آت من جهتين متعاونتين عليه وبعبارة أوضح من اســـتعمارين مـــشتركين يمتـــصان دمـــه ويفسدان عليه دينه ودنياه: استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار، واستعمار روحاني يمثله مشائخ الطرق المؤثرون في الشعب المتغلغلـــون في جميـــع أوســـاطه المتاجرون باسم الدِّين، المتعاونون مع الاستعمار عن رضا وطواعية، وقد طـــال أمـــد هـــذا الاستعمار الأخير، وثقلت وطأته على الشعب حتى أصبح يتـــألم ولا يبـــوح بالـــشكوى أو الانتقاد خوفاً من الله بزعمه، والاستعماران متعاضدان يؤيد أحدهما الآخـــر بكـــل قوتـــه، ومظهرهما معاً تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم، فتسعى في الانقلاب، وتفقيرها لئلا تسعى بالمال على الثورة فكان من سداد الرأي وإحكام التدبير بيني وبين ابن باديس أن تبـــدأ الجمعيـــة بمحاربة الاستعمار الثاني لأنه أهون" [3].

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص(25).

[2] - أحمد توفيق المدني: الإبراهيمي كان أمة، كان جيلاً، كان عصراً.." الثقافة، العدد87، ص44.

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، ص(220).

يتبين من خلال هذين النصين، أن الاستعمار الفرنسي والطرق الصوفية المنحرفة قد نجحا بعد تعاونهما في تحقيق ما كان يصبوان إليه؛ وهو إفساد الشعب الجزائري في دينه ودنياه. أما الأول والمتمثل في الاحتلال الفرنسي الذي نقض المعاهدات السلمية المبرمة مع الحكومة الجزائرية سنة1831م، وما قام به بعدها من أعمال شنيعة من حرق للمزارع والمحاصيل، وهدم للمساجد والمدارس، وإلجام الداعين إلى تعليم العربية بلجام من حديد والزج بهم في السجون. وهذه شهادة شاهد من أهل فرنسا قائلاً:"إن آخر أيام الإسلام قد دنت؛ وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلن يكونوا مواطنين لفرنسا إلاَّ إذا أصبحوا مسيحيين جميعاً"[1].

وأما الثاني، والمتمثل في بعض الطرق الصوفية الضالة العميلة لدى الاستعمار، التي أفسدت على المجتمع الجزائري تدينه وقامت بتخدير عقله بنشرها مجموع الخرافات والضلالات بين العامة، وإضافتها لطقوس وعبادات وأذكار ليست من الدِّين، والمولعون بالحذف والزيادة في الإسلام، وترويجها للأفكار القبورية الشركية القولية منها والفعلية التي أبعدته عن عقيدة التوحيد الصحيحة، وابتزازها لأمواله، وإيهام الشعب بأن الاستعمار قضاء وقدر يجب الرضا به، مستغلة بذلك سذاجتهم وبساطتهم.

وقد استخدمت الطرق الصوفية المنحرفة أثناء تنفيذهم لمشاريعها التخريبية أساليب خبيثة منها"الإكثار من البدع والعادات والمواسم والمناسبات التي يزار فيها الشيخ، وتقدم له فيها النذور والهدايا والقرابين، ونشروا الخوف في النفوس من قطع هذه العادات أو التراجع عنها، وإلاَّ حلت نقمة الشيخ، ولحق بمن تباطأ في العطاء الويل والثبور"[2] ؛ مما أدى إلى اتساع دائرة الفكر الخرافي، وانتشار التدين الخاطىء، وتزايد عدد الزوايا المشجعة على ذلك،

---

[1] - محمد عيسى: خصائص الفقه الباديسي ومعالم المدرسة الفقهية الباديسية -في ضوء آثار الإمام عبد الحميد بن باديس(الموافقات، العدد السادس، السنة السادسة،1418هـ/(1997 -1998م)، ص(526).

[2] - محمد زرمان: جمعية العلماء(الخطاب والقراءة(الأردن: دار الإعلام، ط1، 2006م)، ص(135).

وتدني الوضع الديني وغلبة تعاليمها في الوسط الاجتماعي ونفور الطبقة المثقفة بالثقافة الفرنسية من هذا الدين المشوب.

أرجع ابن باديس سبب هذا التخلف والتكالب؛ إلى الجهل الذي وَسَّعَ من دائرة الانقياد للخرافات والأضاليل. هذه الغلبة، دفعت به لأن تكون انطلاقته التغييرية بشن الغارة على المبتدعة، وذلك بتبيينه أركان العقيدة الإسلامية وشرحها وتبسيطها وإيجازها وإيضاحها للعامة والخاصة على الطريقة القرآنية والسلفية، ولم يتحرج في كشف زيف ترهات هذه الفئة الغالبة الضالة. فقد ألف لذلك رسالة العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تناول فيها بيان قواعد الإسلام الخمس؛ معنى الإسلام، والإيمان والإحسان، وعقائد الإيمان، ومنها عقيدة الإيمان بالله، عقيدة الإثبات والتتريه، والإثبات والوحدانية والتوحيد، ثم يتناول موضوع الإيمان بالقدر، ثم الملائكة عليهم السلام، ثم الإيمان بكتب الله تعالى الذي تولى حفظ القرآن الكريم الذي هو هداية للبشر دون غيره وجعل الإيمان بالسنة إيماناً بالقرآن، ثم تناول عقائد الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام مركزاً على تأييد الله لهم بالبينات والآيات وتمام عبوديتهم وعلو مرتبتهم، وتأدبنا معهم فيما عوتبوا عليه واستغفروا منه. وختم رسالته بالحديث عن عقائد الإيمان باليوم الآخر، انتهاء الوجود الدنيوي وحدوث الوجود الأخروي، الميعاد والبعث، وزن الأعمال والجزاء عليها، الصراط، دار العذاب، ودار النعيم.

هدف من خلال دراسته للعقائد الإسلامية إلى"حض المسلمين ودفعهم إلى التمسك بأهداف الدين الحنيف، واستلهام آيات الكتاب العزيز والأحاديث النبوية الشريفة وتطبيقها في شؤون الحياة تطبيقاً يضمن لهم التفوق في دنياهم والسعادة في آخرهم، وذلك بعد أن لمس بنفسه أن صورة الإسلام في أذهانهم وفي حياتهم تختلف عن الصورة الأصلية الصحيحة بما دخل عليها من عناصر غريبة، وما اعتراها من تشويه وانحراف غيرت معالم الإسلام الأساسية وأدى إلى ضعف المجتمع الإسلامي، ونفور الكثيرين من أبنائه وابتعادهم عن

الإسلام"[1]

وقد وفقه الله تعالى في توضيحه للعقائد، عبّر عن ذلك الإبراهيمي فقال:"وقد بلغه الله أمنيته فأخرج للأمة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية، قاموا بحمل الأمانة من بعده، وورائهم أجيال أخرى من العوام، الذين سعدوا بحضور دروسه ومجالسه العلمية، وقد تربت هذه الأجيال على هداية القرآن، فهجرت ضلال العقائد وبدع العبادات، فطهرت نفوسها من بقايا الجاهلية التي هي من آثار الطرائق القديمة في التعليم، وقضت الطريقة القرآنية على العادات والتقاليد المستحكمة في النفوس وأتت على سلطانها"[2].

ويضيف الإبراهيمي فيقول:"فأصبح العامي لا يقبل من العالم كلاماً في الدين إلاّ إذا استدل عليه بآية قرآنية، وأصبح العامي إذا سمع الاستدلال بالقرآن أو الحديث، اهتز وشاعت في شمائله علامة الاقتناع والقبول، وهذه أمارة دالة على عودة سلطان القرآن على النفوس يرجى منها كل خير"[3].

كما دفعت محمد البشير الإبراهيمي للإشراف على الجهة الغربية -معقل الطرق الصوفية الحصين- إلى نقد تصرفاتهم نقداً لاذعاً والثورة ضدهم"فلا مطمع في زوالها إلاّ بصيحة مخيفة، تزلزل أركانها، ورجة عنيفة تصدع بنيانها وإعصار شديد يكشف الستر عن هذا الشيء الملفلف، والسر الذي يأبى أن يتكشف ليتبينه الناس على حقيقته"[4] وذلك بسبب الانحرافات العقدية كادعاء الولاية والقدرة على الإتيان بالكرامات والخوارق، وامتلاك حق الشفاعة وزيارة القبور والأضرحة وتقديم القرابين وغيرها من مظاهر الشرك[5] والانحرافات

---

[1] - حسن عبد الحميد سلوادي: عبد الحميد بن باديس مفسراً، ص(75-76).

[2] - مولود سعادة:التجديد العقدي عند الإمام ابن باديس(الموافقات، العدد السادس، السنة السادسة،1418هـ/(1997-1998م)، ص(283).

[3] - مولود سعادة: التجديد العقدي عند الإمام ابن باديس ، ص(284).

[4] -محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج1، ص118.

[5] - للمزيد؛ أنظر رسالة الشرك ومظاهره للميلي.

الأخلاقية من ارتكاب المحرمات من معاقرة الخمور والزنا والاختلاط الفاحش وذلك في المحافل أو الزردات. "هذه الزَّرَدْ التي تقام في طول العمالة الوهرانية وعرضها وهي أعراس الشيطان وولائمه، وحفلاته ومواسمه، وكل ما يقع فيها من البداية إلى النهاية كله رجس من عمل الشيطان، ألم تر إلى ما يرتكب فيها من فواحش ومحرمات؟ وما يهتك فيها من أعراض وحرمات؟ كل ذلك مما يأمر به الشيطان"[1] التي أتت على المجتمع الجزائري وأقعدته أرضاً، وجعلت منه شعباً لا يعرف من الإسلام إلاَّ اسمه ومن القرآن إلاَّ رسمه، وحمَّل الدعاة المصلحين مسؤولية محاربتها، وكشف ماهية هذه الانحرافات الخطيرة، ودعاهم إلى ضرورة تكاتف الجهود لنسفها والقضاء عليها.

نستنتج من خلال ما تقدم، أن كل من ابن باديس والإبراهيمي أوليا اهتمامهما لقضية الطرقية والاستعمار باعتبارهما السبب الرئيسي في تخلف المجتمع الجزائري، فاستهلا عملية التغيير بالجبهة الداخلية. كانا شديدا اللهجة في هجومهما على القبوريين، حيث ثارا ضدها وعملا على كشف ألاعيبها وإحباط خططها الرامية إلى إبقاء الشعب الجزائري رهين خزعبلاتها وتمويهاتها، من خلال الخطب والدروس بالمسجد والتعليم بالمدرسة، والمحاضرات في النوادي والكتابة في الجرائد والمجلات، خاصة وأن هذه الفئة الضالة اشتدت وطأتها أثناء اتساع رقعة نشاط جمعية العلماء التغييرية. وعملا بكل ما أوتيا من قوة على تطهير المجتمع الجزائري من آثارها، ودعيا الشعب الجزائري إلى العودة إلى مصادر الهداية الصحيحة(الكتاب والسنة) وسيرة السلف الصالح.

ثم انتقلا إلى الجبهة الخارجية؛ والمتمثلة في الاستعمار وذلك بالقيام بفضح أهدافه الخفية الرامية إلى السيطرة على الوطن والاستيلاء على خيراته الحسان، وتوعية الشعب بدوره ومهمته تجاه وطنه الجزائر. وقد أرجع ابن باديس سبب تحكم الاستعماريين في سير الشعب الجزائري إلى تخلفهم وضعف حظهم من العلم الذي نتج عنه ضعف في التدين وهزال

---

[1] - محمد زرمان: جمعية العلماء الخطاب والقراءة(الأردن: دار الإعلام، ط1، 2006م)، ص(131).

علاقتهم بالكتاب والسنة، حيث نظر ابن باديس إلى الواقع بعين المتبصر؛ فوجد حظ الأمة من التدين ضعيفاً، وأن علاقتها بالقرآن والسنة هزيلة لا تتعدى التلاوة والقراءة على الأموات، وذلك بعد أن احتك بمختلف شرائح المجتمع واطلع على ظروف الشعب وهمومه ودرس تاريخ الجزائر وشعبه"وخلفت من بعدهم خلوف اتخذوه حرفة وتجارة وجاءوا بقراءته على الأموات بوجوه من البشاعة والمهانة والحقارة، فأذلوا أنفسهم وأذلوا رسم حامل القرآن بقبح أعمالهم، فأذلهم الله"[1].

أما علاقتها بالسنة فهي لا تختلف عن علاقتها بالقرآن"فكتبها مجهولة ومهجورة، ولا يسمع الناس إلاَّ صحيح البخاري عند احتباس الغيث؟ نعم وما أكثر ما تجد في أيدي العامة وأشباه العامة الضعيف والموضوع، المأخوذ من كتب القصص والمناقب والحكايات"[2].

ويحكي لنا رابح تركي عن يومياته التي مزجت بين التدريس والصحافة والسياسة فقال"بعد صلاة الفجر مباشرة يبدأ دروسه في التفسير والحديث، والأدب، والبلاغة، والحضارة الإسلامية، ويستمر في العمل إلى غاية الزوال، ثم يستأنف عمله من جديد بعد الظهيرة ويستمر فيه إلى ما قبل صلاة المغرب بقليل، وبعد صلاة المغرب يستأنف التدريس حتى صلاة العشاء حيث ينتهي عمله في التعليم. وبعد صلاة العشاء وتناول طعام العشاء، يذهب إلى إدارة الشهاب حيث يعكف هناك على كتابة المقالات والدراسات، التي سوف ينشرها في المجلة كما يقوم بنفسه بالرد على قراء المجلة أو على كبار الشخصيات في العالم العربي والإسلامي الذين كانوا على صلة قوية به، ويمضي في هذا العمل معظم الليل ومع ذلك فعندما يؤذن المؤذن لصلاة الصبح يكون الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقدمة الصفوف مع المصلين كما يروي تلاميذه وعارفوه والذين عاشروه"[3].

وكذلك بالنسبة للإبراهيمي الذي مثَّل دور الطبيب؛ جرَّب ودرس هذه الأمة مصنفاً

[1] -ابن باديس: الشهاب، ج(1)، مج(13)، محرم 1356هـ/ مارس 1937م.

[2] - ابن باديس: "أعمالنا وآمالنا"(الشهاب، العدد(32)، 11 ذي الحجة 1344هـ/ 24 جوان 1926م).

[3] - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ص(171).

عللها وأدواءها ومعيناً علاجها حيث قال فأزعم أنني جربت ودرست، وأنني قرأت هذه الأمة كما أقرأ الكتاب وأفهمه، وما ببعيد ولا كثير على من خدم أمة ولابسها عشرات السنين معلماً ومدرساً واعظاً خطيباً، محاضراً ينتزع مواضيع محاضراته من وجوه الجمهور قبل أعمالهم، وقد خرجت من هذه الدراسة الطويلة بنتائج جليلة يجب أن تدون وأن تكون دستوراً للعاملين"[1].

وقد أوصى من يجيء بعده ممن يريد ويحب أن يصلح مما اعوج من أخلاق وسلوكات فقال"من أراد أن يخدم هذه الأمة فليقرأها كما يقرأ الكتاب، وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية. فإذا استقام له ذلك، استقام له العمل وأمن الخطأ فيه، وضمن النجاح والتمام له. فإن تصدى لأي عمل يمس الأمة من غير درس لاتجاهها ولا معرفة بدرجة استعدادها كان حظه الفشل[2].

وبهذا، يكون ابن باديس والإبراهيمي قد أسهما إلى حد كبير في إصلاح الوضع بالجزائر بفضل المعارف والعلوم التاريخية والاجتماعية والنفسية التي اجتمعت لهما وممارستهما لها نظرياً وميدانياً؛ مما ساعدهما على استقراء الواقع المعيش وبالتالي إصلاحه وتحويله إلى الأحسن بأساليب تناسب الوضع القائم فنظرا في أمراضه، وكشفا عن أسبابها وحددوها، وأبانا نوعها ولم يتسترا على أخطائه، ولم يسكتا عن مراجعتها وحددا وسائل العلاج على ما تقتضيه الأحوال العامة لا كما تقتضيه أنظارهما الخاصة وكانا على صلة تامة بالواقع، ودراية كاملة بحال المجتمع الجزائري المتفكك بنيانه.

---

[1]-2 - الإبراهيمي: عيون البصائر، ص(224).

رابعاً: الانفتـــــــــــــــاحية: يترع الإنسان عادة وبحكم طبيعته الاجتماعية إلى التطلع إلى ما عند الغير، والتي يستدعي الاختلاط بالآخرين والاحتكاك بهم، والتفاعل مع منجزاهم الحضارية الإيجابية. ويحتاج إليهم ويعاشرهم ويتعايش، ويتواصل ويتبـــادل معهـــم المعارف والأفكار التي لا تنمو ولا تتطور؛ إلاَّ بالتواصل مع الآخر سواء كانوا مـــسلمين أم مسيحيين أم وثنيين أم ملحدين. هذه الصفة -الانفتاح -؛ ميزة فطرية جبل عليها الإنـــسان، وضرورة معرفية، وحتمية اجتماعية دعا إليها المولى تعالى في كتابه للسير في الأرض والنظـــر في حال الأمم السابقة ودراسة أحوالهم والانتفاع من علوم الحضارات الأخرى والإفادة مـــن مكاسب العلوم والصناعات والأنظمة ذات البعد العلمي التقني.

عرّف الأستاذ **محمد زرمان الانفتاح الحضاري** بقوله:"ونعني به الاستفادة من المعطيات الحضارية الغربية الجديدة باقتباس علوم الطبيعة وعلوم التمدن المدني والعملي مثـــل: علـــوم الزراعة والحيوان، وعلوم الصناعات والحرف والتجارة، وعلوم الطب والصيدلة، ووســـائل الاتصال والمواصلات، وعلوم طبقات الأرض وأنواعها ومعادنها، والرياضـــيات والكيميـــاء والفيزياء والفلك، وعلم الجغرافيا والبحار والملاحة، وما إلى ذلك من المعارف الـــتي تتـــصل بعلوم المادة وظواهرها"[1].

ثم إن الانفتاح الحضاري على ثقافة الآخر والانخـــراط في المـــسيرة العالميـــة، لا يعـــني الانسلاخ عن الهوية والسقوط في مهاوي المادية والذوبان في تعاليمها ذات الاتجاه الحـــسي المادي والانفلات عن قيم ديننا الحنيف؛ وبالتالي التنكر لمبادئنا والعبـــث بأصـــولنا وثوابتنـــا والاتباع الأعمى للغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع؛ بل نعني بها قراءة أفكاره قـــراءة نقديـــة تمحيصية، والاستفادة من إنجازاته العلمية المادية والتكنولوجية باعتبارها مـــشتركاً إنـــسانياً عاماً.

[1] - محمد زرمان: الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الفكر الإسلامي الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة - معهد الدعوة وأصول الدِّين، ص(124).

وقد جاء في الأثر، أن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب(الخندق) الواقعة في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة[1] قد عمل بخطة الصحابي الجليل سلمان الفارسي الذي أشار عليه وعلى أصحابه الكرام بحفر الخندق لمحاصرة المدينة المكشوفة على المشركين المقاتلين من قبيلة قريش، وغطفان، وبني فرازة،...، والذي بلغ عددهم أربعة وعشرين ألف مقاتل تحت قيادة أبي سفيان وعيينة بن حصن[2] . وهي وسيلة حرب جديدة على العرب لم تعهدها من قبل في حروبها، كان الفرس يستخدمونها في القتال، حيث قال رضي الله عنه يومها للنبي صلى الله عليه وسلم:"إنَّا كنَّا بأرض فارس إذا حوصرنا تخندقنا علينا". وقد لاقت إعجاباً من طرف النبي والصحابة الكرام، ووفقوا يومها في صد الأحزاب،كان لهم النصر. وقال النبي صلى الله عليه وسلم:"الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها"[3].

كما وردت روايات كثيرة من التراث الإسلامي الشريف تحث الإنسان على طلب الحكمة من الآخرين والتزود من علومهم ومعارفهم؛ منها ما ورد عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها). وكذلك قال رضي الله عنه: (خذ الحكمة ممن أتاك بها وانظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال). وعن المسيح عيسى عليه السلام: (خذوا الحق من أهل الباطل ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق، كونوا نقاد الكلام). وقال الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه: (علّم الناس وتعلّم علم غيرك فتكون قد أتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم).

إن الانفتاح السلبي الاستهلاكي غير المتوازن، القائم على التلقي واستيراد النماذج الجاهزة، وقبول كل ما يلقيه الآخر إلينا من وراء البحار من ضار فاسد، واستنساخ كل مظاهر الترقي الغربي، واقتباس تجارب الآخر دون وجود خطة منهجية محكمة يتم من خلالها مراجعة ونقد وتمحيص دقيق قد جلب علينا مآسي جمة كمأساة الإعلام؛ المعول

---

[1] - ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: جُودة محمَّد جُودة(القاهرة: دار ابن الهيثم، ط(1)، 2006م، ج(3)،ص(103).

[2] - خالد محمد خالد: رجال حول الرسول(بيروت: دار الفكر)، ص(45).

[3] - رواه الترمذي، كتاب: العلم عن رسول الله، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم العبادة، رقم الحديث: 3119.

الهدّام والساقط المسموم الذي دخل بيوتنا بدون استئذان؛ ففرَّق الأسر وحطَّم العلاقات الاجتماعية، وأخذ بعقول وأبصار أكثرية شبابنا، وهوى بهم إلى الانحراف والتحلل والميوعة والذوبان والتلاشي بسبب ما يبثه من أفكار قبورية شركية، وصور الخلاعة والإباحية وقنوات فضائية مفسدة تافهة وعاهرة مثل قناة **"روتانا"** التي تبث الفيديو كليبات، وتأثير الإنترنيت وغرف المحادثة التي تستهلك الوقت والجهد؛ أدت إلى انتشار الفواحش بكل أشكالها، وإلى ارتفاع عدد الذين يتعاطون المخدرات والتدخين، وتزايد نسبة العنوسة والبطالة، وتفشي أمراض مزمنة كالإيذز والزهري والأمراض النفسية والعصبية والعقلية. وأضحينا نستورد ونستهلك منتجات تنعدم فيها المبادئ الخلقية بانبهار غشى أبصارنا، وإعجاب تكنولوجيا مجردة من الاعتبارات القيمية الأخلاقية . وما جرته هذه التبعية من انعكاسات سلبية على مستوى الكرة الأرضية من تفاقم ظاهرة الاحتباس الحراري والتلوث.

دخلوا جحر ضب فاتبعناهم وقبلنا أن نرتمي في أحضان الحضارة الشيئية المادية والنفعية العرجاء المنسلخة عن الدِّين التي تقوم على ساق واحدة -المادة - ولا تعتد إلاَّ بالتقدم المادي وحده التي"ازدهرت ببريق من مغريات النفس والجسد، وبقبس من العلم والإبداع"[1] والتي تشكو الخواء الروحي فهي أشبه بـ"جسم فيل بروح نملة!"[2]. حدث ذلك بعد أن كنا أمة قوية متماسكة عزيزة الجانب تؤثر عظائم الأمور التي تحتاج إلى همة وعزم وجهاد نفس مرير، أما اليوم فنرى العكس أمة ضعيفة مرتخاة القوة آخذة في التدهور والانحلال، ميَّالة إلى كل ما يغري النفس من ألوان الترف لسهولة الحصول عليه دون أدنى تعب.

ومن الأقلام العربية المروجة للفكر الغربي والثائرة على اللغة العربية **قاسم أمين، أحمد لطفي السيد، عبد العزيز فهمي، سلامة موسى** الذين دعوا إلى اقتفاء آثار الحضارة الغربية المادية، خيرها وشرها حلوها ومرها. وكان فد دعا أحد المتأثرين بالفكر الغربي إلى استبدال

---

[1] - محمد سعيد رمضان البوطي: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن(لبنان: دار الفكر المعاصر، ط(4)، 1421هـ/ 2000م)، ص(149).

[2] - يوسف القرضاوي: هل حققت الحضارة الغربية السعادة؟ www.islamonline.net/arabic/contemporary/2002/04/article2.shtml

العامية أو الدارجة باللغة العربية، وإلغاء الإعراب وقواعد النحو، وإدخال الألفاظ الأجنبية ورفض التعريب، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية[1].

شهد ضد هذه الحضارة المادية الغير متوازنة والتي لا يمكن إنقاذها إلاَّ بالدين **آرلوند توبي**، و**كولن ولسون** في كتابه**"سقوط الحضارة"** و**الكاتب الروماني كونستانتان جورجيو** ، والدكتور الفرنسي **ألكسيس كاريل** في كتابه **"الإنسان ذلك المجهول"** "أما الحضارة الغربية فقد أغفلت جانب مراقبة الله؛ فالحرية عندها بديل عن الدين، والعقل بديل عن الله، والحرية لها حدود نسبية يتفق عليها البشر، وبالتالي تستطيع أن توسعه أو تضيقه كما فعلوا في بلاد السويد عندما أباحوا كل شيء؛ ولذلك فهم الآن يعانون الأمرين من ذلك بعد ارتفاع معدلات الجريمة والانتحار بنسب مخيفة، وهذا ما يؤكد علة أن الإنسان لم يخلق كي يضع لنفسه دينًا باسم الحرية"[2] .

لا الانغلاق على الذات الذي يخالف الفطرة ويعادي الحضارة الغالبة، والانعزال والانزواء غير المشروع؛ الذي يقضي على القواسم المشتركة الجامعة بين المسلم والمسيحي والوثني والملحد، ويعمل على تعطيل الإبداع والإنتاج والعيش في جزر منعزلة بعيدة عن العالم بسبب الجهل. مثلما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته للمشركين -أتباع الأهواء الشخصية - للإسلام، كانوا دائماً يرفضون الحوار معه لأنهم أناس عاجزين، لايقوون على مواجهة صاحب الحجة الدامغة منغلقين على أنفسهم، لا يملكون العلم الذي يحاجونه به مما يأخدون برميه بالسحر والجنون[3].

---

[1] - حسن حسن سليمان: الشباب المسلم والحضارة الغربية(دار الشروق، د.ط، د. ت)، ص(94 -95).

[2] - عبد الحليم عويس: الإسلام طوق النجاة للأمة في كل مراحلها التاريخية.

www.shareah.com/index.php?/records/view/action/view/id/507/47- k

[3] - مرتضى معاش: الإنفتاح والتواصل .. ومنحنيات الإصلاح والتجديد=

ذهبت أغلب تجارب النهوض الإسلامي في عمومها إلى الحث على ضرورة الإفادة من رقي الوافد الغربي، ووجوب الأخذ بالتمدن الأوروبي وتمريره على مصفاة الدِّين. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: جمال الدِّين الأفغاني ومحمد عبده اللذان اشترطا استجلاب العلوم والصناعات الغربية في إطار التربية الدينية. قال محمد عبده:" بإمكان المسلمين أن يلحقوا بركب التقدم الأوروبي، إذا ما انطلق الفكر الإسلامي من عقاله، بممارسة التفكير العقلي وتبني العلوم الأوروبية، وهي العلوم التي أسهم فيها المسلمون أنفسهم، فمن الخير إذن، كما رأى بعض معاصريه، اقتباس عناصر الحضارة الغربية لتتيح للمسلمين استعادة مكانتهم"[1].

وأبو الأعلى **المودودي**، الذي حثَّ على ضرورة تحصيل العلوم الكونية وأوجب على المسلمين"أن ينفروا إلى أقطار الغرب ليتفقهوا في العلوم التي نهضت على أساسها هذه الحضارة، كما كان عليهم أن يستعملوا قوّة فكرهم واجتهادهم فيأخذوا من الغرب تلك الاكتشافات العلمية، والمناهج العملية التي تقدمت بفضلها الأمم الغربية في سبيل الرقي، ويركبوا تلك الأجزاء الحديثة في مكان النظام التعليمي والحياة المدنية عند المسلمين ضمن مبادئ الإسلام بصفة تتلافى بها الخسارة العظيمة التي قد تنالهم من الجمود المستمر على القرون"[2].

وكذا **حسن البنَّا**، الذي دعا إلى وجوب الانتفاع بالعلوم والصناعات الغربية والتفاعل معها عبر منهج يضمن به تحصيل المنفعة ويدرأ الوقوع في المفسدة، حيث يقول:"فإذا كان الإسلام يدعو إلى أن نأخذ من كل شيء أحسنه، وينادي بأن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها، ولا يمنع أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أي مكان، فليس هناك ما

www.annabaa.org/nba56/index.htm55 - k=

[1] - جمال المرزوقي: دراسات نقدية في الفكر الإسلامي(مصر: دار الآفاق، ط(1)،1421هـ/2001م)، ص(133)، نقلاً عن مجيد خوري: الاتجاهات السياسية في العالم العربي، دور الأفكار والمثل العليا في السياسة(بيروت: الدار المتحدة للنشر، ط-د،1972م)، ص(77).

[2] - أبي الأعلى المودودي: نحن والحضارة الغربية، ص(47).

يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع مفيد عن غيرنا، ونطبّقه وفق قواعد ديننا ونظـــام حياتنـــا وحاجات شعبنا"[1].

ومن العلماء الجزائريين **ابن العنابي** المعاصـــر للغـــزو الفرنـــسي وصـــاحب المُؤَلَـــف القيم"**السعي المحمود في تأليف الجنود**" الذي دعا فيه إلى الانفتاح على الحضارة الأوروبيـــة لأخذ الجديد فيها من العلوم والفنون العصرية، وهو الذي أوحى إلى محمد علي باشا بالدعوة إلى الانفتاح على الحضارة الغربية[2].

إلى جانب هؤلاء المصلحين وغيرهم، ما لبث ابن باديس أن سار مـــسارهم بدعوتـــه الأمة الجزائرية إلى الأخذ بأسباب الحياة الراقية من الحضارة الغربية والتفـــتح علـــى علـــوم وصنائع المدنية الحديثة والاستفادة من خبراتها عن بصيرة ودون العدول عن أصولنا وثوابتنـــا السامية، حيث حث القراء أن يسايروا التقدم العلمي والتكنولوجي ويأخذوا بكل مـــا هـــو نافع يساهم في خدمة البشرية، ويحذرهم من الافتتان بمغرياتها المادية وتقليدهم في معائبـــهم ومفاسدهم التي تؤدي بهم في النهاية إلى التنصل من شخصيتهم والتنكر لتـــاريخهم العريـــق فقال:"هاك ما إن تمسكت به كنت إنسان المدنية ورجل السياسة وسيداً حقيقياً يرمق مـــن كل أحد بعين الاحترام والعظمة...حافظ على صحتك فهي أساس سعادتك وشرط قيامك بالأعمال النافعة لنفسك ولغيرك...نظف بدنك نظف ثوبك تبعـــث الخفـــة والنـــشاط في نفسك...احذر كل متعلم يزهدك في علم من العلوم فإن من العلوم كلها أثمـــرت العقـــول لخدمة الإنسانية ودعا إليها القرآن في الآيات الصريحة...كن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق المعاشرة والتعامـــل. كـــن عـــصرياً في فكـــرك وتجارتك وفي صناعتك وفي فلاحتك وفي تمدنك ورقيك...احذر من التوحش...احذر مـــن التعصب الجنسي فإنه أكثر علامة من علامات الهمجية والانحطاط. كن أخاً إنـــسانيا لكـــل

---

[1] - حسن البنا: مجموع الرسائل، ص(240-241).

[2] - أحمد بن نعمان: كيف صارت الجزائر مسلمة عربية(الجزائر: دار البعث، 1401هــ-1981م)، ص(71-72).

جنس من أجناس البشر"[1].

وهو نفسه ما حض عليه الإبراهيمي الأمة الجزائرية من ضرورة الاستفادة من الصالح النافع؛ من علم وقوة باعتباره تراث إنساني لا شرقي ولا غربي، متداول يستفيد منه الجميع وترثه أمة عن أخرى فتزيد وتنقص فيه حسب ما يستلزم احتياجاتها ويتلون بلون زمانها، والاحتراس من توافه ورذائل الأمور:"ذلك أن التفاعل الحضاري يجب أن يصحبه وعي تام بضرورة الاستفادة من الصالح النافع الذي يغذي الجسم الإسلامي بما ينميه ويحفظه، مما يستلزم بالضرورة طرح الفاسد الضار الذي يحمل جراثيم المرض إلى كيان الأمة. "[2].

كما حث الشباب على ضرورة مسايرة روح العصر في حدود الشرع"إن عصركم بطل، فمن البر به أن تكونوا أبطالاً، وإن جيلكم سماوي التشوف، فلا تخلدوا إلى الأرض، وإن حاضركم جديد فلا تكونوا منه في موضع الرقعة البالية، وإن الحياة حسناء، مهرها الأعمال العامرة فلا تسوقوا لها الأقوال الجوفاء، وإن دينكم ينهاكم أن تأخذوا الأمور بالضعف والهوينا، فخذوها بالقوة والغلاب"[3].

ولعل المطبعة التي استعملتها جمعية العلماء لطباعة منتوجها الفكري التي كان لها الفضل في إيصال فكر الجمعية الدعوي، وعلى الأخص المبحوثان إلى أقاصي بلاد الشرق والمغرب العربيين؛ مظهر من مظاهر الاستفادة من الرقي الحضاري كالمطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، التي أنشأها الشيخ عبد الحميد بن باديس وطبعت قائمة من الصحف والمجلات كالمنتقد والشهاب، والبصائر وجرائد أخرى لبقية أعضاء الجمعية وكذا الكتب والبطاقات والدعوات ونحوها. وساهمت مساهمة كبيرة في بناء النهضة ويسرت للشيخين نشر دعوتهما؛ حيث أشاد الإبراهيمي بدورها الإيجابي في نشر الخير فقال:"المطبعة هي الغرة الشادخة في مخترعات هذا العصر وعجائبه، بل هي أشرف المخترعات قدراً وأوسعها أثراً، يستغني عن

---

[1] - ابن باديس: الشهاب، العدد(49)، السنة (15) صفر 1345هـ/ 23 أوت 1926م.

[2] - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ج(1)، ص(260-261).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص(462).

غيرها في بعض الأوقات وعند طوائف من الناس، ولا يستغنى عنها في وقت من الأوقـات، ولا حالة من الحالات، ولا عند أحد من الناس، فإذا قورنت بالمدفع في عموم النفـع بزّتـه، لأن المدفع أداة حرب، والحرب دمار، والمطبعة أداة علم، والعلم عمار، ولولا المطبعـة مـا ارتقى علم ولا فن ولا صناعة ولا تجارة ولا عمران، ولولا المطبعة ما تم للنهضات العقليـة والفكرية والفنية تمام، ولولا المطبعة لما أحيا الخلف مآثر السلف فوصلوا بها حلقات التـاريخ العلمي"[1].

وعدَّ سر تأخر المسلمين وذلهم وانحطاطهم حتى أصبحوا دون الأمم لـيس راجـع إلى ضعف إيمانهم وإنما بإهمالهم الأخذ بقانون الأسباب المفضي للتقدم الذي يؤيد المؤمن والكافر، بدليل قوله تعالى:[**كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**][الإسراء/**20**]"فإنه لم يكن تأخرهم لإيمانهم، بل بترك الأخذ بالأسباب الذي هو مـن ضعف إيمانهم. و لم يتقدم غيرهم بعدم إيمانهم بل بأخذهم بأسباب التقدم في الحياة"[2].

وعاب على الحضارة الغربية السائدة والمسيطرة على الأرض أنها هشة البنيـان. وهـي حضارة مادية في نهجها وغايتها ونتائجها، ناقصة، آيلة للزوال يوماً ما،وذلك لغياب سـياج الإيمان، الجدار الحديدي الذي يقيها ويحميها من التردي، ويضبطها ويقوّم اعوجاجها. فهـي مدنية لا تفهم إلاَّ لغة الظفر والناب؛ فالرحمة والعدل والإحسان وكل المعاني الـسامية الـتي يعتز بها الإسلام تكاد لا تجد لها أثراً في قانونها فالقوي عندها هو السائد والـضعيف هـو المسود. كما حذَّر العالم الإسلامي من الانبهار والاغترار بها:"ولكن فات القوم أن يحـصنوا هذه المدنية الزاخرة بسياج الإيمان، والشكر، والفضيلة، والعدل - وكل مدنيـة لم تحـصن بهؤلاء فمصيرها إلى الخراب. والناس من قديم مفتونون بعظمة المظاهر، يحسبون أنها خالـدة بعظمتها باقية بذاتها؛ فالقرآن يذكر لنا كثيراً من مصائر الأمم، حتى لا نغتر بمظاهرها، وحتى

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)، ص(324).

[2] - تفسير ابن باديس، ص(82).

نعلم أن سنة الله لا تتخلف في الآخرين، كما لم تتخلف في الأولين"[1].

كما وجَّه الإبراهيمي سهام اللوم والعتاب إلى أنصار التغريب في العالم الإسلامي وأبدى موقفاً صريحاً يوحي برفضه التام لألعابيهم:"وهم يعتقدون:"أنه لا نجاة للمسلمين إلاَّ بالانسلاخ عن ماضيهم ودينهم، والانغماس في الحضارة الغربية ومقتضياتها من غير ولا تحفظ... وأن عصارة رأيهم في علاج حالة المسلمين تترجم بجملة واحدة: هي أن النجاة في الغرق"[2].

تمسك المسلمون الأوائل بالدستور الرباني(القرآن والسنة) فعمَّروا الأرض خير تعمير، فساد الحكم الراشد، سادت الأخلاق الفاضلة، وأضاء النور الإلهي أرجاء المعمورة:"فنهض العرب به -القرآن- وبلسانهم الذي نزل به وأنهضوا الأمم معهم، تلك النهضة التي زلزلت العالم الروحي والعقلي فأذهبت مخارقه، وثبتت حقائقه، وزلزلت العالم المادي فذهبت بطغيانه وشروره ورذائله، وأقرته على التشريع العادل، والمعاملة الرحيمة. ثم لاءمت بين الروح والمادة بمعاني التوسط والاعتدال البادية في عقائد الإسلام وآدابه وأحكامه، وجاءت بالمعجزة الكونية الكبرى في تحقيق الحلم الإنساني بتلك الملائمة، وهي أمنية عجزت عن تحقيقها كل تعاليم الأرض، و لم تف بها تعاليم السماء قبل الإسلام، لحكمة وأمر قد قدر"[3].

ومن العلوم الكونية التي برع فيها المسلمون وكان لهم فيها قدم السبق: علم الكيمياء العالم المشهور في علم الكيمياء **محمد بن زكريا الرازي**، علم الفلك تمثل في **ابن خرداذية**: توفي سنة(300هـ/912م)، قال في كتابه"**المسالك والممالك**"[إن الأرض مدورة كتدوير الكرة، موضوعة في جوف الفلك كالمحة في جوف البيضة]. وإلى مثل هذا مال **ابن رستة**، **أبو عبيدة مسلم البلنسي(ق10م)**، وأبو **الفداء"عماد الدين أيوب"** المتوفى 1331م **والمسعودي، والإدريسي** والعلوم الرياضية التي اشتهر فيها **الخوارزمي**، و**نصير الدين**

---

1 - تفسير ابن باديس، ص(681).

2 - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج(4)، ص(223).

3 - عبد الحميد بن باديس: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص(696).

الطوسي، و**ثابت بن قرة**، الذين بفضلهم تقدمت بحوث الهندسة والمساحة والطبيعة. علم الصيدلة، علم النبات، علم الطبيعة[1] **أبو السمح** واضع الجبر قبل أكثر من ألف عام **جابر بن حيَّان**(200هـ -805م) مكتشف حامض الآزوت، **أبو بكر الرازي**(646 -329هـ -860 -940م) مكتشف حامض الكبريت[2].

كما انفتح أسلافنا على علوم الحضارات القديمة اليونانية منها والفارسية والهندية؛ فاستفادوا من معارفهم وآدابهم فأخذوا ما يتلاءم وينسجم مع البيئة العربية المسلمة ونقلوها إلينا بلسان عربي مبين، بعد أن اجتهدوا في تصحيح أغلاطها وعللها وكشف أوهامها وصححوا النظريات ومحصوا وميزوا وانتقدوا انتقاداً علمياً وأصبحوا يتمتعون باستقلال ذاتي في العلم؛ لأن ديننا الحنيف أرشدنا إلى الإطلاع على تجارب الآخرين ودراسة مدنياتهم واقتباس النافع منها وذلك على مر العصور:"إن إرشاد الإسلام للمسلمين بأخذ الصالح النافع أينما وجد هو الذي دفعهم بعد تمكين سلطانهم وتمهد ملكهم إلى البحث عن الآثار العقلية للأمم التي سبقتهم فاطلعوا على ما أنتجت قرائح يونان وفارس والهند في العلم والآداب فنقلوها إلى لغة القرآن ووجدوا فيها خير معين على ذلك"[3].

وقد قامت الحضارة الغربية بعد انفتاحها على الحضارة الإسلامية، حيث"إن كثيراً من العلوم التي بنيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلاَّ عن طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين منا ومنهم، وإن المنصفين منهم ليعترفون للغة العربية بهذا الفضل على العلم والمدنية...وإنهم يحمدون للدهر أن هيأ لهم مجاورة المسلمين بالأندلس وصقلية وشمال إفريقيا وثغور الشام حتى أخذوا عنهم ما أخذوا واقتبسوا عنهم ما اقتبسوا..."[4]. وقد أطلق الكاتب الفرنسي **ماكس فانتاجوي** على الحضارة الإسلامية اسم المعجزة العربية وهي على حد قوله المعجزة

---

[1] - حسن رمضان فحلة: مقومات الحضارة والإنسانية في الإسلام(الجزائر: دار الهدى، ط(1)، 1410هـ/1989)، ص(205 -209). بتصرف.

[2] - محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي(مصر: دار الشروق، ط(1)، 1411هـ -1991م)، ص(322).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج(1)، ص(260).

[4] - المصدر نفسه، ج(1)، ص(261).

التي حقق فيها العرب المزج بين المعارف اليونانية والهندوكية واكتشفوا خصوبة الجبر، وروعة الحساب، وفائدة الكيمياء[1].

وعن فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية يشهد بذلك الأستاذ **ليبري** بقوله:"لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون". كما نقل إلينا عن صاحب كتاب**"تكوين الإنسانية" بريفولت** أن:"العلم هو أعظم ما قدمت الحضارة العربية إلى العالم الحديث، ومع أنه لا توجد ناحية واحدة من نواحي النمو الأوروبي، إلاّ ويلحظ فيها أثر الثقافة الإسلامية النافذ، إلاّ أن أعظم أثر وأخطره هو ذلك الذي أوجد القوة التي تؤلف العامل البارز الدائم في العالم الحديث، والمصدر الأعلى لانتصاره أعني العلم الطبيعي، والروح العلمية، وهذه الحقائق مؤداها أن الإسلام دين بناء حضاري"[2].

لم تسنح الفرصة لابن باديس والإبراهيمي للإحاطة بهذا الغرب والتوغل في فكره؛ تاريخه واتجاهاته ومدارسه، نظراً لضيق الوقت وانشغالهما بالتعليم والوعظ والتوعية والتربية. إلى جانب جهلهما للغات الأجنبية والفرنسية على الخصوص باعتبارها اللغة الرسمية الثانية بعد العربية عند الجزائريين طبعاً. وكانت **جريدة الشروق اليومي** قد أجرت لقاء مع **عبد الحق بن باديس** الشقيق الأصغر للشيخ عبد الحميد فسألته إذا ما كان عبد الحميد ابن باديس يتقن الفرنسية؟ فكان رده كما يلي:" ما أذكره أنه لم يدرسها أبداً، البطاقة البريدية التي مازلت أحتفظ بها من إرسالية من الإسكندرية كتبها بالعربية. أما اسم الوالد وعنوان البيت واسم المدينة والبلاد كتبها بالفرنسية بخط يده، وكان في جمعية العلماء الأمين العمودي الوحيد المزدوج اللغة، المؤكد أن الشيخ كان معرباً"[3]. ونفس الشيء حدث مع الإبراهيمي الذي كان يجهل اللغات الأجنبية فقال مؤكداً ذلك:"وأنا لاحظ لي في شيء من

[1] - حسن رمضان فحلة: مقومات الحضارة والإنسانية في الإسلام، ص(204).

[2] - المرجع نفسه، ص(212)..

[3] - ناصر: شقيق ابن باديس يكشف لـ الشروق أسرار الإمام الخاصة جداً: طبائعه، عبادته، دروسه، قصة مقتل ابنه وعلاقته باليهود، جريدة الشروق اليومي(الأربعاء 10 شبتمبر 2008 / الموافق لـ10 رمضان 1429هـ/ العدد 2401).

هذه اللغات، ولم يفتق الله لساني إلاّ بالعربية"[1] التي تسهل لهما الرجوع إلى أمهات الكتب التي تعرفهما بحقيقة الفكر الغربي.

بهذا النظر الواعي المعمق لابن باديس والإبراهيمي اللذان وقفا من الحضارة الغربية موقف الناقد والمحلل والكاشف لإيجابيات من تقدم علمي وعمراني، وسلبيات من معائب ومفاسد الحضارة الغربية التي تزدريها الحضارة الإسلامية التي اقتبسوا منها العلوم والصنائع واستفادوا من خبرات علماءها فأخذوا عنهم مفاتيح العلوم. وأجازوا مخالطتهم بتمام تبصر لخدمة أنفسهم وأمتهم إلى جانب الانتفاع بإيجابيات التراث الإسلامي؛ أي المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة.

كما يمكننا أن ندرج خاصية أخرى تميز بها خطاب الشخصيتين الدعوي وهي ميزة **الشمولية.** هذه السمة التي جعلت الخطاب الدعوي يستوعب شؤون الدنيا والآخرة، ويتسع لكل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية...فلم يؤثر جانب على آخر؛ لأن الإسلام نظام شامل"فجاء دعوة أخلاق وسلوك وآداب، كما هو دعوة عبادة وذكر وجهاد، كما أنه دعوة صدق وزهد وتوكل وإخلاص، كما كان دعوة توحيد في الاعتقاد والتعبد والتوجه، وهو دعوة علم وعمل، ودعوة معاملات مدنية، وعلاقات اجتماعية وسياسية ودولية. إذن دعوة الإسلام دعوة إلى كل ما يحيي البشر ويسعدهم"[2]. وهي ميزة لم تتهيأ لغيره من الديانات من قبل ومن بعد.

يخاطب كل الأجيال مهما اختلفت مواهبهم وطاقاتهم الروحية والعقلية؛ الداعي بالقلم والبيان، والداعي بالسيف والسنان، ورجل الأعمال، والمحاسب، والفقير، والغني، والضعيف،

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط(1)، 1997)، مج(4)، ج(4)(1952 - 1954)، ص(40).

[2] -عبد الله الزبير عبد الرحمان: دعوة الجماهير مكونات الخطاب...ووسائل التسديد(قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلسلة كتب الأمة، العدد(76)، د. ت).
http://www.islamweb.net.qa/ver2/library/ummah_Book.php?lang=A&BookId=276&CatId=201

والقوي، والصحيح، والسقيم. لا يفرق بين شعب وشعب أو بين جنس وجنس؛ فهو"لا يفرق بين عربيهم وغيره، أبيضهم وأسودهم، ماضيهم وحاضرهم، رجلهم وامرأتهم، كبيرهم وصغيرهم، شريفهم ووضيعهم.."[1] فهو خطاب عالمي يستغرق"كل من كان فيه وظائف واستعدادات التمكين والتفكير والاختيار والتصرف"[2]؛ حيث يَسْتوعِب جميعهم فلم ينحجر على فئة دون أخرى. فقد توجه للناس:[**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**][**الحجرات/الآية13**]، [**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**][**الأعراف/31**]، وخاطب أهل الكتب السماوية:[**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ**][آل عمران/ **64**]، وخاطب الأهل والعشيرة:[**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**][**الشعراء/ 214**].

ويستوعب كل الأزمنة والأمكنة، لم ينغلق على منطقة دون أخرى؛ فهو خطاب صالح لكل مكان لا يعرف الحدود العرقية أو العصبية. وفي حديث أحمد يقول النبي صلى الله عليه وسلم:(ليبلُغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترُكُ اللهُ بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)[3].

وعليه، فالخطاب الدعوي غير محدد بعصر ولا مكان ولا جيل، يخاطب كافة الملل والنحل والمذاهب، يهتم بكل ميادين النشاط البشري، ولا يقبل التجزئة أو التبعيض. وأنكر على الذين يقيمون طرفاً من الدِّين ويطبقون جزء دون جزء مع إغفال بقية الجوانب؛ حيث يقول تعالى:[**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**][**الحج/11**]. الوحي قرآنا وحديثا خطاب عام للناس كافة. ومرجع هذا العموم أن الإسلام دين البشرية جمعاء:[**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**][**سبأ/28**]، وقوله:[**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**][**الأعراف/158**].

---

[1] - الإسلام دعوة عالمية شبكة التربية الإسلامية الشاملة:

jid3.medharweb.net/modules.php?name=News&file=article&sid=22926 - k

-

[2] - عبد الله الزبير عبد الرحمان: دعوة الجماهير مكونات الخطاب...ووسائل التسديد.

[3] - رواه أحمد، كتاب: مسند الشاميين، باب: حديث تميم الداري، رقم الحديث: 16344.

هذه الخصيصة تميزت بها دعوة كل من ابن باديس والإبراهيمي، التي عُنيت بالجانب الديني(تجديد العقيدة، الاجتهاد والتقليد)، والجانب الاجتماعي(قضية المرأة، الشباب)، والجانب التربوي والثقافي(الأخلاق، والعلم) والجانب السياسي(الاستعمار والمسألة الفلسطينية)؛ لإيمانهما أن الأمور لا تستقيم، وأن الثمار لا تؤتي أكلها إلاَّ بشمول الإصلاح.

دعوتهما وجهت إلى جميع شرائح المجتمع باختلاف أعمارهم ومواهبهم ومستوياتهم المادية، لم تستثن طبقة أو فئة؛ الشباب في النوادي، الشيوخ والكهول في المساجد، الأطفال في المدارس، والشريحة المثقفة من العامة والخاصة التي يفتقد وجودها في النادي أو المسجد تدعى عن طريق الصحافة. وهي كذلك وجهت إلى خصومها من المرابطية، ودعاة الاندماج والتجنيس.

ومست كل نقاط ربوع الوطن وذلك من خلال الرحلات الاستطلاعية التفقدية بل تجاوزت إلى الخارج(فرنسا بالأخص). ويتحدث إلينا البشير الإبراهيمي عن يومياته فقال:"وأخرج من يومي للجولان في الإقليم الوهراني مدينة مدينة وقرية قرية، فألقي في كل مدينة درساً أو درسين في الوعظ والإرشاد، وأتفقد شعبها ومدارسها، وكانت أيام جولتي كلها أعراس عند الشعب، يتلقونني على عدة أميال من المدينة أو القرية، وينتقل بعضهم معي إلى عدة مدن وقرى..."[1]. مشاريعهما لم تستثن فئة أو مكان من أرض الجزائر، كما اتخذت الوسائل المتاحة آنذاك في عملية التغيير من صحافة، تعليم، جمعيات... مع مسايرة التطورات والتقنيات الحديثة يومها.

هكذا كان خطاب كل من ابن باديس والإبراهيمي لا يكاد يخرج عن إطار الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، يراعي ملابسات الواقع وقوانينه، يحتوي هموم المدعوين وينزلهم منازلهم، يدعوهم للانفتاح على ما لدى الغرب من علوم وتكنولوجيا وعدم تجاوز حدود الشريعة الغرَّاء.

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: أنا، ص(26).

الفصل الخامس: وسائل الخطاب الدعوي عند عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي

أولاً: المســــــــجد

ثانياً: الصحافة

ثالثاً: التعليم

رابعاً: الجمعـــــيات والنـــــوادي

تتنوع وسائل الخطاب الدعوي بين **وسائل الاتصال التفاعلي–الإنترنيت -** وما يتضمنه من: البريد الإلكتروني، منتديات الحوار، غرف الدردشة، لوحات الإعلانات الإلكترونية، والمواقع، الهاتف والجوال. **وسائل الاتصال الجماهيري: وسائل مقروءة:** الجرائد، المجلات، الكتب، الكتيبات والنشرات، النشر الإلكتروني. **وسائل مسموعة ومرئية:** الإذاعة، التلفاز(القنوات الفضائية)، السينما، الأشرطة السمعية، الأشرطة البصرية. و**المسجد كوسيلة إعلامية تقليدية.** أوجدت لتبليغ الرسالة المحمدية، وإيصال صوت الحق إلى كافة أنحاء المعمورة بشتى اللغات التي يتداولها الناس، حسب الطاقة وقدر الاستطاعة.

والمسجد، والتعليم، والصحافة المكتوبة، والنوادي والجمعيات وغيرها، استخدمها ابن باديس والإبراهيمي في إرشاد وتوعية الشعب الجزائري وتوجيهه وتثقيفه وتذكيره بدوره تجاه ربه ونفسه ووطنه. وكل شريحة من أفراده خصت بواحدة من هذه الوسائل الدعوية.

جاء هذا التوجيه والإرشاد و... و... بعد محاولات الاستدمار الجادة لمسخ الشخصية الوطنية للجزائر، بشنها حرباً ضارية على **اللغة العربية**؛ دراية منها أن الأمة التي تفقد لغتها آيلة للزوال والاندثار لا محالة لأنها هي لغة الإسلام. وعلى **الثقافة العربية الإسلامية** بمحاولة فصلها وعزلها عن العالم العربي وربطها بثقافة فرنسا وحضارتها. وعلى **الدين الإسلامي** لأن فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم. وعلى **التاريخ الوطني** وذلك بإقناع الجزائريين بأن بلادهم لم تكن لها شخصية قومية وإنما كانت دائماً خاضعة للغزو الأجنبي. وعلى **جغرافية الوطن** وذلك بمنعها تدريس جغرافية الجزائر لأبناء الجزائر قصد استبدال عاطفة الولاء للوطن الجزائري وحبه في نفوسهم بالولاء إلى الوطن الفرنسي وحبه؛ حتى يسهل عليها عملية سلخهم من شخصيتهم الوطنية وإدماجهم في كيانها العام.

وكان الشيخان قد تصديا لهذه السياسة الاستبدادية لقطع سعيها المشين، وأدركا أن السبيل الأجدى لإحباط وإفشال مخططاتها هو نشر التعليم العربي الديني ومقاومته؛ فاهتما بالدعوة إليه عن طريق **إنشاء المساجد، وبناء المدارس الحرة، وتأسيس النوادي.**

أولاً: المسجد: يعد المسجد مؤسسة تقام فيها فريضة الصلاة بأوقاتها الخمسة جماعة. قال النبي صلى الله عليه وسلم :"أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فهل يبقى على بدنه من درنه شيئا؟ قالوا: لا. قال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"[1]. ومؤسسة تربوية يتعلم فيها المسلم الأخلاق؛ فيتعلم من التواضع والمساواة والبر والالتزام بكل الواجبات والطاعات والانتهاء عن كل ما يغضب الخالق وينفر المخلوق. ومؤسسة اقتصادية يعمل فيه على جمع أموال الزكاة والتبرعات وإنفاقها على الفقراء والمحتاجين والمعوزين. وتعد مؤسسة تعليمية تعلم فيها النشء تعاليم الدِّين الإسلامي من شريعة وعقيدة وعبادة وتحفيظ القرآن للصغار. وعيادة نفسية تعمل على تهذيب الأخلاق وإشباع حاجات ورغبات النفس وفق الأطر الشرعية، وضبط انفعالات ومشاعر وعواطف الفرد والسيطرة عليها وذلك بتوجيهها الوجهة الصحيحة.

بذل المبحوثان جهوداً مضنية لكي يسترد المسجد دوره التعليمي والتربوي بعد أن أعراه الاستعمار من مهامه، والذي عُدَّ في السابق مدرسة لتخريج الكفاءات العلمية، ومنتدى يجتمع فيه الناس للتعارف والتآلف والتناصح والتشاور وتبادل الآراء ومناقشة قضايا الأمة، ومحكمة لحل النزاعات والمشاكل، وجامعة لعقد المؤتمرات والندوات، وحصناً منيعاً لنشر الفضائل، ومكاناً للتربية الروحية والخلقية والإيمانية والاجتماعية فـ"النبي صلى الله عليه وسلم أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات، وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده"[2]... فضلاً عن تبنيهما لوظيفة الوعظ والإرشاد وإحيائهما لسنة النبي

---

[1] - رواه البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفارة، رقم الحديث: 497.

[2] - مراد زعيمي: مؤسسة التنشئة الاجتماعية(الجزائر: دار قرطبة، ط(1)، 1997)، ص(112).

صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح. فهما ينظران إلى الإرشاد الديني كواجب من واجبات الإسلام يفترض القيام بأدائه، وخاصية من خصائصه، فهو يحيي القلب ويطبع الفرد المسلم بأخلاق إسلامية، وتعد الأمة التي لا تهتم بهذا الواجب من الأموات.

والمسجد لا يؤدي رسالته على أكمل وجه إلاَّ بقيام عمَّاره وقصَّاده من الصفوة والرواد الذين شغفت قلوبهم به وتعلقت لأن بيوت الله هي أحب إليهم؛ فيها يتزودون بالتقوى، ويركعون ويسجدون ويدعون ويترجون الله، وفيها تنزل ملائكة الله بالليل والنهار...بدورهم الدعوي تجاهه. والذين خصهم الله بخلال تميزهم عن بقية البشر العاديين؛ فوصفهم بالهداة الذين لا يقبلون على الإثم، يؤمنون به وباليوم الآخر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ولا يخشون إلاَّ الله. وفي هذا يقول المولى تعالى: [**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**] [التوبة/**18**]. وهذا ما ذهب إليه الشيخ الإبراهيمي فقال:"إن المسجد لا يؤدي وظيفته، ولا يكون مدرسة للقرآن، إلاَّ إذا شاده أهل القرآن، وعمروه على مناهج القرآن، وذادوا عنه كل عادية. وما جعل القرآن المساجد لله، إلاَّ لتكون منبعاً لهدايته، وما وصف الذين يعمرون مساجد الله بأنهم لا يخشون إلاَّ الله - إلاَّ ليقيم الحجة على ضعفاء الإيمان ويعزلهم عن هذه المرتبة"[1].

ومن أجل الوظائف التي يقوم بها المسجد في الإسلام وظيفة الوعظ الديني **الذي** لا يزال من أكثر الوسائل فعالية في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر الأفكار الدينية وإيصالها إلى أكبر عدد ممكن من المدعوين بمختلف طبقاتهم ومستوياتهم ودرجاتهم العلمية، وتوجيه الرأي العام.

ونظراً لما له من أهمية قصوى وأثر بالغ في تربية النفوس تربية إسلامية وحمايتها من الانحراف والشطط، وتبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم صغيرة كانت أو كبيرة، ورفع الهمم الراكدة، عدّته جمعية العلماء مقدمة أعمالها وأساسها. وقد أشاد البشير الإبراهيمي

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د. ط، د. ت)، ص(204).

بذلك فقال:"والوعظ الديني هو رائد جمعية العلماء إلى نفوس الأمة، **جعلته مقدمة أعمالها،** فمهد واستقر، وذلل الصعاب، وألان الجوامح، وعليه بنت هذه الأعمال الثابتة من إصلاح للعقائد، ونشر للتعليم، ومنه جنت كل ما تحمد الله عليه من نجاح. والوعظ الديني هو الذي حركت به جمعية العلماء الهمم الراكدة، وشدت به العزائم الواهية، واجتثت به الرذائل الموبقة، فكان هو معينها على غرس الإصلاح الديني، وتثبيت جذوره، وامتداده أصوله وفروعه"[1].

في حين إذا ما خوت بيوت الله من دروس الوعظ والإرشاد مثلما هو عليه حالنا اليوم فإن الناس والدِّين يصبحون في اتجاه معاكس ويعيشون غربة تامة"أما إذا خلت المساجد من **الدروس** فإن الأمة تنفض عن العلم والدين وتنقطع علاقتها به وتبرد حرارة شوقها إليه فتجسوا أنفسها وأبناؤها وتمشي والدِّين فيها غريب"[2].

وقد تتبعت في دروس الوعظ والتذكير منهج السلف"تذكر بكتاب الله، تشرحه وتستجلي عبره؛ وبالصحيح من سنة رسول الله، تبينها وتنشرها؛ وبسيرته العملية تجلوها وتدل الناس على مواضع التأسي منها. ثم سير الصحابة وهديهم. ثم سير حملة السنة النبوية، وحملة الهدى المحمدي في أقوالهم، وأعمالهم"[3].

هدفت من خلال هذه الوسيلة إلى إنشاءِ جيلٍ قرآنيٍ:" يتقن حفظ القرآن وأداءه، ويحسن فهمه والعمل به ويتخلق بأخلاقه، ويتربى على هديه؛ ثم ينشر بواسطته دين الله في أرض الله"[4]. يقول ابن باديس:"فإننا نربي والحمد لله تلامذتنا على القرآن، ونوجه نفوسهم إلى القرآن، من أول يوم وفي كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالاً،

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص(314).

[2] - سامية جفال: منهجية التغيير عند عبد الحميد ابن باديس(بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الدعوة والإعلام،جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة2000-2001) ، ص(270).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي بالجزائر(الجزائر: دار الكتب)، ص(64).

[4] - المصدر نفسه، ص(66).

كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها. وفي سبيل تكوينـــهم تلتقي جهودنا وجهودها"[1].

وستضرب الباحثة نموذجاً لدرس في التفسير ألقاه الإمـــام ابـــن بـــاديس في **الجـــامع الأخضر*** بقسنطينة الذي جعل منه مركزاً علمياً للوطن الجزائري بجميع أقاليمه الشرقي منه والغربي والشمالي والجنوبي، وذلك من خلال تفسيره للقرآن الكريم كلـــه علـــى الطريقـــة السلفية مراعياً بذلك مقتضيات العصر ومتطلباته وشروط النهضة الحديثة في مـــدة خمـــسة وعشرين عاماً تقريباً والذي شرع فيه في عام 1913م قبل الحرب العالمية الأولى وانتهى منـــه في آخر فصل الربيع من عام 1938م. والذي برمجه بالليل بعد صلاة العشاء، يحضره العـــام والخاص من الشباب والكبار"إن القرآن كتاب الدهر، ومعجزته الخالدة؛ فلا يستقل بتفسيره إلاَّ الزمن، وكذلك كلام نبينا، المبين له؛ فكثير من متـــون الكتـــاب والـــسنة الـــواردة في معضلات الكون، ومشكلات الاجتماع، لم تفهم أسرارها ومغزيها إلاَّ بتعاقـــب الأزمنـــة وظهور ما يصدقها من سنن الله في الكون. وكم فسرت لنا حوادث الزمن، واكتـــشافات العلم من غرائب آيات القرآن ومتون الحديث، وأظهرت للمتأخرين مالم يظهر للمتقدمين، وأرتنا مصداق قولهε، في وصف القرآن(لا تنقضى عجائبه)"[2].

واهتمامه بشرح الحديث النبوي الشريف من خلال شرحه كتاب"**الموطأ**" لإمـــام دار الهجرة **مالك بن أنس** رضي الله عنه الذي ختمه سنة 1939م أي بعد عام من ختمه القرآن الكريم. كما أولى اهتماماً بالغاً بسير أبطال وشخصيات إسلامية وتاريخية وخاصـــة جيـــل

---

[1] - آثار ابن باديس، ابن باديس حياته و آثاره ، ج(1)، ص(107).

* أسسه حسين بك بن حسين(1736 - 1754م) الذي حكم البلاد(18) عاماً، نظَّم المدينة وخطط شوارع مدينة قـــسنطينة، وأنشأ منازل رفيعة، وبنايات ضخمة لكامل أعيان البلد، كان له ولع بالعمارة، وكانت له عناية فائقة بالعلم. وبنى الجامع الأخضر للتعليم كما هو منقوش فوق مدخل بيت الصلاة وهذا نصه:"أمر بتأسيس هذا المسجد العظيم، وتشييد بنائه للـــصلاة والتـــسبيح والتعليم ذو القدر العلي والتدبير الكامل وحسن الرأي، أميرنا وسيدنا حسن باي أدام الله أيامه. وكان تمام بنائه أواخر شهر شعبان سنة ست وخمسين ومائة ألف" ودفن مؤسسه -رحمه الله - في التربة المجاورة للجامع مع عائلته وبعض العلماء رحمهـــم الله أجمعـــين للمزيد أنظر؛ آثار ابن باديس، الجزء الثاني من المجلد الثاني، ص(36 - 37).

[2] - عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص(9).

الصحابة الكرام بذكر مآثرهم وفضائلهم في خدمة رسالة الإسلام قصد تحفيز الشباب للاقتداء بهم. وكان قد درّس في أول أمره بالجامع الكبير كتاب**"الشفاء" للقاضي عياض**، كما علم في مسجد سيدي **"قموش"** ومسجد سيدي**"عبد المؤمن"** ومسجد سيدي**"بومعزة"**. في أسلوب متميز يجمع بين البساطة والوضوح والذي يأخذ في الاعتبار "العناية في المعنى والنفوذ إلى صميمه من أقرب طريق يؤدي إليه؛ وبتجليته للسامعين بالصور العملية التطبيقية، والإعراض عن اللفظيات والخلافات وكل ما يشوش ويبعد عن تصور المعنى المقصود"[1]،

تعاقب الليل والنهار للتفكير والعمل[2]: فسر ابن باديس قوله تعالى:[**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورا**][الفرقان/ 62]. معرضاً إلى مناسبة نزولها حتى يضع القارئ في جو النص المراد تفسيره ويثير انتباهه، أنه لما سأل المشركون بقولهم**"وما الرحمان"** كما يسألون عن المجهول ذكر لهم القرآن ما يعرفهم به من عظيم آياته وجلائل إنعاماته التي هي من آثار رحمته، فذكر لهم بروج السماء والشمس والقمر، ثم ذكر لهم تعاقب الليل والنهار.

بعدها انتقل إلى شرح المعنى اللغوي للمفردات حتى يسهل على القارئ فهم مضمون النص، ثم أوضح المعنى العام للآية[وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَة] بأن الله جعل لنا الليل والنهار وضعهما يختلفان ويتعاقبان على هيئة مخصوصة حتى يستفيد العباد منهما ويعتبر بما فيهما من انتقال وتغير. ويبين لعباده سعة رحمته بهم فمن فاته أن يذكر ويعبد الله بالنهار فالليل فرصة له لاستدراك ما فاته بالنهار.

ثم استخرج ما في النص من قيم؛ مركزاً في ذلك على البيئة الجزائرية بصفة أخص، وعلى الأمة الإسلامية بصفة خاصة، وعلى الإنسانية جمعاء بصفة أعم فأوضح كيف أن حياة الإنسان من أولها إلى آخرها مبنية على ثلاثة أركان: الإرادة والفكر والعمل والمتوقفة بدورها هي الأخرى على العمل والعقل والبدن السليم"فالعمل متوقف على البدن، والفكر

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي بالجزائر، ص(65).

[2] - عبد الحميد ابن باديس: آثار ابن باديس، ج(1)، ص(431).

متوقف على العقل، والإرادة متوقفة على الخلق، فالتفكير الصحيح من العقل الصحيح، والإرادة القوية من الخلق المتين، والعمل المفيد من البدن السليم، فلهذا كان الإنسان مأموراً بالمحافظة على هذه الثلاثة عقله وخلقه وبدنه، ودفع المضار عنها، فيثقف عقله بالعلم ويقوم أخلاقه بالسلوك النبوي ويقوي بدنه بتنظيم الغذاء، وتوقي الأذى والتريض على العمل".

وختم الشيخ درسه بتوجيهه النصيحة إلى جمهور المتلقين؛ بأن يعبدوا الله ويذكرونه ويشكرونه وذلك بأن يحافظوا على العبادات في أوقاتها ويتداركوا ما فاتهم من الطاعات متوجهين بكل ما فيهم إلى الله تعالى يكونوا أسعد الناس في الدارين على الإطلاق.

ويأتي بعد الوعظ والإرشاد **التعليم المسجدي** الذي عرَّفه الإبراهيمي بقوله:"ونعني بالتعليم المسجدي ذلك التعليم الذي تلتزم فيه كتب معينة في العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول وأخلاق. والعلوم اللسانية من قواعد ولغة وأدب. والعلوم الخادمة للدين من تاريخ وحساب وغيرهما، ويقوم به مشائخ ومقتدرون في تلك العلوم محسنون لتعليمها ونسمّيه مسجدياً لأنه كان من فجر الإسلام إلى الآن ومازال يلقى في المساجد"[1].

كما يعد مؤسسة تعليمية للصغار والكبار يعلم فيه العلوم النافعة التي تخدم القرآن وتوضحه، حيث كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يتحلق في المسجد يعلم الصحابة رضوان الله عليهم والناس أحكام الدِّين ويجيبهم على أسئلتهم التي تعني شؤونهم الدنيوية والأخروية، ويرشدهم ويعظهم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلاَّ غشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"[2].

وقد أشار ابن باديس في تقريره عن **التعليم المسجدي** بقوله:"المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام فما بنى النبي صلى الله عليه وسلم يوم استقر في دار الإسلام، بيته حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه، فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج(2)(1940 - 1952)، ص(170).

[2] - رواه أبي داود، كتاب الصلاة، باب: في ثواب قراءة القرآن، رقم الحديث: 1243.

تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة، فلا إسلام بدون تعليم، ولهذه الحاجة مضى النبي صلى الله عليه وسلم على عمارة المسجد بهما، فما انقطع عمره كله عن الصلاة، وعن التعليم في مسجده، حتى في مرضه الذي توفي فيه"[1].

وعن أهمية هذه الوسيلة الدعوية وضرورتها في الحياة الدينية للأمة الإسلامية، يقول البشير الإبراهيمي:"وهذا التعليم ضروري للأمة الإسلامية في حياتها الدينية لأنها مفتقرة دائماً إلى من يفتيها في النوازل اليومية ويبيِّن لها أحكام الحلال والحرام. وما بقي الإسلام محفوظاً إلاَّ بهذا النوع من التعليم الذي من أصوله تفسير القرآن والحديث النبوي"[2].

اشتمل البرنامج الدراسي الذي أعده ابن باديس لتعليم تلامذته في الجامع الأخضر على جملة من المواد[3]:التفسير، الحديث، الفقه، الفرائض، العقائد، الأدب، المواعظ، التجويد، الأصول، المنطق، النحو، الصرف، البلاغة، محفوظات، ومطالعات، ودراسة، الإنشاء، الحساب، الجغرافية، التاريخ. أما الكتب المدروسة:"الموطأ، أقرب المسالك، الرسالة، ابن عاشر، الزندبوي، المفتاح، التنقيح، السلم، المكدوي، القطر، الأجرومية، الزنجاني، اللامية، السعد، الجوهر المكنون، من ديوان الحماسة، من ديوان المتنبي، أمالي القالي، من مقدمة ابن خلدون"[4].

يتضح من خلال هذه المواد المعروضة أن التعليم الذي كان ينشره ابن باديس يغلب عليه الطابع الديني واللغوي مع قليل من العلوم العقلية حسب تعبير ابن باديس وهذا يعود إلى أن الاستعمار كان يترصد بالدين الإسلامي واللغة العربية قصد الإطاحة بهما باعتبارهما مقومان أساسيان من مقومات الشخصية الجزائرية؛ لذا كان تركيز ابن باديس جهده عليهما.

---

[1] - آثار ابن باديس، ج(3)، ص(225).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(2)(1940 - 1952)، ص(170).

[3] -[3] - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، ج(3)، ص(229).

أما من ناحية الكتب الدراسية التي اعتمدتها جمعية العلماء في تعليمها المسجدي فتنتقي أمهات كتب التراث الإسلامي والعربي القديم منه والحديث الحية التي تمتاز بالعمق وشمول النظر، ففي مادة التفسير اختارت"**تفسير المنار**" للشيخ **محمد عبده** والشيخ **رشيد رضا**. وفي مادة الحديث النبوي، اعتمدت كتاب"**الموطأ**" للإمام **مالك ابن أنس**، و**كتب الصحاح** في الحديث. وفي علم الاجتماع والتاريخ اختارت كتاب"**مقدمة ابن خلدون**"[1].

ويذكر الإبراهيمي الأثر الفعال الذي تركه ابن باديس خلال مسيرته التعليمية التي دامت 25 سنة بهذه الوسيلة -**التعليم المسجدي**- في إتباعه يقول:"وتخرَّج من دروسه جيل كامل هو عماد النهضة اليوم بما أعده للحياة وهيّأه للقيادة. وأن الكثيرين من تلامذته هم اليوم، المجلون في ميدان التعليم المكتبي الذي تقوم به جمعية العلماء، وقد كان -رحمه الله- يرمي بتعليمه مع تحصيل العلم إلى ثمرات العلم ويرمي إلى أشياء كان يقصدها قصداً ويلح فيها إلحاحاً، منها تقوية الإرادة والعزيمة في تلاميذه، فكان يفيض عليهم من روحه القوية فيضاً من القوة يعدهم بها للعمل في أمَّة مفتقرة إلى العاملين"[2].

إلى جانب وسيلة الفتوى التي اعتمدها كل من ابن باديس والإبراهيمي في الدعوة والإصلاح. وقد شملت مجالات الإفتاء عندهما جملة من الأغراض هي[3]:

1 -بيان أحكام الشرع في قضايا العبادات والمعاملات.

2 -التحذير من بعض العوائد السيئة والبدع الملصقة بالدين المتفشية في المجتمع والتنبيه إلى بعض الانحرافات السلوكية.

3 -الوقوف في وجه المخططات الاستعمارية كما في **فتوى تحريم التجنيس** التي أعدها بطلب من لجنة الفتوى التي نشرت في **جريدة البصائر السنة الثالثة العدد(95) في 14 كانون الثاني 1938م**

---

[1] - رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص(261).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(2)(1940 - 1952)، ص(171).

[3] - عبد بيرم: أصول فتاوى ابن باديس، مجلة الموافقات، ص504.

نص الفتوى:"بسم الله الرحمان الرحيم: التجنيس والتوبة منه. التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكماً واحداً من أحكام الإسلام، عُدَّ مرتداً عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع. والمتجنس - بحكم القانون الفرنسي - يجري تجنسه على نسله، فيكون قد جنى عليهم، بإخراجهم من حظيرة الإسلام. وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وإثمها متجدد ما بقي له نسل في الدنيا، خارجاً عن شريعة الإسلام بسبب جنايته فإذا أراد أن يتوب، فلا بد لتوبته من إقلاعه لا يكون إلاّ برجوعه للشريعة الإسلامية، ورفضه لغيرها. ولما كان القانون الفرنسي يبقى جارياً عليه رغم ما يقول هو رجوعه فإقلاعه لا يتحقق عندنا في ظاهر حاله، وهو الذي تجري عليه الأحكام بحسبه إلاّ إذا فارق البلاد التي تأخذه فيها ذلك القانون إلى بلاد أخرى تجري عليه فيها الشريعة الإسلامية. قد يكون صادقاً في ندمه فيما بينه وبين اللّه، ولكن نحن في الظاهر والذي أمرنا باعتباره في إجراء الأحكام لا يمكننا أن نصدقه وهو ما يزال ملابساً لما ارتد من أجله أحكام تلك الجنسية، ولهذا لا تقبل توبته ولا تجري عليه أحكام المسلمين. والذي يقع عليه القضاء بحكم يتحقق، أنه هو حكم الشريعة الإسلامية فيسعى في نقضه بحكم من غيرها، هو يرفضه لذلك الحكم وطلبه لغيره مرتد عن الإسلام. وتوبة هذا بإقلاعه عن طلب الحكم الآخر أو بتنفيذه لحكم الإسلام إن كان غيره قد وقع و من جعل (التيسطاما)[وصية الميت قبل موته]: وهي قسمة ماله بين ما يشاء بعد موته على غير القسم الإسلامي رافضاً للحكم الإسلامي فهو مرتد عن الإسلام، وتوبته بإبطال تلك (التيسطاما)، ورجوعه إلى الحكم الإسلامي. ومنة يتزوج بامرأة من جنسية غير إسلامية فقد ورّط نفسه في الخروج من حظيرة الشريعة الإسلامية فإن كان راضياً لهم ذلك، ومختاراً به على بقائهم في حظيرة الشريعة الإسلامية، فهو مرتد عن الإسلام جان عليهم ظالماً لهم . وإن كان غير راض لهم بذلك ولا مختاراً لهم ذلك على شريعة الإسلام، وإنما غلبته شهوته على ذلك الزواج، فهو

آثم بجنايته عليهم وظالم لهم. لا يخلصه من إثمه العظيم، إلاّ إنقاذهم مما أوقعهم فيه، بهجرته بهم..."[1].

وقد حُبِسَ رجال الجمعية عن تقديم الدروس العلمية والدينية في المساجد الواقعة تحت مراقبة الاحتلال أي بعد صدور "**مذكرة ميشال**" في 16 فيفري 1933م"**قرار بريفي**"؛ عمدت إلى تأسيس عدد كبير من المساجد الحرة "بضعة وتسعين مسجداً في سنة واحدة في أمهات المدن والقرى"[2]، معتمدة في ذلك على تبرعات الشعب النقدية والعينية.

وبهذا، تكون الجمعية قد حازت قصب السبق في تعليم الناشئة القرآن الكريم والأحاديث النبوية وسير الأولين الصالحين واللغة العربية وآدابها، واجتثاث موبقات الطرقية الضاربة بأطنابها إلى أعماق نفوس الشعب التي سعت إلى طمس مقومات الشخصية الجزائرية وتشويهها، وغرس الفضائل السامية. نتج عن هذه الجهود تخريج شبان كانوا بمثابة الطلائع الأولى في تفجير ثورة أول نوفمبر 1954م.

ثانياً: الصحافة الحرة: حظيت الصحافة المكتوبة بمكانة مرموقة لدى جمعية العلماء واكتست أهمية بالغة خاصة منها سنوات العشرينات والثلاثينيات من القرن العشرين. وهي الوسيلة الإعلامية الرائجة الاستعمال يومها، وقد أشار مبارك الميلي إلى ذلك بقوله:"وإن من أهم الخطط وأعم الوسائل لتحقيق الغايات ونشر الدعوات: إنشاء الصحف السيارة التي تحفظ جيد الأقوال، وسديد النظريات وتدخل بها على الطالب في مسكنه، وعلى التاجر في متجره، وعلى الصانع في مصنعه، وعلى الملإ في ناديهم، وعلى المسافرين في مراكبهم، بل لا يحجبها على الفتيات خدر ولا حرس...وما وجدت فكرة الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وجدت لها صحف تعبر عنها وتبشر بها وتدافع عنها"[3].

---

[1] - البصائر، سنة03 ، عدد(95)، ص(02).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي، مجلة مجمع اللغة العربية، عدد(21)،، ص(146).

[3] - محمد زرمان: الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي(أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الفكر الإسلامي الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة معهد الدعوة وأصول الدين، 1994 - 1995)، ص(288).

أوجدتها جمعية العلماء لأجل المحافظة على اللغة العربية من الفرنسة واستخدمتها كمنبر إعلامي لنشر أفكارها الوطنية والإصلاحية والثورية الداعية إلى النهضة ودروسها وتوجيهاتها التربوية بين العامة والخاصة من المسلمين والجزائريين، وتوعيتهم بدورهم وإطلاعهم بحقيقة ما يجري بين أظهرهم وإيقاظهم من غفلتهم، وتنبيههم إلى الخطر المحدق بهم وتحريضهم على العدو الروحي والعدو المادي، ومحاربة كل من يحاول التعرض لها. ولتبليغ ما قصرت عن إيصاله عن طريق المسجد والنادي والمدرسة، والتي مست الطبقة المثقفة وقطاع عريض من عامة الناس."فصرير الأقلام أشد إزعاجاً للعدو من قعقعة السلاح"[1].

ولعل جرائد: **المنتقد، الشهاب والبصائر** نالت شهرة واسعة في أرجاء العالم الإسلامي لما تضمنّته من مقالات سياسية ودينية وثقافية واجتماعية هادفة تعالج وتناقش قضايا واقعية تركت تأثيراً بالغاً بين القراء.

عمد المبحوثان من خلال هذا الصرح الإعلامي الذي اقتحماه، إلى التنديد بالوجود الاستعماري وفضح أعمال وألاعيب المشعوذين من بعض رجال الطرقية الخارجة عن إطار الدِّين. فنجد على سبيل المثال الإمام عبد الحميد بن باديس يوجه ندائه إلى الشعب الجزائري في إحدى مقالاته بإحدى كتاباته يدعوه من خلاله إلى التعاون على الخروج من دائرة التخلف بالتعلم والتفكير الصحيح والسليم، فقال:"أيها الشعب الجزائري الكريم: هاأنذا أمد لك يدي من قلب يحبك، نعم يحبك! يحب نقصك، يحب كمالك، يحب تخريفك، يحبك هكذا. جبلاً شامخاً على صدر من يريد قلعك، وفي عين من ينكر وجودك، فهل تمد لي يدك لتزيل نقصنا بالكمال، وننير جهادنا بالعلم، ونمحوا تخريفنا بالتفكير؟ يدي في يدك أحببنا أم

---

[1] - عمار مطاطلة: ابن باديس والجامع الأخضر (البصائر: أسبوعية إصلاحية شاملة شعارها: الإسلام دينناز والعربية لغتنا. والجزائر وطننا. الإثنين13 -20صفر1422ه/07 -14ماي2001 -السلسلة الرابعة -العدد49 - ص(12).

كرهنا، لأن قلبي قلبك، وعقلي عقلك، وروحي روحك، ولـسـاني لـسانك، وماضـي ماضيك، وحاضري حاضرك، ومستقبلي مستقبلك، وآلامي آلامك، وآمالي آمالك"[1].

1 -**جريدة المنتقد:** أسسها عبد الحميد بن باديس في 2جويلية سنة 1925م بعد عودتـه من تونس سنة 1924م، تصدر صبيحة خميس من كل أسبوع، شعارها:**"الحق فـوق كـل أحد والوطن قبل كل شيء"**. وهي جريدة سياسية تهذيبية انتقادية تبنت الخط الثـوري في الإصلاح والتغيير،"وقد لعبت دوراً هاماً في إبراز مكانة الأمة الجزائرية بين الأمم الأخـرى ومد عظمتها ومدنيتها الراقية ونبهت الجزائريين إلى ضرورة احترام قوميتهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم والأمة التي هم مرتبطون بها"[2].

قامت بتوجيه المقالات النارية التي تفضح أعمال وجرائم المحتـل، وتنقـد الأوضـاع السياسية والاجتماعية، وتلاحق أضاليل الطرقيين المفسدين وتحطم شـعارات"أعتقـد ولا تنتقد" و"سلم تسلم"، وتضرم النار في عقائدها الزائفة؛ أثارت حفيظة الاستعمار مما جعلها تتعرض للمصادرة من طرف الحكومة الاستعمارية وذلك لأنها"كانت شديدة اللهجة، قاسية الأسلوب، صريحة التجريح، فضاق بها الاستعمار وأعوانه فعطّلوها"[3] وذلك في 25 أكتـوبر 1925م بسعي بعض مشايخ الطرق المستغلين ورجال الدِّين الجامدين بالوشاية لـدى الإدارة الحكومية. وتعد المنتقد بحق الجريدة التي صدر منها(18) عدداً، الأولى من نوعها التي جمعت الأقلام الجزائرية الإصلاحية المتمثلة في الشباب العربي المثقف العائد مـن جـامع الزيتونـة والأزهر ومعاهد الشام والحجاز بعد الحرب، هدفهم الوطن قبل كـل شـيء، وخطتـهم مشتركة وهي الإصلاح الداخلي أولاً في سبيل إصلاح شامل[4].

---

[1] - بوصبيع عبد الله، ابن باديس ميلاد قائد و انبعاث أمة(مجلة الأصالة، العدد(08)، السنة الثانية، ربيع الثـاني، جمـادى الأولى 1392هـ ماي - جوان 1972م، ص(38 - 39).

[2] - ناهد إبراهيم دسوقي: دراسات في تاريخ الجزائر ، الحركة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين الحربين (1918 - 1939) (مصر: منشأة المعارف 2001) ، ص(260 - 262).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج(4)(1952 - 1954)، ص(166).

[4] - صالح عبّاد، الجزائر بين فرنسا و المستوطنين 1830 - 1930، ص(52 - 54)

جاء في افتتاحية العدد الأول منها ما يلي:"في يوم النحر من ذي الحجة خاتمة شهور عام 1343هـ برزت جريدة المنتقد تحمل فكرة الإصلاح الديني بتتريه الإسلام عما أحدثه فيه المبتدعون وحرّفه الجاهلون، وبيانه كما جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة وعمل به السلف الصالح معلنة أن المسلمين بذلك وحدة تصفو عقائدهم وتزكو نفوسهم وتستقيم أعمالهم وينبعثون عن قوة وبصيرة في الأخذ بأسباب الحياة الراقية، والمدنية الطاهرة مشاركين أمم الدنيا في خدمة الإنسانية وترقية الحضارة وتوسيع العمران .... برزت جريدة المنتقد تحمل هذا وتُلفت الجزائريين إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم بأهم أمة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخها فهي لذلك أمة تامة الأممية لا ينقصها شيء من مقومات الأمم. مضت الجريدة على خطتها حتى سقطت في الميدان بقرار التعطيل بعدما برز منها (18) عدداً"[1].

2 -**جريدة الشهاب الأسبوعي:** والتي صدرت على اثر تعطيل **المنتقد** 1925-1929م. والتي خلفت المنتقد الشهيدة في مواجهة الفساد وإنارة السبيل أمام الشعب المستضعف، إلاَّ أن مقالاتها معتدلة اللهجة هذه المرة أقل حدة من سابقتها إزاء السلطات الاستعمارية الحاكمة، يغلب عليها الطابع العلمي المركز لا الأسلوب الأدبي الساخر والتهكمي، واستخدم أسلوب المرونة السياسية تجاهها تفويتاً منها لتعطيل الجريدة، حيث صرَّح ابن باديس قائلاً:"هذه هي جريدتنا اليوم التي سنخدم بها ما هو خير ونافع للأمة الجزائرية وحكومتها الفرنسوية... ورجاؤنا من حكومتنا الفرنسوية ورجالها الأحرار أن يتحققوا إخلاصنا كجزائريين برهنوا في جميع المواقف على حسن نواياهم نحو أم الوطن وإننا لا نريد إلاَّ أن نعيش مع جميع أبناء فرنسا في حرية وأخوة ومساواة، متحابين متعاونين على ما فيه سعادة الجميع"[2].

---

[1] - الزبير بن الرّحال: الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية (1889 - 1940)(الجزائر: دار الهدى)، ص(72).

[2] - الشهاب، العدد الأول، المؤرخ بـ25 ربيع الثاني 1344ه الموافق 12 نوفمبر 1925م، ص(1).

وكان ابن باديس قد أهاب بأقلام الشهاب البليغة وعلماء الجمعية عموماً بأن يلتزموا بالحكمة والمجادلة بالحسنى والابتعاد عن المهاترة وألح عليهم أن يحرصوا على الاهتمام بالعقائد ومناقشتها برصانة بتبيان صحيحها من سقيمها، وأثرها في المجتمع معتمدين في كل ذلك على النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة، ومستأنسين بآثار السلف الصالح، دون التجريح في الأشخاص"نقول لجميع الكتاب من الجانبين، بلسان الدّين، والأخوة الإسلامية هذه الكلمة: أقلعوا عن المهاترة والمشاتمة، والمغامزة، والملامزة، مما هو حرام بإجماع المسلمين واسلكوا في المناظرة طريق القرآن العظيم، بيان لقول الخصم بدون تعرض لشخصه، وإقامة للحجة التي ترد عليه مع حسن السلوك والقصد في الوصول إلى الحقيقة، والإذعان لها إذا ظهرت على أي لسان ومع الشعور بأن الراد والمردود عليه إخوان يريد كل منهما أن يهدي أخاه إلى ما يراه خيراً له، ويصرفه عما يراه شراً"[1].

بالرغم مما طرأ من تغيير في اللهجة والسياسة إلاَّ أنها لاقت من السلطة نفس مصير الأول من العناء والبلاء وتعرضها لأزمات مالية متتالية ومغالبة الظروف له حولته من صورته الأسبوعية التي دامت أربع سنوات إلى شهرية.

يلخص **أحمد توفيق المدني** أحد كتاب الشهاب بانتظام دور الشهاب في النهضة الفكرية والعلمية في الجزائر فيقول:"فما كاد الشهاب الأسبوعي يتعطل حتى خلفه الشهاب الشهري في حلة قشيبة يحمل كل شهر لقرائه ما لذ وطاب من حديث الدنيا والدين مبشراً بالفلاح والنصر المبين قوماً مؤمنين... لقد كان الفاتحة الطيبة للمسيرة الصالحة الجريئة التي انتشلت الأمة الجزائرية من وهدة الإفلاس في السياسة ونكبة التنكر في الدين اندفعت جريئة جامحة، تحطم ما يستحق التحطيم وتبني ما هو واجب البناء إلى أن استوى العود، وبلغت الأمة أشدها فإذا بها المارد الجبار الذي قهر الاستعمار ورفع لواء الأحرار بفضل المجاهدين الأبرار وللحرية والاستقلال عقبى الدار"[2].

[1] - عبد الحميد ابن باديس: دعوة إلى الحسنى، فهل من مجيب؟(جريدة الشهاب: العدد 102، 23/ 6/ 1927).

[2] - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص(267 - 268).

3 -**مجلة الشهاب الشهرية:** ظهرت في بزتها الجديدة سنة 1929م بعد أن كانت أسبوعية، وقد امتد بها العمر إلى أن توقفت في شهر سبتمبر 1939م، عند قرب نشوب الحرب العالمية الثانية. شعارها"**تستطيع الظروف أن تُكيفنا ولا تستطيع بإذن اللّه أن تتلفنا**". اهتمت بتصحيح عقائد الناس وتطهيرها من الشرك، وانبرت للكشف عن أعمالهم، كما اهتمت بالتعليم فـ"كانت تتناول الفكر الإسلامي في أصالته وعمقه وتسعى لبعث الشعب الجزائري وتذكيره بماضيه الحافل، ولغته السامية، ودينه الحنيف"[1].

محتويات مجلة الشهاب(1927 - 1939م)[2]: وتتضمن عدة أبواب يتعرض بعضها دائماً للتغيير والحذف والزيادة، تتمثل فيما يلي:

1 -**مجالس التذكير للتفسير والحديث** يعدها وينشرها الشيخ عبد الحميد بن باديس كافتتاحيات في الغالب.

2 -**رسائل ومقالات** ترد على الشهاب من داخل وخارج الوطن بقصد النشر.

3 -**مجتنيات من الكتب والصحف:** ويحتوي على كتابات لمفكرين ومصلحين مشهورين أمثال: الرافعي و**حسين هيكل**... ومقالات منقولة عن مجلة "**المنار**" للشيخ **رشيد رضا**، و"**الأمة العربية" للأمير شكيب أرسلان**، ومجلة "**الفتح**" للشيخ **محب الدين الخطيب** وغيرها كثير.

4 -**في المجتمع الجزائري:** أكثر ما ينشر في هذا الركن مقالات للشيخ ابن باديس بدون إمضاء، ومن الإمضاءات المشهورة التي تكتب في هذا الباب **الشيخ العاصمي** و**باعزيز بن عمر**.

5 -**المباحثة والمناظرة:** هو ركن فسح فيه الشيخ ابن باديس المجال لتبادل الآراء وتلاقح الأفكار، والبحث والمناظرة في المسائل الفقهية واللغوية وغيرها.

---

[1] - الزبير بن الرّحال، الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية(1889 - 1940)، ص(41).

[2] - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص(265 - 267).

6 -**قصة الشهر**: تدور غالباً حول سيرة بطل من أبطال التاريخ الإسلامي، أو تتنـاول موقفاً من المواقف الإنسانية الخالدة تنقل عادة من الكتب القديمة بهدف العبرة والعظة.

7 -**نظرة عالمية**: يرأس هذا الركن أحمد توفيق المدني، يناقش الأحداث السياسية خـلال شهر.

8 -**أخبار وفوائد**: وينشر هذا الباب أخباراً متنوعة في شتى ميـادين الثقافـة والفكـر الإنساني.

9 -**ثمار العقول**: ويبث فيه أهم ما يكتب حديثاً من كتب أو جرائد أو مجلات في جميع أنحاء الوطن العربي.

10 -**الفتوى والمسائل**: يجيب من خلاله الشيخ ابن باديس عن أسئلة قـراء الـشهاب الدينية والفقهية. وهو غير منتظم الصدور.

11 -**حديقة الأدب**: ويحتوي نصوصاً نثرية وأشعاراً لأدباء عرب في المغرب والمـشرق العربيين وفي المهاجر الأمريكية.

جريدة "**البصائر**"[**1935 -1939** م]،[**1947 - 1956**] أشرف عليهـا **محمـد البـشير الإبراهيمي** وظهرت على مرحلتين: **الأولى**؛ وكانت **ما قبل الحرب العالمية الثانية[1935 - 1939م]**: برزت في شكل جريدة أسبوعية في سلسلتها الأولى تولى إدارتها ورئاسة تحريرها الشيخ **الطيب العقبي** من سنة 1935 إلى سنة 1937م. بعدها خلفه الشيخ **مبارك الميلي** لمدة عامين. استوحت شعارها"**البصائر**" من الآية الكريمة:[**قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَـنْ أَبْـصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ**][الأنعام/ **104**]. صدر العـدد الأول مـن جريـدة البصائر يوم **27** ديسمبر سنة **1935**م وأوقفتها جمعية العلماء تحسباً لأي ضغط أو مـساومة من طرف السلطات الفرنسية التي ترغـب في انـضمام الـشعب الجزائـري إلى صـفها ومشاركتها في حربها ضد دول المحور وعلى رأسهم ألمانيا التي تكن لها الحقد الكبير، خاصة بعد استيلائها على منطقتي الألزاس واللورين الفرنسيتين"بقيت البصائر سائرة في طريقهـا، ناصرة لفريقها إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية، فعطلناها باختيارنا، لأننا لا نـستطيع أن

نقول ما نريد، ولا نرضى أن نقول ما يراد، فلما انتهت الحرب وما استتبعته من نفي واعتقال أعدنا صدورها، وهي سائرة على منهاجها القويم إلى الآن، فخورة بالمواقف المشهودة التي وقفتها في قضايا الجزائر ومراكش وتونس وليبيا وفلسطين، وقد شهد الموافق والمخالف بأنها مواقف لم تقفها جريدة عربية على الإطلاق، ومجاميعها بلغت تسعة مجلدات، مسجلة لأعمال جمعية العلماء"[1].

الثانية؛ وصدرت **بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية[1947 - 1956م]** بإشراف وإدارة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في سلسلتها الثانية. صدر العدد الأول منها في شكل مجلة يوم 25 جويلية سنة 1947م، وظلت على هذه الحال إلى غاية سنة 1956م أين حلت بسبب حرب التحرير وبطش الاستعمار بالقائمين عليها. ورد في افتتاحيتها في عددها الأول ذكر أسباب احتجاب البصائر الأولى طيلة فترة الحرب، قالت:"جريدة البصائر هي إحدى الألسنة الأربعة الصامتة لجمعية العلماء، تلك الألسنة التي كانت تفيض بالحكمة الإلهية المستمدة من كلام الله وكلام رسوله... وكانت كلما أغمد الظلم لساناً منها سل الحق لساناً لا ينثلم ولا ينبو،...وكان تعطيلها(البصائر) لأوائل هذه الحرب مثلاً شروداً في الحفاظ والإباء، ومنقبة بكراً في الكبرياء والعزة، ذلك أنه لما تجهمت الأيام، وتنكرت الأحداث، واسبهمت المسالك، ولوّح لها أن تجرى على ما يراد منها، لا على ما تريد.. وخار الله للقائمين عليها في ذلك التعطيل، كما خار لهم من قبل في تقرير السكوت ولعمري أن التعطيل، لخير من نشر الأباطيل"[2].

لاقت هذه الجريدة إقبالاً واسعاً من قبل المثقفين والكتاب العرب الكبار والقراء العاديين وغير العاديين، على مستوى الشمال الإفريقي والمشرق العربي وعدُّوها لساناً صادقاً من ألسنة الإسلام، وحازت قصب السبق بين مثيلاتها من الجرائد والصحف والمجلات العربية. وقد شهد لها بذلك"الموافق والمخالف أنها أعظم جريدة ظهرت في المغرب العربي، وأنها أرقى أسلوباً وأسمى بياناً من كثير من جرائد الشرق العربي، وحسبها شرفاً في

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(167) .

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ص(16 - 17).

الموضوع أنها أحيت العروبة والتمجّد بها في النفوس، وأحيت العربية وبيانها في الألسنة والأقلام، وأنها تناضل عن أشرف مبدأ وهو الإصلاح بقسميه الديني والدنيوي، ووجّهت المسلم إلى أعظم هداية نزل بها كتاب وجاء بها رسول وهي هداية القرآن، وحاربت أخبث عدو طرق البشرية، وهو الاستعمار"[1].

محتويات مجلة البصائر في سلسلتها الثانية[2]:

1 -**المقال:** ويحتل المرتبة الأولى بأنواعه؛ الصحفي،الأدبي والعلمي يتناول الأحداث اليومية الجارية السياسية والمحلية والدولية التي تشغل الرأي العام في الداخل والخارج بالشرح والتحليل، وتناقش القضايا الاجتماعية التي تهم القارئ وتوعيته بأهميتها. كما يهتم بعرض الإنتاج الأدبي والفني وتقييمه.

2 -**الخبر:** تنشر الأخبار الأمنية والعسكرية التي صاحبت قيام الثورة المسلحة يومها، وقبل الثورة ومستجدات الساحة السياسية على الصعيدين المحلي والعربي. إلى جانب الأخبار الثقافية.

3 -**التقرير:** ركزت تقارير المجلة على موضوعات، منها: تصوير نشاط جمعية العلماء وبخاصة في مجال التعليم، وتناولته بالشرح والتفصيل .

4 -**التعليق:** تعليقها على بعض الأخبار التي تراها مهمة تحتاج إلى فهمها وإدراكها.

5 -**الروبورتاج:** اعتمدت هذا الفن من أجل تسجيل رحلة البشير الإبراهيمي، وبعض رجال جمعية العلماء إلى المشرق العربي مرفوقاً بصور فوتوغرافية.

6 -**القصة القصيرة:** وهي مأخوذة من الواقع، عالجت من خلالها الجريدة بعض المشاكل الاجتماعية.

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(325).

[2] - غنية جمّال: جريدة البصائر ودورها الإصلاحي السلسلة الثانية 1947 - 1956(بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003 - 2004)، ص(131 - 180).

7 -**الإعلانات:** تنوعت الإعلانات عن أنشطة جمعية العلماء المختلفة، والإعلانات الخاصة بالقراء أو الموجهة إليهم وإلى المشتركين في الجريدة والموزعين لها، والإعلانات التجارية، والإعلانات عن المواليد، الزواج والوفاة.

8 -**الشعر:** تنشر أعمال الأدباء سواء كانوا شعراء معروفين أم شعراء شباب من داخل الوطن وخارجه أمثال: محمد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون.

9 -**بريد القراء:** يقوم هذا الركن على رسائل القراء التي ترد إليها سواء تعلق ذلك بالموضوعات التي يرغبون في نشرها أو الرد على بعض طلباتهم.

ولعل أهم القضايا التي تناولتها هذه الجرائد:

التبشير: وذلك بتتبع أخباره و التحذير من مخاطره، وإطلاع الرأي العام على وسائله وأهدافه ومراكز نفوذه. وقد عرَّف به البشير الإبراهيمي فقال:"التبشير بشكله الحاضر نتيجة من نتائج التعصب المسيحي المسلح، ومولود من مواليد القوة الطاغية التي تسمي كل ما ترضى عنه من الأعمال المنكرة حرية دين، أو حرية فكر، أو حرية تجارة. وأداة من أدوات السياسة في ثوب ديني وشكل كهنوتي دفعته أولاً ليكون رائدها في الفتح وقائدها إلى الاستعمار، وأمدته بالمعونة والحماية، والصيانة والرعاية في أوطانه، وأصبحت جميع الأوطان أوطانه، حتى إذا صاح صائح بالويل، أو صرخ مستغيث قالت السياسة: اسكت فعمل التبشير من عملي، هو حر وأنا حامية الحرية، وهو إنساني وأنا منقذة الإنسانية"[1].

الإلحاد: وذلك بنشر الوعي الثقافي بين أوساط الشباب، ونشر دروس علمائها ومواعظهم التي ينظمونها في النوادي والمساجد والمدارس، وحث الجميع على التعلم والتعليم العربي وغشيان المساجد حتى يتعلموا حقائق دينهم. وهو"ضيف ثقيل حل بهذا القطر منذ انتشرت بين أبنائه الثقافة الأروباوية من طريق التعليم اللاديني أو عن طريق التقليد الأعمى، وغذته غفلة الآباء والأولياء عن هذه الناحية الضعيفة من أبنائهم... وهذه عاقبة طبيعية للإهمال المتفشي في مثل الأوساط الجزائرية؛ فإن كثيراً من الآباء يطلقون لأبنائهم الحبل على

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي بالجزائر، ص(72).

الغارب ولا يحوطونهم بالرعاية اللازمة لحماية دينهم وأخلاقهم وقوميتهم بل يكلــونهم إلى عادات فاسدة ومؤثرات ضعيفة لا تقوى على مقاومة ما يجدّ على مشاعرهم ويغزو عقولهم كل يوم من مؤثرات قوية جذّابة مسلحة بالدليل"[1].

الطرقية: وذلك بكشف حقيقتها ودحض أفكارها الباطلة القائمة على آثاراً مقطوعة الأسانيد، مخالفة لمقاصد الشرع تستهوي غفلة العامة فتنفث فيهم روح اليأس وتجــذبهم إلى صفها، وتبيان مفاسدها وأثرها السلبي على عقيدة الفرد المسلم. وهذا أحد كتّاب الشهاب يبين سبب محاربة الطرقية، يقول:" لم يتصدوا لمقاومة الطرقية إلاّ بعد أن رأوا رؤساءها قــد قعدوا للمسلمين على كل طريق للخير يصدونهم ... قعدوا على طريق التوحيد، فإذا دعونا إلى عبادة اللّه وحده وسؤاله وحده والقسم به وحده ... أبوا إلاّ أن يحلف الناس بهــم وأن يخضعوا لهم، ويرجوا تصرفهم ويخافوا دعوة شرهم ... قعدوا على طريق الاتحاد، فإن دعونا الناس إلى أخوة الإسلام أبوا إلاّ أخوة الشيخ وجماعته ... فصيّر الناس طرائق قددا، وجعلوا تحت كل طريق فرقاً ... وهكذا ما توجه المصلحون ناحيــة مــن نــواحي الإصــلاح إلاّ ووجدوا الطرقيين قد قاموا في وجوههم يصدونهم عنها، ولهذا رأوا أن لا سبيل إلى شــيء من الإصلاح إلاّ بعد مقاومتهم وكف شرهم، فابتدأناهم، ومن يلوم المصلحين بعــد هــذا الذي ذكرنا في البداءة بهم؟ "[2].

التجنيس: دعت الأمة الجزائرية إلى التمسك بالدّين الإسلامي، والمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية وعدم التنازل عن أي جزء منها، وقام ابــن بــاديس بإصدار فتوى في حق التجنيس والمتجنيسين في جريدة البصائر السنة الثالثة العدد(95) في 14 كانون الثاني 1938م كحل نهائي لإيقاف دعوة التجنيس ودعاتها عند حدودهم.

إلى جانب جريدتي المنتقد والشهاب، استطاعت البصائر بمنهجها المتميــز، وأســاليبها الراقية، ولغتها المميزة ... أن تؤدي دورها على أكمل وجه، وترقى بالمجتمع ثقافياً وأدبيــاً وفكرياً، وأن تحافظ على اللغة العربية وترتقي بها، وتعيدها إلى سالف عهدها، واســتطاعت

---

[1] - سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي بالجزائر، ص(69)

[2] - قدور بن محمد لخضر: محاربة الطرقية (مجلة الشهاب، ج05، مجلد10، محرم 1352ه الموافق ل: أفريل 1934م، ص: 213.

أن تلفت انتباه المجتمع وأفراده إلى مكانة لغته ودورها في بناء الحضارة وتكوين الإنسان وصناعة الذات للتميز عن المستعمر والاستقلال بالشخصية الوطنية الممتدة الجذور في الماضي العريق ... وبهذا وجدنا اللغة صارت أغنية وأنشودة وترانيم رددها الكبار والصغار والنساء والرجال المثقفين والأميين في كل مكان وفي كل نادي"[1].

وهكذا كانت الصحافة المكتوبة من أمضى الأسلحة التي قاومت وسائل الاستعمار التدميرية الخفية منها والعلنية، وأدت دوراً نضالياً فعَّالاً على الرغم مما لاقته من عقبات وصعوبات اعترضت سبيله. فكانت بمثابة المشعل المنير الذي أضاء سبيل الجزائريين الذين عاشوا ظروفاً عصيبة في ظل الظلم والجهل وحثها المسلمين الجزائريين على التشبث بمقوماتهم الإسلامية العربية.

ثالثاً: التعليم: رأت الجمعية أن التعليم أمضى سلاح لمقاومة العدو وطرده من أرض الوطن. عدّته "الأداة الأضمن للمحافظة على الروح الجزائرية التي كانوا يعتقدون بأنها مهددة بالابتلاع من قبل الثقافة والفكر الفرنسي"[2]. عبر عن هذا المعنى الفيلسوف المسلم **محمد إقبال** فقال:"إن التعليم هو"**الحامض**" الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء، وهو يستطيع أن يحول جبلاً شامخاً إلى كومة تراب"[3].

وقد وصف الإبراهيمي المدرسة بأنها:"جنة الدنيا، والسجن هو نارها...والأمة التي لا تبنى لها المدارس، تبنى لها السجون، ...والحياة بلا علم متاع مستعار، والوطن بلا علم عورة مكشوفة، ونهب مقسم،...وإن المدرسة هي طريق الحياة، وطريق النجاة، وطريق السعادة، وأن الوطن أمانة الإسلام في أعناقنا، ووديعة في ذمننا، فمن بعض حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع، وأن نحفظ لسانه من الانحراف، وأن لا سبيل إلاَّ المدرسة التي تبنيها بمالها، وتحوطها برعايتها، وتجعلها حصوناً تقي أبناءها الانحلال الديني، والانهيار الخلقي، وتحفظهم

---

[1] - مراد مزعاش، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر (1931 - 1954)، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2001م، ص: 125.

[2] - علي مرّاد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، ص(425).

[3] - محمد السيد يوسف: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع(القاهرة: دار السلام، ط2، 1422ه - 2004م)، ص(311).

من ترف الغنى، وذل الفقر، وتربيهم على الرجولة والقوة، وتوحيد النزعـــات، وتـــصحيح الفطرة، وتقويم الألسنة، وتمتين الإرادات والعزائم، وتغرس الفضيلة في نفوســـهم وتـــصلح فيهم ما أفسده المترل، والشارع، ونروضهم على حب الوطن، وبنائه طبقاً عن طبق"[1].

لاقى هذا الحدث الثقافي(التعليم العربي الحر) صدى نفسياً واجتماعيـــاً مـــن طـــرف التلاميذ الذين ينحدر جلهم من الأوساط الشعبية. وكانت المدرسة تشكل لجزء كبير منهم الأفق الفكري الوحيد الذي ينهلون منه العلم والمعرفة[2].

يتميز التعليم العربي الحر بأنه تعليم ذو طابع ديني، ولغوي في الغالب، مع شيء مـــن التاريخ، والجغرافيا، والعلوم والرياضيات وقد نشأ قبل الحرب العالمية الأولى بقليـــل. ولمـــا استقام عود جمعية العلماء والتحمت جهود القائمين عليها وتظافرت، سعت لتطوير مناهج التعليم بأن أدخلت على التعليم الديني واللغة العربية شيئاً من العلـــوم العلميـــة العـــصرية والمعارف الأجنبية التي نادت بتعلمها شرط أن لا تكون هي الأساس بل مكملة؛ هادفة من وراء ذلك إلى إحداث نهضة تعليمية وثقافية، وتعزيز موقع اللغة العربية بين الجزائريين كباراً وصغاراً.

فالحالة العلمية في الجزائر قبل ظهورها كمنظمة وطنية، يصفها لنـــا ابـــن بـــاديس أن العلوم كانت على نوعين: علوم تؤخذ باللسان العربي وهي علوم الدين واللسان، وعلـــوم تؤخذ باللسان الأجنبي وهي علوم الأكوان والعمران. فالفريق الذي كان يـــزاول العلـــوم الأولى على جمود تام، والفريق الذي كان يزاول العلوم الثانية على تيه وضـــلال. فهـــؤلاء يعتبرون الآخرين أحجاراً...وأولئك يعتبرون هؤلاء كفاراً[3].

فنتج عن هذا التطور أن توسعت دائرة التعليم فعمت ربوع الوطن مـــن أقـــصاه إلى أقصاه، وأخذت المدارس الحرة في الانتشار، وعدد المعلمين والمتمدرسين يتزايد، حيث"بلغ

---

[1] - رابح تركي: البشير الإبراهيمي في المشرق العربي(مجلة الأصالة، العدد(8)، السنة الثاني، جمادى الأولى 1392هـــ مـــاي - جوان 1972م، ص(261 -262). نقلاً عن جريدة البصائر، عدد 172، السنة الرابعة 19 أكتوبر 1951، ص(3).

[2] - علي مرّاد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، ص(421).

[3] - آثار ابن باديس، الجزء الثاني من المجلد الثاني، ص(332).

عدد المدارس سنة 1935م 70 مدرسة... وعدد التلاميذ 30000 بين صبي وفتاة[1]. وشهد عام 1943م وحده بناء 73 مدرسة، وهو العام الذي قال عنه الإبراهيمي إنه:"موسم حمى فائرة، أعراضها تأسيس المدارس وهذيانها الحديث عن المدارس"[2]. وسجل عام 1948م 130مدرسة عربية ابتدائية مجهزة بكل الأسباب المادية العصرية اللازمة للمدارس، وبجهاز آخر من المعنويات أعظم منها شأناً وأجل خطراً، وبجند من المعلمين الأكفاء قوامه250 معلماً، من بينهم عشرات من النوابغ في التعليم والإدارة، ومشحونة بزهاء 30000 تلميذ من أبناء الأمة بنين وبنات، **يتلقون مبادئ الدين الصحيح عقيدة وأعمالاً، ومبادئ العربية الفصيحة نطقاً وكتابة وإنشاءً، ويتربون على الوطنية الحقيقية وعلى الهداية الإسلامية، والآداب العربية**[3].

واتسم التعليم العربي الحر الذي تولاه المصلحون في أنه صيغ أساساً كتعليم ابتدائي؛ فلم يكن يتجاوز الطور الابتدائي. إلاَّ أن بعض المدارس التي يدرس به معلمون متفاوتي الكفاءات خريجي جامع الزيتونة كانت تقدم للتلاميذ النجباء شهادة الدراسة الابتدائية باللغة العربية التي تفضي بهم إلى التعليم الثانوي باللغة العربية بقسنطينة والذي بدوره يعدهم للدراسة بجامع الزيتونة بتونس ، و"كان الطفل الجزائري الذي يختلف إلى هذه المدارس العربية، فكأنما يدرس في دمشق أو القاهرة، أو بغداد كل شيء عربي وكل مادة تعليمية تقدم إليه بالعربية في لهجة فصيحة سليمة "[4]. وكانت قد وضعت لائحة داخلية للمدارس تحظر على التلاميذ والأساتذة التخاطب باللغة غير العربية؛ إلاّ عند الضرورة القصوى.

وعرف التعليم العربي الحر (الشعبي) في الجزائر ثلاثة أنواع:

التعليم المكتبي(المدرسي): وهو مدرسة عربية اللسان، خاص بالصغار. اقتصر على تعليم القراءة والكتابة، وتحفيظ القرآن كله أو بعضه. وهي طريقة عتيقة لا طائل منها،

---

[1] - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي، ص(199 - 200).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج(3)، ص(337).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج(3)، ص(313).

[4] - عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925 - 1954م) ، ص(32).

فالمتعلم فيها قد يطول بقاؤه فيها وقد يقصر، وإذا تخرج منها تجده لا يقوى حتى على قراءة جريدة أو مجلة إذا لم تكن مشكولة، وإذا تمكن من ذلك فهو لا يعي مضمونها . هذا النوع من التعليم أعطى صورة مشوهة عن اللغة العربية، والثقافة العربية، ونفر النخبة يومها من إرسال أبنائهم لمزاولة دروسهم بها. أما إدارة الاحتلال فكانت راضية عن هذه المكاتب أو المدارس.

ونفس الكلام ينطبق على **تعليم الكتاتيب القرآنية وتعليم الزوايا** التي لا تزال متمسكة بالأسلوب القديم المنتشر بالبوادي والحواضر من الابتداء بتحفيظ القرآن الكريم، وشتى المتون ثم الانتقال إلى دراسة الفقه، والنحو والصرف... الذي لا يفتح ذهنا ولا يؤهل الطالب للبحث والاستنتاج، بل تجده يتلقى كل شيء بالتسليم[1].

كما نجد هذه الميزة في **التعليم المسجدي** الذي شمل الطلبة والعامة؛ فأما العامة فهم يحضرون الدروس المسجدية لمعرفة الاعتقادات من آيات الله، ولمعرفة العبادات من كتب السنة كالموطأ، ولمعرفة الشمائل من شمائل الترميذي أو الشفاء، ويتدارسون كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. وأما الطلبة المسجديون فتقدم لهم مادة علمية منظمة يغلب عليها حفظ المتون والشروح[2]. باستثناء التعليم الذي كان يقوم به الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة(1913 - 1940م) الذي كان يوازي معاهد التعليم كالأزهر الشريف وجامع الزيتونة، وجامع القرويين بالمغرب الأقصى في التنظيم والتطور.

وقد عرف التعليم العربي الحر بكل أنواعه قفزة نوعية سنوات الثلاثينيات والأربعينيات وذلك بفضل الجهود التي بذلها عناصر جمعية العلماء في ميدان التعليم. فقد سعت إلى إصلاح والارتقاء بأساليب التعليم المكتبي الذي عرف انتشاراً واسعاً أيامها بالحواضر والقرى وأخذه في التروح إلى البوادي"ولولا العرقلة لعمّ الوطن كله وأصبحنا في أزمة تعليمية من قلة المعلمين لا من زهد المتعلمين"[3]. وذلك ببسط القواعد للتلاميذ وعرضها

[1] - رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية(1931 - 1956)، ص(256 - 260).

[2] - محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي(حياته العلمية ونضاله الوطني)، ص(147 -148).

[3] - المصدر نفسه، ص(184).

في أسهل التراكيب وتكثيف التمارين التطبيقية التي تساعد على الفهم، وتثبيته في الأذهـــان، الاعتناء بالمعنى أكثر من اللفظ، وإفهام المتعلمين معنى ما يدرسونه، والاجتهاد في تربية ملكة الذوق والاستنتاج في نفوسهم ومحاولة إصلاح لهجات الحديث التي حرفتها العاميـــة عـــن سبيلها العربي، وتقويم الألسنة على الحروف العربية مخرجاً وصفة حتى يستقيم نطق المتعلمين العربي[1].

هذا، وقد اهتمت جمعية العلماء في برامجها الدراسية في باب التعليم المكـــتبي بقـــراءة القرآن لأنه كما يقول الإبراهيمي:"سلاحها الذي به تناضل، وسيفها الذي بـــه تـــصول، وعدتها في الشدة، وعلى الدعوة إليه بنت مبدأها الإصلاحي، وفي الدعوة إليه لقيـــت الأذى ورميت بالعظائم"[2].

وكانت قد انتقت من الكتب المدرسية ما هو أقرب إلى الإفادة وأعون على تحـــصيل الملكة العلمية، وتجنب الكتب الجامدة التي لا تفتق ذهناً، ولا تبعث في نفس الدارس نشاطاً، ولا تساعد على تكوين ملكة البحث والاستلال لدى المتعلمين. فنجد على سبيل المثـــال في القسم الابتدائي والقسم المتوسط قد قررت كتباً دراسية جزائرية منها ولبنانيـــة وتونـــسية ومغربية ومصرية لعدم وجود مؤلفات مدرسية جزائرية في كل المواد الدراســـية مـــا عـــدا التاريخ والجغرافيا ورغبة منها في توحيد التكوين العام للشباب العربي في مختلف أقطار الأمة العربية. كتاب**"دروس التاريخ الإسلامي" للخياط** بالنسبة للتاريخ العام وكتابـــا **مبـــارك الميلي** و**أحمد توفيق المدني** بالنسبة **لتاريخ الجزائر**. كتب مكتبة الأطفال في القراءة لـــ**كامل كيلاني** أو كتاب**"القراءة واللغة العربية"** للأستاذين **صادق السبعي** و**أحمد صفر**. وكانت تختار للمطالعة في مختلف العلوم الكتب الحية السهلة العبارة، الحديثة التأليف، التي تجـــذب التلاميذ إلى التعليم، وتشوقهم إلى القراءة، وتحببهم في المطالعة وتغرس في نفوســـهم حـــب العلم والبحث والاستزادة من المعرفة. كما كانت ترشد المعلمـــين والتلاميـــذ إلى كيفيـــة

---

[1] - رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية(1931 - 1956)، ص(260).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي بالجزائر، ص(65).

المطالعة، طرائق البحث في التاريخ، والاجتماع، والأدب، وتاريخ الرجال. كما كانت ترشدهم إلى البحث والدراسة في أمهات كتب التراث العربي قديمه وحديثه[1].

أما فيما يخص المعاهد الثانوية، نجد **معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس(1947-1957م)** الذي تعتبره "تاجاً لمدارسها، وغرة لأعمالها، بل أعظم أعمالها خطراً، وأعلاها قدراً، وأكثرها نفعاً، لأنه يعمل على تهيئة أبناء الأمة لأن يصبحوا قادة لحركاتها، ومسيرين لنهضاتها في جميع الميادين"[2]. فمنه تتخرج البعثات العلمية التي يتم إرسالها إلى معاهد وجامعات الأقطار العربية في المشرق، والمغرب. وقد لبت مشيخة الزيتونة طلب ورغبة الجمعية لأن يكون المعهد فرعاً لجامع الزيتونة بالجزائر بهدف توحيد التعليم في المعاهد العربية الإسلامية الكبرى في الوطن العربي تمهيداً لوحدة الفكر. وبرنامج الدراسة بالمعهد هو برنامج السنوات الأربع الابتدائية في جامع الزيتونة فيما عدا مواد التاريخ والجغرافيا، والأدب العربي، فإنه يختلف عنه بعض الشيء حيث كانت تعطى أهمية خاصة لتاريخ الجزائر وجغرافيتها، وتاريخ الأدب العربي ونصوصه في الجزائر. والمواد العلمية المدرجة بخطة الدراسة في السنوات الأربع هي: القواعد، القرآن والدين والأخلاق، التوحيد، الجغرافيا، التاريخ، النصوص الأدبية، البلاغة، تاريخ الأدب، الرسم والإملاء، التجويد، اللغة الفرنسية، الحساب والهندسة، والعلوم."وفيه أقسام إضافية للفرنسية خاصة بحاملي شهادتها الابتدائية، لإرسالهم إلى أوروبا للتخصص في العلوم الصناعية"[3]

استمر المعهد يؤدي رسالته التي أنشئ من أجلها وهو"ضمان تكوين أجيال جزائرية تجمع بين السلوك الطيب، والتحصيل العلمي القوي، والتربية القومية المتينة، حتى يكونوا قدوة لغيرهم في علمهم وأخلاقهم وسلوكهم، ووطنيتهم"[4] بكفاءة ونجاح حتى صيف عام 1957م حيث صدر قرار من إدارة الاحتلال بإغلاقه والاستيلاء على جميع مؤسساته، وقام

---

[1] - رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية(1931 - 1956)، ص(261 - 262).

[2] - رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص(281 - 282).

[3] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(177).

[4] - رابح تركي: التعليم القومي، ص(285).

الجيش الفرنسي بالاستيلاء عليه وتحويله إلى ثكنة عسكرية، ولم يخرج منه إلاَّ بعد الاستقلال في عام 1962م.

وكانت قد اهتمت بتوحيد مناهج التعليم العربي الذي لم يتم بصورة شاملة إلاَّ بعد الحرب العالمية الثانية -برامجه وكتبه ونظمه- بهدف"تكوين رجال يكونون بناة نهضة، ودعاة إسلام، وجهاد ونضال، ووقوف بالمرصاد للاستعمار الذي أقام سياسته على أساس محاربة مقوماتنا الروحية، والثقافية، حتى يسهل عليه أن يبتلعنا ويقضي على شخصيتنا قضاء مبرماً"[1] فراحت تعقد لذلك مؤتمراً عاماً في نادي الترقي بالعاصمة يومي 22-23 سبتمبر سنة 1937م تحت عنوان"**مؤتمر المعلمين الأحرار**".

توجس الاستعمار من نشاطها؛ فراح يستصدر قوانين جائرة كالقانون الذي أصدره"**شوطان**" وزير داخلية الجزائر**(قانون العقاب الرهيب)** الصادر في 8 مارس 1938م القاضي بإغلاق جميع المدارس العربية الحرة التي لا تحمل رخصة عمل، والسماح للمعلمين المأذون لهم من مزاولة وظائفهم في المدارس المرخصة. وأخطر بنود القرار على الإطلاق اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية يجب القضاء عليها باعتبارها مقوماً أساسياً من مقومات الشخصية الوطنية، فالقضاء عليها يعني القضاء على الثقافة العربية الإسلامية وبالتالي القضاء على الشخصية الجزائرية"وهكذا كان تطبيق هذا المرسوم بمثابة ضربة قاسية لعمل الإصلاحيين المدرسي. وتجلت هذه الضربة في توقيف الانتشار الثقافي للحركة الإصلاحية وانحسار التعليم العربي الحر في الجزائر الذي تعاظم إلى غاية الحرب 1939م"[2]فشرد تسعة على عشرة من أبناء الشعب، لولا أن استمرت مدارس جمعية العلماء مفتوحة رغم العنت والإرهاق والتضييق، فكانت نافذة للرحمة والعلم"[3].

وعن مكانة اللغة العربية في تكوين الشخصية الجزائرية يتحدث الإبراهيمي:"اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية، ولهذه اللغة على

[1] - رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص(265).

[2] - علي مرّاد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، ص(415).

[3] - عبد الحميد ابن باديس: تفسير بن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص(714).

الأمة الجزائرية(الشعب الجزائري) حقان أكيدان: كل منهما يقتضي وجوب تعلمها، فكيف إذا اجتمعا، حق من حيث أنها لغة دين الأمة بحكم أن الأمة مسلمة، وحق أنها لغة جنسها، بحكم أن الأمة عربية الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معاً"[1]. وهي من جهة أخرى كما يقول عبد الحميد بن باديس:"الرابطة التي تربط ماضي الجزائر المجيد، وحاضرها الأغر، ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين، والجنسية، والقومية، ولغة الوطنية المغروسة"[2].

إلاّ أن الجمعية تصدت لهذا القرار المشين وذلك بأن أبرق ابن باديس ببرقية شكوى إلى رئيس الوزراء الفرنسي **دلادي** يستنكر فيها الوضع المزري الذي آل إليه التعليم العربي الحر من جراء هذا القانون التعسفي، يطالبه بالتدخل الفوري. وهذا نص البرقية كما نشرت في العدد 156من جريدة **"البصائر"** الصادرة يوم الجمعة 18محرم 1358هـ الموافق لـ:10مارس 1939م[3]:

رئيس الوزارة الفرنسية؛ السيد **دلادي**

باريس

يا جناب الوزير: إلى اليوم، وفي هذه الظروف ما يزال التضييق متوالياً ومتزايداً على التعليم الإسلامي؛ فالمساجد محجَّرة، وكثير من المدارس معطَّلة، وكثير من الكتاتيب القرآنية مغلقة، وكثير من المعلمين متابعون في المحاكم، ومئات الآلف من أبنائنا مشردون في الشوارع. يمتثل الشيوخ للقانون فيطلبون رخص التعليم ويقدِّمون جميع اللوازم، فلا يُسمع لهم صوت بل كثيراً ما نُزعت الرُّخص من أيدي أصحابها. كل هذا من آثار قانون 8 مارس المطبق على التعليم الإسلامي تطبيقاً جائراً مغرضاً، يمنع الرخص عن أهلها، وبترعها منهم، بينما التعليم الأجنبي والأجنبي المعادي يتمتع بكل حرية واحترام!

---

[1] - البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، دار المعارف بالقاهرة، سنة 1963، ص16.

[2] - رابح تركي: التعليم القومي، ص(55).

[3] -ابن باديس: **البصائر** الصادرة يوم الجمعة 18محرم 1358هـ الموافق لـ:10مارس 1939م

يا جناب الوزير: إنني في هذا اليوم -يوم 8 مارس الذي هو من أسوأ الأيـــام في تـــاريخ الإسلام بالجزائر - أرفع إليكم باسم الإسلام كلمة الاستنكار التام لهذه الحال، وأقدم إليكم باسم المسلمين مُرَّ الشكوى من هذه المعاملة الخاصة التي تركت في القلوب أســـوأ الآثـــار، وأوجع الآلام، راجياً منكم أن تتداركوا الأمر بما عُرف عنكم من حكمة وبُعد نظـــرٍ ووزنٍ للأحوال.

لكم باحترام

عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء الجزائريين.

وواصلت عملها التعليمي إلى أن أصبح الشعب الجزائري يطالب الاستعمار مطلباً سياســـياً ينص على اعتبار اللغة العربية لغة وطنية رسمية تدَّرس في المدارس، ويحاكم بهـــا في المحـــاكم الوطنية، وتكتب بها الأوراق الإدارية

كما أمل ابن باديس مراراً وتكراراً في إنشاء جامعة إسلامية، وقد حاكى كثيراً الإدارة الفرنسية بذلك. وقد أدلى بتصريح للجريـــدة الإصـــلاحية ذات اللـــسان الفرنـــسي" **La Défense**" فيما معناه:"لقد طالبت بكل الإلحاح الذي يقتضيه الواقع الحالي بإنشاء جامعـــة إسلامية تحاكي من حيث جميع الوجوه الجامعات الموجودة عند إخواننا في الدِّين وجيراننـــا بالشرق، وهذا إما في العاصمة أو في إحدى المدن الجزائرية الكبرى"[1].

ويدافع الإبراهيمي عن اللغة العربية فيقول: "اللغة العربية في الجزائر ليست غريبـــة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتـــها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي، لأنـــها دخلت هـــذا الـــوطن مـــع الإسلام على ألسنة الفاتحين، ترحل برحيلهم، وتقيم بإقامتهم. فلما أقام الإســـلام بـــهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد، وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح مـــادام

---

[1] - علي مرّاد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، ص(420).

الإسلام مقيما لا يتزحزح، ومن ذلك بدأت تتغلغل في النفـــوس، وتستـــساغ في الألـــسنة واللهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه"[1].

وبهذا، تكون جمعية العلماء قد نجحت في تحقيق المكاسب الضخمة بالمحافظة علـــى مقومات الشخصية الجزائرية: اللغة العربية، الدين الإسلامي، الثقافة العربية الإسلامية، التاريخ العربي الإسلامي للجزائر، والوطن الجزائري. وبفك حصار الجهل الذي حاولت فرنسا وأذيالها من الأمة الجزائرية فرضه على الشعب الجزائري مؤدية بـــذلك واجـــب البلاغ المبين الموافق لكتاب الله وسنة رسولهε، ومحتسبة إياه للمولى سبحانه.

ويشيد الإبراهيمي بنجاح الجمعية في إعادة إحياء اللسان العربي، فيقـــول:"ونجحـــت الجمعية -أيها الإخوان- في إلفات الأنظار إلى شيء لم يكن بيننا منسيًا، وإن كـــان مجفـــواً وهو هذا اللسان العربي الشريف الذي هو قطعة من كياننا التاريخي وشرط أساسي لوجودنا القومي وشهادة قاطعة بصحة نسبنا الديني ونسبنا الجنسي...وقد أشرفت هذه اللغة الشريفة على الاضمحلال بهذه الديار لولا أن تداركتها جمعية العلماء وأخذت بيدها وانتشلتها مـــن الحضيض الذي وصلت إليه، فاستعادت على يدها شبابها، ووصلت بسبب الدين الحنيـــف أسبابها، وأصبحت الجزائر في مدة قليلة تفاخر أمصار العربية الكـــبرى ومنابتـــها الأصـــلية بأدبائها وكتابها وشعرائها وخطبائها"[2]

رابعاً: الجمعـــيات والنوادي الثقافية الإصلاحية: لم يقف نشاط جمعية العلماء عند بناء المساجد وإنشاء المدارس وتأسيس الصحف؛ بل تعداه إلى تنظيم النـــوادي مراكـــز التثقيـــف والتوعية والتعليم والإعلام والتهذيب الغاية من فتحها هو"إصلاح ما أفسدت المقاهي والملاهـــي من أخلاق الشباب، وكلها ميادين للعمل ومنابر للخطابة ومستغلات للعلم والتعلـــيم"[3]، أيـــن تلتقي كل فئات المجتمع، وتعقد فيها ندوات واجتماعات ومؤتمرات بحضور شخـــصيات مـــن

---

[1] -محمد الطاهر شوشان: البعد الاجتماعي والسياسي لفكر البشير الإبراهيمي.

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، ج(1)، ص(285-286).

[3] - محمد زرمان: الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، ص(292).

عواصم الشرق، وتقدم فيها محاضرات ودروس تتناول مواضيع دينية واجتماعية وسياسية"فعلت تلك المحاضرات فعلها في الجمهور الجزائري، وآتت أكلها سائغاً هنيئاً وأصبحت غــذاء لــذلك الجمهور، ومادة من مواد تعليمه، وصلة بينه وبين الجمعية. وفي أصداء تلك المحاضرات أوصلت الجمعية ندائها إلى القلوب، وأصبحت تخاطب الضمائر لا الآذان، وفي إشراق تلك المحاضــرات وصلت إلى الغاية التي ترمي إليها وهي توثيق التعاون بينها وبين الأمة على تعليم النشء وتكوين جيل صالح للحياة متحد النزعات، متجاوب الخواطر والمقاصد، يحرر الوطن من الاســتعمارين الروحي و المادي"[1]، وتقام فيها الأسمار، وتمثل فيه المسرحيات، وتتلاقح فيها الأفكار، وتتبــادل فيها الآراء، وتقرأ فيها الصحف العربية والكتب الجديدة، وتتناقل فيها الأخبار، وتنــاقش فيهــا قضايا الساعة، وتلقى فيها الأشعار والأبحاث الهامة....إذ يعتبر"همزة وصل بين المدرسة والمسجد لأن هناك أعداداً هائلة من الشباب الجزائري لم تجد الجمعية أية وسيلة لتبليغهم المبادئ الإسلامية والثقافة العربية إلاَّ بها"[2].

عرفت جمعيات ونوادي الجمعية سنوات الثلاثينيات توسعاً وانتشاراً كبيرين مــس كامــل القطر عدا مناطق الجنوب التي كانت موضوعة تحت المراقبة العسكرية الفرنسية، حيث بلغ عدد نوادي الجمعية " أكثر من سبعين نادياً تحمل رسالتها و تضم أتباعها"[3] أهمها: نــادي الترقــي بمدينة الجزائر العاصمة مسقط رأس جمعية العلماء، وأول نادي في شمال إفريقيــا وأكــبر قلعــة للإصلاح في الجزائر أنشىء سنة 1926م، ونادي صالح باي بقسنطينة الذي أصبح يعرف فيمــا بعد بنادي الشيخ عبد الحميد بن باديس، ونادي الاتحاد بقسنطينة، والنادي الإسلامي في الميلــة، ونادي التقدم في البليدة، ونادي النجاح في سيدي بلعباس، ونادي العمل في سكيكدة، ونــادي الشبان المسلمين في قالمة. وبلغ الصراع أوجه عندما أصدرت فرنسا قانون 20 جــانفي1937م القاضي بعدم السماح ببيع أنواع المشروبات العادية داخل النوادي؛ إلاّ بطلب تــرخيص مــن

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي آثار الإبراهيمي، ج(04)، ص(242).

[2] - سامية جفال: منهجية التغيير عند ابن باديس، ص(292).

[3] - أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث (الجزائــر: المؤســسة الوطنيــة للكتــاب، ط(03)، 1985)، ص(117).

الإدارة الاستعمارية بهدف تعجيزها عن مواصلة مشوارها الإصلاحي."وأما النوادي فقد تحدت الجمعية القرار المتعلق بها واستمرت على إلقاء المحاضرات فيها واستعانت بعزائم الشبان التي لم تتأثر بآثار ذلك القرار السخيف، والأمر على ذلك إلى الآن، والحرب بيننا وبين الحكومة في شأنها سجال، والمخالفات والتغريمات تملأ السجلات"[1].

يقول الشيخ الإبراهيمي:"أن جمعية العلماء ترى أن النوادي الإسلامية التي تؤسسها أو تشرف عليها هي وسط جامع بين المدرسة والجامع لأن هناك طائفة عظيمة من شباب الأمة لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغه دعوة الدين والعلم إلاَّ في تلك النوادي"[2].

ويعد **نادي الترقي**"أول ناد أنشئ على النظام الحديث وكان له من النظام والاتساع وجسم الإدارة ماجعله يسهم بدور فعال في تاريخ الجزائر الحديث فقد احتضن الحركة الوطنية منذ 1925م حيث عقدت فيه المؤتمرات الهامة وانبثقت عنه كثير من الأفكار الوطنية كفكرة جمعية العلماء والمؤتمر الإسلامي ومشروع البصائر إلى جانب ذلك كان ملتقى السياسيين وجمهور العلماء والمثقفين وكان مثابة الأدباء والشعراء تلقى فيه الخطب الحماسية والقصائد الرائعة والأبحاث الهامة في مستواها الشعبي وفي مستواها العلمي أحياناً أخرى"[3].

وسائل أخرى: إلى جانب الوسائل الإعلامية السابق شرحها، نذكر وباختصار وسائل أخرى منها: 1 -**التجمعات والمؤتمرات:**

***المؤتمر الإسلامي الجزائري** الذي دعا إلى انعقاده عبد الحميد بن باديس بالجزائر العاصمة يوم الأحد 7جوان 1936م. شارك فيه إلى جانب أعضاء جمعية العلماء، الأحزاب والتنظيمات السياسية والذي تحددت على إثره مجموعة من مطالب عامة: سياسية، اقتصادية، علمية، عربية قومية توجهت بها إلى الحكومة الفرنسية، تمثلت في:

-اعتبار اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية وإدراجها في التعليم.

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(174).

[2] - عيون البصائر، ص(27).

[3] - أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث(دار الأدب، ط2، 1977)، ص(124).

-فصل الشؤون الدينية عن الإدارة الاستعمارية وذلك بتسليم المـــساجد إلى الجمعيـــات الدينية الإسلامية، وتنظيم القضاء الإسلامي ورفع مستواه، وتأسيس كلية لتكوين الأئمة.

-إلغاء القوانين الاستثنائية الجائرة والتسوية بين الفرد الجزائـــري والفـــرد الفرنـــسي في الحقوق والواجبات والمعاملات والمجالس[1]...

تم تقديمها إلى رئيس الحكومة الفرنسية **ليون بلوم** يوم 23 جويلية 1936م مـــن طـــرف وفد المؤتمر والذي ضم 16عضواً منهم: ابن باديس، والبشير الإبراهيمي متوجهاً إلى فرنسا. إلاّ أن هذه المطالب بقيت رهن المماطلة والتسويف إلى حين صدور قرار ينص على الرفض المطلق لبنود المؤتمر وإجهاض آماله في المهد.

***مؤتمر المعلمين الأحرار**[2]**:** انعقد تحت إشراف جمعية العلماء بنادي الترقـــي بـــالجزائر العاصمة يومي الأربعاء والخميس 22-23 سبتمبر 1936م لتبادل الآراء فيما يهـــم التعلـــيم العربي الحر ومدارسه ومساجده ونظمه وأساليبه، والغاية المنشودة من ذلك هي التوصل إلى توحيد مناهج التعليم العربي.

استطاعت الجمعية من خلال هذا الثالوث الحيوي(المدرسة - النادي - المسجد) وغيره، أن تعيد الثقة إلى نفوس الشباب وتهذبها، وتنعش فكرهم، وتبث فيهم الأخلاق العالية وتفهمهم دورهم السياسي والوطني الذي ينتظرهم.

الرحلات العملية التفقدية:

رحلات ابن باديس العملية داخل وخارج الوطن[3]: سجَّل الرحَّالة الداعية المـــصلح الشيخ عبد الحميد ابن باديس في حياته الدعوية **سبع** رحلات داخـــــــل وخارج الوطن وعنون كل رحلة عند نشرها بعنوان خاص بها، **خمسة منها داخل الوطن**، أول رحلة منـــها كانت سنة 1929م وخصت **مدن وقرى الجهة الشرقية**(الحروش، عزابة، سكيكدة، العلمة،

[1] - للمزيد؛ أنظر الملحق رقم(3) من كتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائـــر لأحمـــد الخطيـــب، ص(275-276).

[2] - آثار ابن باديس، ج(04)، ص(238).

[3] - المصدر نفسه، ج(4)، ص(297 - 324).

مجازالدشيش، سيدي مزغيش، عين مليلة، أم البواقي، عين البيضاء، مسكيانة) وحملت عنوان عام"**للتعارف والتذكير**"، الثانية منها شملت **منطقة القبائل**(سطيف، برج بوعريريج، تازمالت، أقبو، سيدي عيش، بجاية، عزازقة، تيزي وزو، دلس، عين الحمام) في شهر جويلية سنة 1930م وكانت قد حملت عنواناً خاص"**جولة صحفية**"، والثالثة قادته إلى مدن من **وسط الوطن وغربه**(مليانة، خميس مليانة، الشلف، غليزان، مستغانم، أرزيو، وهران) سنة 1931م وكان عنوانها"**في بعض جهات الوطن**"، واتجه في الرابعة إلى **بسكرة** سنة 1932م وحملت عنوان"**ثلاثة أيام ببسكرة**"، وعاد في الخامسة إلى **غرب الوطن**(المدية، البرواقية، قصر البخاري، البيض، وهران، سيدي بلعباس، عين تموشنت، تلمسان، مغنية، الغزوات، ندرومة، آرزيو، مستغانم، غليزان) سنة 1932م وكانت قد حملت لفظ الرحلة في عنوانها"**رحلتنا إلى العمالة الوهرانية باسم الجمعية**".

هدف الشيخ ابن باديس من وراء هذه الجولات الاستطلاعية التفقدية الداخلية، التي فرح بها أهالي المناطق من أعيان ومثقفين وعامة التي زارها مستقبلين إياه بحفاوة وترحاب، ملتفين حوله للسؤال ومحاورته وسماع المحاضرات ودروس الوعظ والتذكير، التي محورها أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية في المساجد والأسواق العامة والمتاجر والنوادي وذلك في هدوء وسكون. ويوضح ابن باديس ذلك فيقول:"ما كنت أدعوهم في جميع مجالسي إلاَّ لتوحيد الله، والتفقه في الدِّين، والرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، ورفع الأمية، والجد في أسباب الحياة من فلاحة وتجارة وصناعة، وإلى اعتبار الأخوة الإسلامية فوق كل مذهب وطريقة وجنس وبلد وإلى حسن المعاملة والبعد عن الظلم والخيانة مع المسلم وغير المسلم، وإلى التزام القوانين الدولية التي لابد منها لحفظ النظام"[1] إلى الاتصال بالناس والاحتكاك بهم ومعرفة أوضاعهم الدينية والاجتماعية وما يشغل بالهم واهتماماتهم وتعليمهم توجيههم في أمور حياتهم ودينهم وحثهم على الفضائل وأعمال الخير والإحسان من بناء المساجد وكل ما يصلح دنياهم وآخرتهم وداعياً إياهم إلى التآزر والتآلف والتآخي مسترشداً في ذلك بقوله

[1] - آثار ابن باديس، ج(4)، ص(297).

تعالى:[**إنما المؤمنون إخوة**]، ومعرفاً إياهم بجمعية العلماء ومقاصدها ودفع الشبه عنها التي يلصقها رجال الطرق الصوفية بها"وكنت بعد الدرس أعرف الناس بالجمعية ومقاصدها حسبما هو مبين في قانونها الأساسي، وألخص لهم وصايا الجمعية في هذه الكلمات الثلاث: تعلموا، تحابوا، تسامحوا"[1].

و**رحلتين خارج الوطن**؛ الأولى إلى **تونس**[2] في ربيع الأول(1356هـ - 1937م) بمناسبة إحياء ذكرى رحيل أستاذه الشيخ **البشير صفر**. هناك حظي بلقاء جموع من العلماء والأدباء والسياسيين ورجال الأعمال المشهورين بتونس وبالشمال الإفريقي. وكان قد ارتجل خطاباً بعنوان"**في سبيل الوحدة**" نوّه من خلاله ببعض خصال الفقيد المحتفل بذكراه، كما ألقى محاضرة أخرى بعنوان"**الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري الشقيق**" والذي تحدث فيها على أن نهضة المغرب العربي لا تكون إلاّ بتضامنه، وعرض فيها الحالة العلمية والسياسية قبل وبعد ظهور الجمعية. والثانية رحلته السياسية الوحيدة إلى أوربا وبالضبط إلى **فرنسا**[3] صحبة وفد رسمي **المؤتمر الإسلامي الجزائري** سنة 1936م لتقديم مطالب الأمة الجزائرية إلى الحكومة الفرنسية. وتبقى الغاية المثلى من كل هذا خدمة القضية الجزائرية وتحريره من أوضار الطرقية ودمار الاستعمار.

رحلات البشير الإبراهيمي: إلى جانب الجولات التي قام بها داخل أرض الوطن، يحدثنا أحمد توفيق المدني أحد تلامذته الذين كان أسعفهم الحظ لمواصلة دراستهم خارج الوطن وممن نالوا نصيباً وافراً من توجيهاته القيمة التي كان الإبراهيمي يوجهها لهم عندما عندما يكون بالخارج فقال:"يقضي سحابة يومه في البناء والتعمير، ويقضي سواد ليله في التدبير والتفكير، و لم نكد نعرف له خلال هذه الملحمة مقراً معلوماً، إلاّ السيارة يمتطي

---

[1] - آثار ابن باديس، الجزء الثاني من المجلد الثاني، ص(318).

[2] - المصدر نفسه، ج(04)، ص(325 -336).

[3] - عمر بن قينة: رحلات المصلح الجزائري المفكر عبد الحميد بن باديس في داخل الجزائر وخارجها(الموافقات: العدد السادس، السنة السادسة، 1481ه(1997 - 1998م)، ص(629).

متنها الأيام والليالي يخترق بها النجود والوهاد، **فما من مدينة، وما من قرية ، وما من مضرب من مضارب البدو، إلاَّ غشيها**، وبث فيها الروح، وغرس فيها بذور النهضة"[1].

غادر البشير الإبراهيمي مطار الجزائر العاصمة يوم الجمعة 7مارس 1952م باتجاه المشرق العربي سفيراً للجزائر وبتفويض من إدارة الجمعية وبطلب من جمعية العلماء. كانت بواعث رحلته إلى الأقطار الإسلامية هو دراسة أحوال المسلمين في مواطنهم وما يعانوه من تمزق وتشرذم وانحلال وإلحاد وانغماس في الشهوات والملذات عن عيان، والتعرف إلى قادة الرأي من رجال الإسلام والاتصال بهم، والامتزاج بمجتمعاتهم. والتعاون إلى جانب القادة في تشخيص أمراض وعلل المسلمين المشتركة التي لازمتهم قروناً، والبحث عن وسائل علاجها، وجمع كلمة المسلمين حتى يكون العلاج أسهل وأقرب نفعاً، ثم تمكين أسباب التعارف بين قادة المسلمين[2].

والتي استغرقت **أكثر من عامين**(1952 - 1954م). كانت البداية نزوله بالعاصمة الفرنسية **باريس** التي لبث فيها يومي السبت والأحد لإدارة اجتماع مع أعضاء شعبة الجمعية المتواجدة هناك. وفي اليوم العاشر من مساء الاثنين مر **بالقاهرة** على نية العودة إليها، والذي امتدت إقامته فيها إلى **تسعة أيام** أين اجتمع بعلماء أجلاء وكتاب وصحفيين وشخصيات ذوي مكانة اجتماعية وطلبة مهاجرين للعلم من أبناء الجزائر كانوا يترددون عليه في الفندق. وزار صروح العلم وألقى درساً في المركز العام للإخوان المسلمين.

وكان قد اختار **باكستان**(من مارس إلى جويلية 1952م)كنقطة بداية لرحلته الاستطلاعية لما اجتمع فيها من خصائص منها: ميولها الإسلامية وهي صفة ثابتة في شعبها، واحتوائها العلماء والمفكرين والكتاب المسلمين، وإقامتها لمؤتمرات تعني الشؤون والقضايا الإسلامية خاصة منها السياسية، واستعداد أهلها لتقبل النصح والتوجيه من كل مرشد مخلص، ولها تاريخ عريق ورقعة واسعة ونسبة عدد السكان مرتفعة مما يجعلها رأس مال

[1] - أحمد توفيق المدني: الإبراهيمي كان أمة، كان جيلاً، كان عصراً.." الثقافة، العدد87، ص44.

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج(4)(1952 - 1954)، ص(60).

ضخم للإسلام، أنها دولة تتواجد بها مذاهب دينية كثيرة يجهلها كثير من المسلمين، ففي الاتصال بها تعريف لها وتعريف بها[1].

بعدها حط الرحال بـ**العراق**(من جويلية إلى أوت 1952م)، ثم اتجه إلى **المملكة العربية السعودية**(من أوت إلى أكتوبر 1952م)، **فمصر**(من أكتوبر 1952 إلى ماي 1953م)، ثم زار دولة **الكويت وبغداد ودمشق وعمّان ومكة**(من ماي إلى أوت 1953م)، ثم في **مصر**(من أوت إلى ديسمبر 1953م)، **القدس وعمّان ودمشق وبغداد ومصر**(من ديسمبر 1953 إلى أكتوبر 1954م).

وكانت بداية الأعمال العامة **بإلقاء محاضرات** في مساجد كراتشي بدولة باكستان قبل صلاة الجمعة مستعيناً بمترجم يصحبه أينما حل، يترجم له محاضراته وخطبه ودروسه إلى اللغتين **الأوردية** أو **الإنجليزية** المتداولتين بالمنطقة؛ لأنه لا حظ له في شيء من اللغات الأجنبية. وكان قد ألقى محاضرة عنوانها**"وظيفة العالم الديني"** التي فيها وظيفة عالم الدين التي تنحصر في التربية والتعليم وشبه رجل الدين الإسلامي بالحارس"والحارس إذا نام دخل اللص، والعالم الديني راع، والراعي إذا غفل هجم الذئب، والعالم الديني ربَّان، والربان إذا لم يأخذ الحيطة غرقت السفينة، والعالم الديني قائد كتائب فإذا عداه الضبط اختلت الصفوف وحلَّت الهزيمة"[2]. **والزيارات**، حيث زار وزراء وشخصيات سياسية إما في دار سكناهم أو مقراتهم الرسمية. وقد دارت جل الأحاديث حول باكستان والإسلام وقضايا المسلمين، والجزائر وجمعية العلماء. كما **عقد ندوات صحافية** يحضرها مثقفون باكستانيون وصحفيون الذين كانوا ينشرون أخبار رحلته"فتقرأ في اليوم الثاني في جميع جرائد باكستان، وهي مئات"[3].

أسفرت جهوده في هذا الميدان على حصوله على مساعدات مالية من مختلف الأقطار العربية، ومنح دراسية لطلبة جزائريين من مختلف الجامعات والمعاهد العربية الإسلامية، كما

---

[1] -المصدر نفسه،ج(4)(1952 - 1954)، ص(33).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج(4)(1952 - 1954)، ص(61).

[3] - المصدر نفسه،ج(4)، ص(51).

كان له أن عرَّف بالقضية الجزائرية وبالشمال الإفريقي كله، وبجمعية العلمـــاء المـــسلمين الجزائريين ومختلف أعمالها للإسلام والعربية.

فكما كان ابن باديس، كانت جولات الإبراهيمي في طول البلاد وعرضها، ودروسه وخطبه ومحاضراته، وأحاديثه الخاصة والعامة، ومقالاته في "البصائر": كلها تـــدور حـــول إيقاظ الوعي الديني الحقيقي، وتنقية الفكر الإسلامي من الخرافات والأباطيل والبدع، الـــتي شوهت وجه الدين الجميل، وأضافت إليه الزوائد والشوائب ما كَّر صفاءه، ولوَّث نقـــاءه، ومن المحدثات ما عسَّر الدين الذي أراد الله به اليُسر و لم يرد به العُسر، وما جعل فيه مـــن حرج"[1].

3 -**الإذاعة:** كما خدم القضية الجزائرية في الميدان الإعلامي عن طريق الكلمة المنطوقة أو بالأحرى عبر موجات الأثير؛ وذلك من خلال الأحاديث التي كان يلقيها في **الإذاعـــات العربية** خاصة منها إذاعة **"صوت العرب"** سنة 1955م، التي كان لها دور كبير في التعريف بالوضع المتأزم بالجزائر يومها ودعوة الشعوب العربية إلى دعم الشعب الجزائـــري ماديـــا؛ بتوفير الأسلحة والمعدات الحربية، ومعنوياً بتشجيعهم وبث الحماس بين أظهـــر المجاهـــدين. كما كان لها صدى إيجابياً وفعَّالاً في شحن صدورهم بالإيمان وضرورة المواجهة وتحريضهم على النيل من الاستعمار.

4 -**التأليف:** يكاد يكون الحديث عن التأليف قليلاً لأسباب مادية حالـــت دون ذلـــك منها غياب المادة الأولية والمتمثلة في الورق وممولين ومطابع مما يضطر بعض علماء الجمعيـــة يومها إلى طبعها بالمشرق مثلما حصل مع الشيخ **محمد الـــسعيد الزاهـــري** الـــذي طبـــع كتابه**"الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"** في مـــصر ســـنة 1929م ثم في دمـــشق ســـنة 1934م[2]. وأسباب اجتماعية تمثلت في التخلف والجهل المتفشي بين أوساط الشعب الـــذي يحرمه من الإطلاع والقراءة والتي تكون محفزاً للتأليف. كل ما كتبه المصلحون من مقالات

---

[1] - يوسف القرضاوي: مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمـــي(بـــيروت: المكتـــب الإســـلامي، ط1، 1428هـ/ 2007م)، ص(60).

[2] - مفيدة بلهامل: وسائل الاتصال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص(566).

صحفية تم نشرها في الجرائد والمجلات. إلى جانب هذه الأسباب وغيرها نجد ابن باديس يقل تأليفه لكثرة الأشغال التي تستوعب كل أوقاهما(تفقد المنجزات أو تدشينها، الوعظ والإرشاد) وخوفاً منها من أن تتعطل أو تختل وصعوبة المهام وكثرة التنقل بين الدول العربية بالنسبة للبشير الإبراهيمي للتعريف بتاريخ الجزائر المجيد ثم التعريف بنهضتها الإصلاحية التربوية، فضلا عن المضايقات الاستعمارية والتهديدات والمتابعات القضائية وكذا ظروف السجن والنفي وما يخلفه من آثار نفسية واجتماعية. وقد سبق الحديث عنه في **المبحث الثاني** من **الفصل الثاني**.

يبدو من خلال ما سبق، أن رسالة المسجد، والصحافة، والمدرسة، والنادي واحدة في المفهوم والمغزى مع اختلاف في طريقة الطرح وتوصيل المعلومة وذلك تبعاً لنوعية الأداة المستخدمة.

يقول أبو القاسم سعد الله في بيان مهمة هذه الوسائل في العمل الإصلاحي:"فالمسجد كان للوعظ والإرشاد بطريقة العلماء الجديدة في فهم الدين ودوره في الحياة، والمدرسة كانت لتربية وتعليم النشء الجديد وتخريج إطارات الثقافة العربية الإسلامية، والنادي كان للتوعية والتوجيه الوطني بالخطب والمحاضرات والمسامرات والمسرحيات والأشعار والأناشيد، والصحافة كانت لنشر المبادئ والأهداف والدعوة إلى اليقظة، والدفاع عن الجمعية ضد خصومها سواء كانوا من الإدارة الفرنسية أو من قطاعات المجتمع الجاهلي"[1].

ويتحدث الإبراهيمي عن آثار النهضة التي عمت البلاد نتيجة حسن استخدامهما وتوظيفهما للوسائل المتفقة مع معطيات العصر يومها الذي عاشاه والذي أوصلهما إلى حد الاستقطاب والإقناع"فقد دبَّ في الأمة الجزائرية دبيب الحياة وقوي فيها الشعور بسوء الحال التي هي عليها، والشعور بالفساد هو أول مراحل الإصلاح، وتجلى هذا الشعور

[1] - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط4، 1992م)، ج(3)(1930- 1945)، ص(90).

بالعمل في عدة نواح من حياتها العامة: فتجلى في **الناحية الاقتصادية** بالدخول في ميادين الكسب التي كانت وقفاً على غير المسلم الجزائري. وتجلّى في **الناحية الأدبية** بتأسيس النوادي والجمعيات المختلفة. وتجلى في **الناحية العلمية** بالإقبال على القراءة والتعلم باللغتين العربية والفرنسوية. وبالبذل على العلم والتغرّب في سبيله، وتجلى في **الناحية الدينية** بتشييد المساجد في القرى والإنفاق عليها من مال الأمة الخالص، وتجلى في **الناحية النفسية** بالتفكير الجدي المستقيم ومن مظاهره الاعتماد على النفس في الأعمال التي ذكرنا والإيمان بوجود شيء اسمه الأمة، بعد أن كانت هذه الأمة تعتمد في دنياها على الحكومة، وفي آخرتها على المرابطين وشيوخ الطرق وتشعر أنها ذائبة في هاتين القوتين"[1].

---

[1] - سجل مؤتمر جمعية العلماء، ص(57).

خاتمة



في هذا البحث"**الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي**"، حاولت أن أتحلى بالموضوعية والواقعية وأعود بذاكرتي إلى الوراء سنوات العشرينات والثلاثينيات من القرن العشرين؛ لأنظر عن قرب وبتبصر حال الوضع في الجزائر إبان الاحتلال الذي كاد يأتي على الأخضر واليابس؛ لولا أن بعث الله لهذه الأمة المقهور شعبها عقدياً وأخلاقياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً واقتصادياً من يجدد لها أمر دينها فأحيا روحها وأعاد بعثها من جديد.

وكنت قد توصلت من خلال هذه الرحلة الطويلة في عالم الدعوة وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جملة من النتائج تمثلت فيما يلي:

النتائج المتوصلة إليها: 1 - أن من معاني الدعوة: الدِّين، والإسلام. وأن المركب الإضافي **الخطاب الدعوي** هو مرادف للخطاب الديني ومرادف للخطاب الإسلامي. والذي يقصد به: قيام الدَّاعية أو المرسل بتوجيه رسالة إلى المدعوين عبر قنوات الاتصال؛ الشفاهية منها كخطبة الجمعة، أو الكتابية كالمقالات والمؤلفات والصحافة، أو الرمزية أي بالإيماءة والحركة كالصلاة وأعمال الحج، أو المرئية كالبرامج التلفزيونية من خلال وسائل مشروعة كالمسجد - المدرسة – الإعلام - المؤتمرات – النوادي – الرحلات... مستعيناً بأساليب مناسبة كأسلوب الحكمة - الموعظة الحسنة - الترغيب والترهيب... قصد تعريفه بدِّين الله تعالى وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له والتأسي بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمشي على خطاه. كما أننا نقول دعوة أو خطاب دعوي فهو أمر سيان لا فرق بينهما في المعنى، والاختلاف يكمن في أن الأول مصطلح قديم والثاني مستحدث لا غير.

2 - أن جمعية العلماء **دعوة سلفية**؛ لأنها دعت المجتمع الجزائري بأخذ الدِّين الإسلامي عن أصوله الصحيحة كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح، لا عن الطرق الصوفية المنحرفة التي أضافت أموراً لا تمت للإسلام بصلة كما دعته إلى مجانبة البدع. وتمكنت من قمع الإلحاد والتحلل ومن إيقاف التبشير. **وفكرة اجتماعية**؛ لأنها عُنيت بأمراض المجتمع التي استفحلت في جميع شرائح الشعب بلا استثناء وأقعدتهم أرضاً يقتفون أثر أوهام الطرقية ويراقبونها في حركاتها وسكناتها. وخففت من ويلات الأمية وأحيت الفضائل

والأخلاق المتينة. **ورابطة علمية ثقافية**؛ لأنها عملت على تعليم أفراد الشعب الجزائري بكل فئاته الكبار في المساجد وذلك بتعبئتهم بدروس في الوعظ والإرشاد، وتقديم محاضرات وندوات يحضرها شيوخ من البلاد الإسلامية المشرقية والمغربية في الأندية قصد توعية الشباب الذي لا تجده في المسجد ولا في المدرسة بدوره اتجاه نفسه واتجاه وطنه وبث الحماس فيه وتعريفه بحقيقة الوضع السيئ والآسن الذي يحياه، وبتعليم النشء مبادئ الإسلام الصحيحة.

3 - أن المصلحين ابن باديس والإبراهيمي اللذان فتحا أعينهما على الوطن وهو يئن تحت وطأة الاستعمار الاستطاني، يعدان بحق من الأسماء الريادية في بلاد المغرب العربي. **هدفا من عملهما الإصلاحي المتكامل** إلى تكوين الشعب الجزائري، وتخليصه من التبعية الثقافية وإعداده ليوم المواجهة العسكرية الفاصلة ضد المستعمر الفرنسي الذي طال ليله وكثر خبثه؛ حيث استطاعا خلال مسيرتهما النضالية التي جمعتهما فترة العشرينات والثلاثينات أن يقوما بإنجازات كبيرة مست جبهات عديدة ساهمت في تعبئة الشعب تعبئة شاملة استعاد من خلالها ثقته بنفسه وثقافته العربية الإسلامية الضائعة، ووطنه المستنزفة خيراته والمنتهكة حرماته بعد قرن ونيف، متحدياً بذلك كل هجمات ومناورات ومساومات العدو المتتالية.

4 - **تميز خطابهما الدعوي بجملة من الخصائص، منها:**

***المبدئية:** وفقا إلى حد كبير في ترسيخ مفهوم الكتاب والسنة في قلوب الجزائريين وإلمام شمل الأمة حولهما. كما أفلحت جمعية العلماء في إحياء الاجتهاد وثارا ضد التقليد والجمود الذي من آثاره السيئة؛ التعصب المذهبي بدل الاستقلال الفكري القائم على أساس الرجوع إلى القرآن والسنة، وآثار العلماء المستقلين في فهم هذين المصدرين، ودعا إلى الممازجة بين المعرفة النقلية مصدرها الوحي بإحداثياته الكتاب والسنة، والمعرفة العقلية مصدرها الكون بشقيه الطبيعي والبشري، وذلك وفق قاعدة موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ودرء تعارض العقل والنقل.

***الواقعية:** نجحا في إصلاح الوضع بالجزائر بفضل المعارف والعلوم التاريخية والاجتماعية والنفسية وممارستهما لها نظرياً وميدانياً مما ساعدهما على استقراء الواقع الجزائري المعيش وأكسبهما معرفة دقيقة به؛ وبالتالي إصلاحه وتحويله إلى الأحسن. نظروا في أمراضه وكشفوا

عن أسبابه وشخصوا عللها وحددوها وأبانوا نوعها ولم يتستروا على أخطاءه، ولم يسكتوا عن مراجعتها وحددوا وسائل العلاج على ما تقتضيه الأحوال العامة لا كما تقتضيه أنظارهم الخاصة وكانوا على صلة تامة بالواقع ودراية كاملة بحال المجتمع الجزائري المتفكك بنيانه.

***الانفتاحية:** وقفا من الحضارة الغربية موقف المؤيد والحاض على إيجابياتها من تقدم علمي وعمراني، والرافض والناهي عن الأخذ بسلبياتها من معائب ومفاسد ينهي عنها الدين الإسلامي الحنيف. وأجازوا مخالطتهم بتمام تبصر لخدمة أنفسهم وأمتهم إلى جانب الانتفاع بإيجابيات التراث الإسلامي؛ أي المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة.

***الشمولية:** دعوتهما كانت شاملة، عُنيت بالجانب الديني والاجتماعي والتربوي والثقافي والسياسي لأنهما كانا يدركان أن الأمور لا تستقيم وأن الثمار لا تؤتي أكلها إلا بشمول الإصلاح. وجهت إلى جميع شرائح المجتمع؛ شباب في النوادي، شيوخ وكهول في المساجد، أطفال في المدارس، وخصومها من المرابطين الشرسين، المتجنسين بالجنسية الفرنسية وأنصار الاندماج الفرنسي الإسلامي التام الناطقين باسم أو بيتي الجزائر. ومست كل الأماكن من التراب الوطني بجميع جهاته. فمشاريعهما لم تستثن فئة أو مكاناً من أرض الجزائر، بل تجاوزت إلى الخارج(فرنسا بالأخص).

5 -**أما فيما يخص مضامين خطابهما الدعوي**، فقد تناولا موضوعات كثيرة مست الميدان العقدي، والتربوي، والاجتماعي، والسياسي. ففي الأول؛ عملا على تجديد العقيدة التي أصابها الدخن من جراء المفاهيم الفاسدة والأفكار الجامدة والمعتقدات الخاطئة التي عمدت إليها الطرقية وأضلت بها عقول العامة؛ وذلك بتبيين أركان العقيدة الإسلامية وتناولها علمياً وشرحها وتبسيطها وإيجازها وإيضاحها للعامة والخاصة على الطريقة السنية. وفي الثاني؛ باهتمامها بالأخلاق الفاضلة وتنفيرها من سيئها. إلى جانب اهتمامهما بموضوع المرأة، الشباب، الاستعمار، والقضية الفلسطينية.

6 -استعانت على تحقيق خطابها الدعوي بوسائل؛ **فالمسجد** كان للوعظ والإرشاد، **والمدرسة** كانت لتربية وتعليم النشء، **والنادي** كان للتوعية والتوجيه الوطني، **والصحافة** كانت لنشر المبادئ والأهداف والدعوة إلى اليقظة، والدفاع عن الجمعية ضد خصومها.

ويبقى جهدهما الدعوي مهما حقق من نجاح وأتى بثمار يانعة، يبقى جهـــدهما البـــشري غير مبرء يعتوره بعض القصور والنقص والضعف والتفاوت فالكمال لله تعالى"فالإنسان مهمـــا أوتي من علم وتجربة يعجز كل العجز عن تكوين منهج شامل، ويرجع ذلك إلى أنـــه محـــدود الكينونة من ناحية الزمان والمكان، ومن ناحية العلم والتجربة والإدراك، وفوق ذلـــك محكـــوم بضعفه وميله وشهوته ورغبته، فوق ما هو محكوم بقصوره وجهله"[1]. وتبقى تجربة بشرية يعمل بمحاسنها ويستفاد من أخطائها حتى لا نعاود الوقوع فيها.

[1] -محمد السيد يوسف: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع(القاهرة: دار السلام، ط(1)، 2002)، ص(388).

الفـــــــــــــــــــــــــــــــــــهارس

أولاً: فهرس الآيات:

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى][الحجرات/13]	201
[يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ][الأعراف/31].	201
[قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ][آل عمران/ 64]	201
[وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] [الشعراء/ 214].	201
[وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ][الحج/11].	201
[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً][سبأ/28].	201
[قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً][الأعراف/158].	201
[إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ][التوبة/18]	206
[وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورا] [الفرقان/62].	209
[قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ][الأنعام/104].	220

ثانياً: فهرس الأحاديث:

ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع

أ -المصـــــــــادر:

ابن باديس؛ عبد الحميد:

1 - **مبادئ الأصول**، تحقيق: عمار طالبي(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م).

2 -**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، تحقيق: توفيق شاهين -محمد الـصالح رمـضان(دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط(03)، 1399هـ/1979م).

3 - **مجالس التذكير من حديث البشير النذير**(الجزائر: مطبوعـات وزارة الـشؤون الدينيـة، ط(01)، 1403هـ/1983م).

4 - **حياته وآثاره**، جمع ودراسة: عمار طـالبي(لبنـان: دار الغـرب الإسـلامي، ط(02)، 1403هـ/ 1983م)، مج(04).

5 -**العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية**(القاهرة: مطـابع الكـيلاني، د.ت، د.ط).

6 -الإبراهيمي؛ محمد البشير: **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جمع وتقديم نجلـه أحمـد طالب الإبراهيمي(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط(1)، 1997م)، مج(4).

7 - الورتلاني؛ الفضيل: **الجزائر الثائرة**(الجزائر: دار الهدى، د. ت، د. ط).

* الميلي؛ محمد:

8 - **رسالة الشرك ومظاهره**(الجزائر: شركة الشهاب).

9 - **الشيخ مبارك الميلي**(حياته العلمية ونضاله الوطني)(لبنان: دار الغـرب الإسـلامي، ط(1)، 2001م).

10 - التبسي؛ العربي: **بدعة الطرائق في الإسلام**، إعداد: أحمد الرفاعي الـشرفي(الجزائـر: دار البعث، ط(1)،1982م).

11 -خير الدّين؛ محمد: **مذكرات**، (الجزائر: مؤسسة الضحى، ط(2)، 2002م)، مج(2).

ب -المراجـــــــع:

12 -أمحزون؛ محمد: **منهج النبي في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة**(مصر: دار الســلام، ط(2)، 2003م).

13 - الأخضر؛ ضيف الله محمد: **محاضرات في النهضة العربية الحديثة**(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط(2)،1981م).

14 - البوطي؛ محمد سعيد رمضان: **منهج الحضارة الإنسانية في القـــرآن**(لبنـــان: دار الفكـــر المعاصر، سوريا: دار الفكر، ط(4)، 1421هــ/ 2000م).

15 - بك؛ محمد الخضري: **تاريخ التشريع الإسلامي**(الجزائر: دار أشريفة، د. ط، د. ت).

16 -بن الرحال؛ الزبير ، **الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية**(1889 - 1940م) (الجزائر: دار الهدى، د. ط، 1997م).

17 -برغوث؛ الطيـــب: **الواقعية في الدعوة إلى الإسلام؛ ضرورتها والسبيل إليها**(باتنـــة: دار الشهاب،ط(1)، محرم الحرام 1405هــ/ أكتوبر1984م).

18 -البشير؛ عصام أحمد: **شرعية العمل الجماعي وضرورته**(السودان: دار النذير للنشر والتوزيع، ط(1) 1410هــ -1990م).

19 - الجزائري؛ أبو بكر جابر: **عقيدة المؤمن**(باتنة: دار الشهاب، ط(1)، د. ت).

20 - الجيلالي؛ عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العام**(الجزائر: ديوان المطبوعـــات الجامعيـــة، ط(07)، 1994م)، مج(04).

21 -دردور؛ عبد الباســـط: **أقطار المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغـــربي**(طـــرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط(01)، 2002).

22 -الدرويش؛ ماجد: **رسالة العقائد للإمام الشهيد حسن البنا**(لبنـــان: دار مكتبـــة الإيمـــان، ط(1)، 1422هــ - 2001م).

23 - هويدي؛ يحي: **دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية**(القاهرة: دار الثقافة، ط(3)، 2002م).

24 -وزارة الشؤون الدينية: **أصول الدعوة الإسلامية عند ابن باديس**(الجزائر: مطبعة وزارة الشؤون الدينية، 1414هـ/ 1993م).

25 -زعيمي؛ مراد: **مؤسسة التنشئة الاجتماعية**(الجزائر: دار قرطبة، ط(1)، 1997م).

زرمان؛ محمد:

26 - **جمعية العلماء(الخطاب والقراءة)**(الأردن: دار الإعلام، ط(01)، 2006م).

27 - **فلسفة التجديد الإسلامي(نموذج الشيخ البشير الإبراهيمي)**(القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، د. ط، 1419هـ - 1999م).

28 - المودودي؛ أبو الأعلى: **موجز تاريخ تجديد الدِّين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم**(الجزائر: دار الشهاب للطباعة والنشر، د. ط، د. ت).

29 - مكرم؛ عبد العال سالم: **أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع**(بيروت: مؤسسة الرسالة، ط(1)، 1408هـ - 1988م).

30 - المطبقاني؛ مازن صلاح: **عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي**(دمشق، دار القلم، ط(02)، 1999م).

31 - مراد؛ علي: **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940م**، ترجمة: محمد يحياتن(الجزائر: دار الحكمة، د. ط، 2007م).

32 - المرزوقي؛ جمال: **دراسات نقدية في الفكر الإسلامي**(مصر: دار الآفاق، ط(1)،1421هـ/2001م).

33 -ناصر؛ محمد: **المقالة الصحفية الجزائرية(نشأتها- تطورها- أعلامها)من 1903 إلى 1931م**(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1978)، مج(02).

* النجّار؛ عبد المجيد:

34 -**الشهود الحضاري للأمة الإسلامية**(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط(1)، 1999م)، مج(3).

35 - **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل**(لبنان: الدار العربية للعلوم، د. ط، 1413هـ/1993م).

36 -النجّار؛ عامر: **علم الكلام؛ عرض ونقد**(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط(01)، 1463هـ/ 2003م).

37 - حبنكة الميداني؛ عبد الرحمان حسن: **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**(دمشق: دار القلم، ط(07)، 1414هـ -1994م).

38 -حلوش؛ عبد القادر: **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**(الجزائر: دار الأمة، ط(01)، 1999م).

39 - حسنة؛ عمر عبيد: **في النهوض الحضاري بصائر.. وبشائر**(بيروت: المكتب الإسلامي،ط(1)،1417هـ/1996م).

40 -الحربي؛ أحمد بن عوض الله: **الماتردية؛ دراسة وتقويما**(الرياض: دار الصميعي، ط(02)، 1421هـ/2000م).

41 -يوسف؛ محمد السيد: **منهج القرآن في إصلاح المجتمع**(القاهرة: دار السلام، ط(01)، 1422هـ/ 2002م).

42 - سلوادي؛ حسن عبد الرحمان: **عبد الحميد بن باديس مفسراً**(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م).

43 - سليمان؛ حسن حسن: **الشباب المسلم والحضارة الغربية**(دار الشروق، د. ط، د. ت).

سعد الله؛ أبو القاسم:

44 - **الحركة الوطنية الجزائرية(1900 - 1930)**(بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط(04)، 1992)، مج(03).

45 - **تاريخ الجزائر الثقافي(1830 - 1954)**(لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط(01)، 1998م)، مج(09).

46 - سعد؛ فهمي: **حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في يقظة الجزائر**(لبنان: دار الرحاب، ط(01)، 1983م).

47 -العالم؛ جلال: **قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله**(الجزائر: دار الهدى، د. ط، د. ت).

48 -عباس؛ فرحات: **ليل الاستعمار**(الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، ط. د، 2005).

49 - عوض؛ صالح: **معركة الإسلام والصليبية من 1830 حتى 1962م**(الجزائر: الزيتونة للنشر والإعلام، د. ط، د. ت).

50 -عمارة؛ محمد: **تيارات الفكر الإسلامي**(مصر: دار الشروق، ط(1)، 1411هـ -1991م).

51 - العقيل؛ محمد بن عبد الوهاب: **منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة**(الرياض: مكتبة أصول السلف، ط(01)، 1419هـ/1998م)، مج(2).

52 - العربي؛ بلحاج: **المدخل لدراسة التشريع الإسلامي**(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،د. ط،د. ت).

53 - فحلة؛ حسن رمضان: **مقومات الحضارة والإنسانية في الإسلام**(الجزائر: دار الهدى، ط(1)، 1410هـ/1989م).

54 -فركوس؛ صالح: **نحو تأصيل إسلامي لتاريخ الجزائر**(الجزائر: دار الكوثر، د. ط، 1991م).

55 - فضلاء؛ محمد الطاهر: **الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى**(قسنطينة: مطبعة البعث، 1387هـ/1967م).

56 - صبحي؛ أحمد محمود: **في علم الكلام**(بيروت: دار النهضة العربية، ط(05)، 1405هـ/1985م).

57 -الصدِّيق؛ محمد الصالح: **المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله**(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، 2006م).

58 - صديق؛ شافية: **التغيير من خلال الجماعة**(الجزائر: دار قرطبة، ط(1)، 2006م).

59 - قطب؛ محمد: **واقعنا المعاصر**(القاهرة: دار الشروق، ط(1)، 1997م).

القرضاوي؛ يوسف:

60 - **الإخوان المسلمون"70"عاماً في الدعوة والتربية والجهاد**(لبنان: مؤسسة الرسالة، ط(1)، 1422هـ -2001م).

61 - **مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي**(بيروت: المكتب الإسلامي، ط(01)، 1428هـ/ 2007م).

62 - **ثقافة الداعية**(لبنان: دار الرسالة، ط(14)، 1417هـ/1997م).

63 -رحماني، أحمد: **مصادر التفسير الموضوعي**(مصر: مكتبة وهبة، ط(1)، 1491هـ - 1998م).

تركي؛ رابح:

64 -**مشكلة الأمية في الجزائر**(الجزائر: مكتبة الشعب، 1981).

65 - **الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة**(الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، ط(02)، 2003م).

66 - **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط(03)، د. ت).

67 - خالد؛ خالد محمد: **رجال حول الرسول**(بيروت: دار الفكر، د. ط، د. ت).

68 - الخطيب؛ أحمد: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط، 1985م).

ج -الرسائل الجامعية:

1 - بلهامل؛ مفيدة: **وسائل الاتصال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**(بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والإعلام، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1996 - 1997م).

2 -جمَّال؛ غنية: **جريدة البصائر ودورها الإصلاحي السلسلة الثانية 1947 - 1956م**(بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003-2004).

3 -جفال؛ سامية: **منهجية التغيير عند عبد الحميد ابن باديس**(بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الدعوة والإعلام،جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة2000-2001).

4 -زرمان؛ محمد: **الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي**(أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الفكر الإسلامي الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة معهد الدعوة وأصول الدين، 1994 - 1995).

5 -مرغيت؛ محمد: **موقف الشهاب من قضايا معاصرة 1925 - 1939م**(رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، شعبة: التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2002 - 2003م).

د - المجلات والجرائد:

1 - **الأصالة**(مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية):

- العدد (08) السنة الثانية، ربيع الثاني، جمادى الأولى 1392هـ ماي - جوان 1972م.
- العدد (24) السنة الثانية، ربيع 1 - 2، 1395هـ مارس - أفريل 1975م.
- العدد (32) السنة الخامسة، ربيع الثاني، أفريل 1976م.
- العدد (44) السنة السادسة، ربيع الثاني، 1397هـ أفريل 1977م.

2 - **البصائر**: أسبوعية إصلاحية شاملة شعارها: الإسلام ديننا. والعربية لغتنا. والجزائر وطننا):

- الإثنين 02 - 09 ذو الحجة 1421هـ/ 26 فيفري 05 مارس 2001، العدد(40).
- الإثنين13 -20صفر 1422هـ/ 07 -14ماي2001 -السلسلة الرابعة -العدد(49).
- الإثنين14جمادى الأولى1424هـ/14 -21جويلية2003 -السلسلة الرابعة -العدد(152).

3 -**مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**(مجلة علمية محكمة نصف سنوية، العدد(14)، جوان 2006م)، جامعة باتنة الجزائر.

4 - **الموافقات**(مجلة علمية أكاديمية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصدرها دورياً عن المعهد الوطني العالي لأصول الدِّين -مولود بلقاسم نايت بلقاسم - بالجزائر، العدد(06)، السنة السادسة، 1418هـ/(1997 -1998م).

5 - **السنة النبوية المحمدية**(لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سنة 1933:

- العدد (03)، الاثنين في 29 ذي الحجة 1351هـ.
- العدد(04)، الاثنين 6 محرم الحرام 1352هـ.

6 -**الرسالة**(مجلة تربوية جامعة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، جمادى الأولى والثانية 1400هـ/ أبريل -ماي1980م، السنة الأولى، العدد (02 - 03).

7 -**الثقافة**(مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، السنة الخامسة عشرة، العدد(87)، شعبان - رمضان 1405هـ، ماي/ جويلية 1985م).

هـ ـ المواقع الإلكترونية:

1- www.islamonline.net/Daawa/arabic/display.asp?hquestionID=2473
2-
www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=47096&d=11774941
00
3- http://www.nawaat.org/portail/author/salah-karker
4-
www.chihab.net/modules.php?name=Stories_Archive&sa=show_month&year
=2006&month=06&mont...76 k
5- http://menber-alhewar.net/forum.php?action=view&id=793&cat_id=16
6- http://www.islamselect.com/article/37174
7- http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=4783
8- http://menber-alhewar.net/forum.php?action=view&id=793&cat_id=16
9-
http://www.islamweb.net.qa/ver2/library/ummah_ShowChapter.php?lang=A
&BabId=7&ChapterId=7&BookId=222&CatId=201&starto=
10 -http://www.islamweb.net.qa/ver2/library/ummah_Book.php
?lang=A&BookId=276&CatId=201
11- http://www.binbadis.net/Dirasat/lire_hakem_almatiri.htm
12- http://www.odabasham.net/show.php?sid=12857
13-
http://www.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=A&BabId=1&
ChapterId=1&BookId=275&CatId=201&startno=0
14- www.islamonline.net/arabic/contemporary/2002/04/article2.shtml
15- www.shareah.com/index.php?/records/view/action/view/id/507/-
47k
16- www.annabaa.org/nba56/index.htm55 - k-
17- www.binbadis.net/Dirasat/article4.htm72 - k
18- ar.wikipedia.org/wiki/324 - k
19- www.odabasham.net/cat.php?catid=12&page=354 - k-
20- jid3.medharweb.net/modules.php?name=News&file=article&sid=22926 - k-
21- www.binbadis.net/al-ibrihimi/articles_etudes.htm33 - k

رابعاً: فهرس المواضيع والمحتويات

الفصل الرابع: خصائص الخطاب الدعوي عند الشيخين ابن باديس والإبراهيمي

الفصل الخامس: وسائل الخطاب الدعوي عن الشيخين ابن باديس والبشير الإبراهيمي

ملخـــص:

تعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إحدى الحركات الإصلاحية النهضوية التغييرية في العالم العربي الإسلامي، التي أولت الخطاب الدعوي أهمية بالغة؛ مما مكّنها من النهوض بالمجتمع الجزائـــري ورفع إصر الجهل والتخلف عنه وتخليصه من أوضار الخرافات والبدع، والسير به قدما نحو العلـــم والتحرر وبالتالي الاستقلال.

ونظرا للدور الطلائعي الذي قامت به -الجمعية - من إثراءها الحياة الفكريـــة، والاجتماعيـــة بمفاهيم ومناهج؛ مكنها من تغيير الأوضاع السائدة آنذاك، والارتقاء بالفرد الجزائري نحـــو المعـــالي. ارتأيت من خلال هذه المذكرة أن أطرح موضوع الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء، مبدية جملـــة من التساؤلات، تكون في مجملها محاور رئيسة للبحث، ويمكن صياغتها على النحو التالي:

*ما هو مفهوم الخطاب الدعوي؟

*ما هي خصائص هذا الخطاب عند عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي؟

*ما هي مضامينه؟

*ما هي أهم الوسائل الدعوية التي استخدمها المبحوثان في توعية الشعب الجزائري وإعداده روحياً وبدنياً لليوم الأغر الفاتح من نوفمبر 1954م.

ومعتمدة على عدة مناهج هي: **المنهج التاريخي**، و**المنهج الوصـــفي التحليلـــي**، و**المنـــهج المقارن.**

وقد هيكلت الدراسة في: مقدمة؛ تحدثت عن دور الداعية في نجاح الدعوة، **وخمسة فصول. تناول الأول:** إشكالية الدراسة وتساؤلاتها ومنهجها، وتحديد مفاهيمها، والدراسات السابقة وقـــراءة نقدية تقييمية لها. **وتناول الثاني:** أهم المحطات التاريخية التي مرت بها جمعية العلماء، وكـــذا عـــرض وجيز لحياة بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي. **وتطرق الثالث** للحديث عن خـــصائص الخطـــاب الدعوي عند بن باديس والبشير الإبراهيمي. **وناقش الرابع** مضامين الخطـــاب الـــدعوي لـــديهما. **وخصص الخامس والأخير** للكلام عن وسائل الخطاب الدعوي عند المبحوثين. وكل ذلك من خلال عرض نصوص لابن باديس ومقارنتها مع نصوص للإبراهيمي مع إظهار أوجه الاتفاق والاخـــتلاف فيما بينهما إن وجدت. وقد ذيّلت البحث بخاتمة؛ أجبت فيها باختصار عن الأسئلة الـــتي وردت في الإشكالية.

وخلصت -الدراسة - في النهاية إلى النتائج التالية:

1 -أن من معاني الدعوة الدين والإسلام، وبالتالي فالخطاب الدعوي هو مرادف للخطاب الديني ومرادف للخطاب الإسلامي.

2 - أن جمعية العلماء؛ دعوة سلفية لأنها دعت المجتمع الجزائري إلى العودة إلى كتاب الله وسنة النبي ع وسيرة السلف الصالح. وفكرة اجتماعية؛ لأنها عنيت بأمراض المجتمع من جهل وانحراف أخلاقي. ورابطة علمية ثقافية؛ لأنها عملت على تعليم أفراد الشعب الجزائري بكل فئاته الاجتماعيـــة الكبـــار في المساجد، والشباب في النوادي، والصغار في المدارس.

3 - أن خطاب كل من ابن باديس والإبراهيمي لا يكاد يخرج عن إطار الكتاب والسنة وفهـــم السلف الصالح، يراعي ملابسات الواقع وقوانينه، يحتوي هموم المدعوين ويترلهم منازلهم، يدعوهم للانفتاح على ما لدى الغرب من علوم وتكنولوجيا وعدم تجاوز حدود الشريعة الغرّاء.

4 - أن ابن باديس والإبراهيمي نجحا في كفاحهما ضد المنظمات الطرق الصوفية المنحرفة الـــتي اختارا البدء بها؛ لما خلفته من أوهام وضلالات في عقول وأنفس العامة من الناس، وعدا المذاهب الصوفية والمذاهب الكلامية من أسباب تفرق المسلمين. ونجحا في غرس جمهرة من الأخلاق الفاضلة في نفوس الأمة الجزائرية كخلق الصبر وخلق الاعتماد على النفس، وناشدا مسألة تعليم المرأة المسلمة الجزائرية شريطة أن لا يخرج عن ما أمرت به الشريعة، وعملا على تخريج جيل من الشباب يعتز بدينه وعروبته ووطنه. كمـــا دافعا عن القضية العربية والإسلامية؛ قضية فلسطين وقاما بتحريض الشعوب العربية والمسلمة والجزائريين على النهوض بواجبهم نحوها والمساندة التامة في إرجاع أراضيها.

5 -استخدما في عملهما الدعوي المشترك وسائل تتفق مع معطيات العصر أوصلتهما إلى حـــد الاستقطاب والإقناع، تتمثل في: المسجد، والصحافة، والمدرسة، والنادي.

Abstract:

"**The Algerian Muslims Clergymen Committee**" is considered as one of the revolutionary movements that called for change in both the Arabic and the Islamic world and has given the "Appealing Speech" a great importance. This allowed her to move the Algerian society out of the cuffs of ignorance and retardation; and save it from old myths to push it towards science, freedom and though independence.

Considering her heroic role in enriching both intellectual and social life with concepts and methods; which allowed her to change the actual status of the Algerian member at that time, we've tried through this thesis to present the appealing speech of the "AMCC" arising a set of queries and axis of research at the same time, as follows;

1-What is the concept of the "appealing speech"?
2-What are the characteristics of this appealing speech in poth Cheikh Bin Badis and Chiekh Ellbrahimi point of view ?
3-What are the contents of this kind of speech?
4-What are the main appealing tools used by them to prepare the Algerian people spiritually and physically for the day of revolution in 1st November 1954.

And this depending on various methods : the historical methods : the historical method The analytical and descriptive methods-the comparative methods .

This research is standing on the following plan :

- **Introduction :** deals with the preacher's role in the successes of the " Calling".
- **Chapter 01 :** focuses on the methods , queries and concepts of this study's problematic .in addition to a critical evaluated study of previous researches on the same topic.
- **Chapter 02 :** Deals with the main historical stages of the AMCC and her main leaders.
- **Chapter 03 :** introduces the main characteristics of Cheikh bin badis and chiekh ellbrahimi in their appealing speech .
- **Chapter 04 :** the contents of their appealing speech.
- **Chapter 05 :**the most prominent tools they used to introduce their appealing speech .All this work is done by displaying a set of cheikh bin badis's and chiekh ellbrahimi's texts , and comparing them with each other to distinguish sides of accordance and conflict if they exist of course .

-**Conclusion :** It contains some answers of de queries already mentioned in the first chapter.

Outcomes

This study comes out to the following results

- the Galling " appealing speech" is equivalent to the Islamic religious speech.
- the AMCC' s calling is based on a conservative point of view since it is relied on the Holy Koran ; the Sunnah and the deeds of the good ancestor "Assalaf assalih ". At the same time it is a social concept because it aimed to treat social delinquencies. Moreover, it is a scientific and cultural committee because her main goal was to educate the Algerian people.
- Both Cheikh Bin Badis's and Cheikh Ellbrahimi's speeches tend to call the Algerian people to get benefice from the occidental technology without bypassing Sharia's boundaries.
- Both of them have succeeded to reach the following objectives:
    - Fighting the sophist trends and ideas.
    - Planting good morals in the Algerian people.
    - Calling for the education of the Algerian women .
    - Preparing a generation of youth people who feel proud of their Islamic and Arabic belonging
    - Focusing on the talestinain issue.

- The usage of the modem methods in the field of the Islamic calling.